

الصعود إلى الروح
«كتاب الأمراض السبعة»

الطبعة الأولى - عن النخبة للطباعة والنشر والتوزيع

www.alnokhoba.com

1441 هـ - 2019 م

رقم الإيداع: 26175 / 2019

التقييم الدولي: 6 - 411 - 838 - 977 - 978

الكتاب: الصعود إلى الروح - «كتاب الأمراض السبعة»

المؤلف: مفرح سرحان

الغلاف للفنان: حسين جليل

جميع حقوق الطبع محفوظة للناشر

6 شارع رجاء عبدالرسول، المتفرع من شارع وادي النيل



أمام سور نادي الزمالك - الجيزة - مصر - 01288688875

E-mail: alnokhoba@gmail.com

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو أية وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات، واسترجاعها من دون إذن خطي من الناشر.

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الناشر

طبع في مصر

الصعود إلى الروح

«كتاب الأمراض السبعة»

تأليف:

مفرح سرحان



2019

إهداء

إلى محمد بن عبد الله، وموسى بن عمران وعيسى بن
مريم

إلى كونفوشيوس والمهاتما غاندي ومارتن لوتر كينج
والفارابي وابن رشد ومحمد عبده والحلاج والتبريزي
وابن عطاء وابن الفارض

إلى كل من حملوا رسالة للخلاص، وطوقا للنجاة

مدينة لكم الأرواح بالسلام، ومدينة برسالاتكم
الفلوات، ومدينون نحن لكم بالنور المبين.

منه السلام ولكم السلام وغايتنا السلام، والسلام

مفرح سرحان

الزمالك 11 نوفمبر 2019

قبل الصعود

لماذا نشقى في هذا العالم؟
لماذا يأكل بعضنا بعضًا ويغتصب بعضنا حق كلنا؟
لماذا تندلع الحروب؟
ولماذا يموت البشر تحت القصف والقنص والحصار؟
من السبب؟ وما الحل؟ وكيف ننجو وينجو العالم من
النهاية الوشيكة التي نصنعها بأيدينا ونخاف منها؟
لا يجب أن نلقي باللوم على الظروف، فنحن الفاعلون في
هذا الشقاء ونحن من نصنع الظروف..
نحن الذين نقتل باسم البقاء، ونتصارع من أجل البقاء، ونتغول
على بعضنا البعض باسم المصلحة العليا للذات البشرية.
لقد احترفنا القتل قبل أن ندرك معناه، وسفكنا الدم قبل أن
نعرف أن ذلك الفعل يؤدي إلى الغياب الأبدي لروح كان لها

حظ من الحياة فاغتصبناه، وفي قصة ابني آدم أصل الجريمة الأولى لهذا الجنس البشري يوم أن دبت خطاه على الأرض، فكان أول سعي له: البحث عن قبر يدفن فيه الحياة.

كيف ننجو من الأزمة التي صنعناها؟

وكيف الخلاص لهذا الجنس الذي احترق أن يجلب العذاب لنفسه قبل أن تجره إليه الطبيعة؟

مخطئ من يتصور أن الشرف في هذا العالم نزوة جسد وشهوة أعضاء تتلذذ بالقتل والظلم والطمع والتغول، وأن انحراف الإنسانية عن مسارها الطبيعي في إعمار الأرض سببه اختلاف الأجناس والأعراق والأيدلوجيات، وسعي كل فئة تنحاز إلى تصنيفها في هذا العالم إلى الاستقواء بما لديها من موارد والاستحواذ على مقدرات من دونها، من أجل أن يسود جنس على جنس وتتفوق ثقافة على أخرى.

إن الأزمة في الحقيقة أزمة أرواح لا أجساد، وشهوة أرواح تتعطش للدم لا شهوة أجساد تتلذذ بالبطش، فما الجسد إلا وسيلة تبلغ به الروح غايتها من الحياة شرًا كانت أم خيرًا.

لقد ابتلي العالم بالشر واحترف الناس القتل، لأن الأرواح باتت شريرة تحن إلى الدم والفتك وتستعيد صورة أول جريمة عرفتھا البشرية بين أخوين لم يكن بينهما خلاف في العرق أو اللون أو الفكر.

لقد بلغت الأرواح في هذا العالم من الشر ما جعلھا تقتل عن بعد، وتفزع أمن الناس عن بعد، وتعيث فساداً في أراضٍ لم تطأھا، وفي بحار لم تشقھا، وفي فضاءات لم تظلھا، لأن الكراهية صارت عابرة لحدود الزمان والمكان، ومتجاوزة قواعد الإنسانية التي فطر الله الناس علیھا.

ولأن الروح هي أصل كل الشرور، فإن الدواء يكمن حيث يكون الدواء، إذ لا مفر من علاج لأوجاع هذه الأرض حقناً لدماء البشرية وسعيًا لحياة تستوعب كل الخلائق وتعطي كل إنسان على ظهر البسيطة حقه في العيش والتجول والاستمتاع بما هو مكتوب له من السنوات ليحييها من دون صراعات ولا ظلمات ولا دماء.

وإني إذ أثارني ما وصلنا إليه من تطاحن ونزاع وقتل إلى الحد الذي جعلنا نترقب نهاية العالم، فقد تكونت لدي عقيدة ثابتة بأن الحل يبدأ من الروح، والإصلاح يبدأ بالارتقاء بها، وترسيخ القيم الروحية في البشر، لأن الروح هي القاسم المشترك بين جميع الخلائق، وهي التي تسمو فوق كل اختلاف وتبدد الميل إلى العداونية، وتُقوم السلوك البشري، وتكفل لجميع سكان الأرض أن يعمروها بالشراكة لا بالفرقة، وبالتعاون لا بالقتال، وبالبناء لا بالجفاء.

ومن هذه العقيدة الراسخة بضرورة تهذيب الروح والارتقاء بها، فقد تشكلت لدي ملامح رحلة الصعود إلى الروح، قبل صعود الروح، معتمداً على أن الروح عنصر ثابت ونحن المتغير، وعليه فإن الحركة والمجاهدة واجبتان على العنصر الديناميكي (البشر) وصولاً إلى الغاية المثلى: الارتقاء الروحي.

لقد تشكلت ملامح هذه الرؤية في هذا الكتاب (الصعود إلى الروح.. كتاب الأمراض السبعة) بعد رصد وجهد لحركة الأرواح في محيطنا القريب والبعيد، وجنابات النفوس البشرية

على أنفسها وعلى الآخرين، وما جرته من أمراض مستعصية في مجتمعاتنا، وبعد أن تأكد أن الشيطان هو العدو الممين للإنسان لكنه ليس العدو الوحيد، ففي أرواح البشر هناك نواب للشيطان يفعلون ما يعجز أحياناً عن فعله، ويفرقون ما لا يقوى على تفريقه، ويفسدون ما لا يستطيع أن يفسده، ويجهضون كل محاولة للإصلاح.

هذا كتاب للارتقاء وخريطة للإصلاح تبدأ من الروح: تعريفها وعلة خلقها وفطرتها الأولى وحقوقها وواجباتها منذ تكليفها بالأمر وحتى نهاية الرحلة.

وقد اجتهدت في رصد الأمراض التي تصيب الروح والتي تجني البشرية من أعراضها ما وصلت إليه من هذا المشهد المأساوي الذي يعجل بنهاية العالم ويرفع الخير من الأرض ويزرع الشر في النفوس ويشعل نار الحرب بين كل فئتين وكل بقعتين وكل شقيقتين من ذرية آدم. وحددت هذه الأمراض في سبعة أمراض رئيسية هي: الكراهية، والتنمر، والشيب، والته، والسفور، والنفور، والوحشة، متطرقاً إلى أسباب الإصابة

بتلك الأمراض وأعراضها ومخاطرها على البشر، ثم عرضت ما رأيته دواءً لكل مرض روحي على حدة.

وبعد رصد الأمراض السبعة وعلاجها، أفردت فصلاً لـ «انتكاسة الروح» إذا ما أهملت الدواء، لأن انتكاسة الروح في مرضها أشد وطأة من انتكاسة الجسد، إذ يعاودها الداء بشراسة يجعل سلوكها سلوك الشياطين وخطوها شرّاً لا يترك في طريقه أثراً خيراً.

ثم كان فصل «ذاكرة الروح» كتوطئة للهدف الأسمى من هذا المؤلف وهو الارتقاء الروحي، وفي هذا الفصل تناولت بالشرح المفصل ماذا تعني ذاكرة الروح وكيف تدون الروح الأرواح في ذاكرتها في حافظتين متناقضتين إحداهما لأهل اليمين والأخرى لأهل الشمال.

ووصولاً إلى الباب الكبير «الارتقاء الروحي» تبدأ الرحلة الحقيقة للروح إلى الدرجة العليا من الخلاص والتحرر من كل أمراضها والارتواء من كل فضائلها.

هذه الرحلة التي يقطعها صاحب الارتقاء عبر سلم ارتقائي من سبع وعشرين درجة هي درجات: تربية الروح، وأنسنة الروح، وقناعة الروح، وتعريف الروح، وإنكار الروح، والصفح، والعلم، والحلم، والرحمة، والود، والحكمة، والاقتداء، والصدق، والإشراق، والمنح، والمنع، والاستشراق، والتطهر، والتعطر، والوصل، والحياة، والحرية، والإبداع، والإشباع، والصفاء، والعشق، وأخيرًا درجة اليقين تاج الدرجات الارتقائية على هذا السلم في مقام السمو الروحاني.

وقد استعنت في هذه الرحلة الارتقائية بالروح البشرية باقتباسات من كتابنا «نصوص العشق ومصفوفات الارتقاء» 2019، بغية الوصول إلى الغاية الارتقائية وتجريد الروح من علاقتها لتزهد في خطوها وترتقي بسلوكها.

إن الهدف من هذا المؤلف-كما ذكرت سابقًا- هو «الصعود إلى الروح»، ذلك أن قطع هذه الرحلة من شأنه إذا صحت الهمة وتوفرت الإرادة والعزيمة لدى الراغب في الارتقاء، أن يسمو بروحه فوق نزعات الجسد وأهوائه، ويحيا

بهذه الروح في المدار الآمن الذي خلقت لتدور فيه، وهو إذ يبلغها هذا المقام الرفيع من الارتقاء، فإنه يقيها ويقي الأرواح الأخرى شر الأمراض الروحية التي جنت منها الأرض الخراب والدمار، وجنى منها البشر الصراعات والدم.

إننا ننشد حياة سليمة لن نبلغها إلا بأرواح سليمة منهجها النور السرمدي الذي يبدد ظلمات النفوس وعلات القلوب وجنات الخطى في هذا العالم، هذا النور لن تراه الروح إلا بالارتقاء والسمو وتجريد هذه الأرض من الشرور والآثام، وانسراح الصدور البشرية لكل آخر يختلف عنها في الجنس واللون والدين، وإلهام الروح البشرية بتعاليم الإنسانية السمحاء التي لن تستقيم الحياة بدونها، ولن ينجو البشر إلا بها.. فليس كل بشر إنساناً، وليست كل روح سليمة.

إننا نسعى للارتقاء بأرواحنا لنسكن عالمًا يسعنا ولا يقتلنا، فمن أراد هذه الغاية فليبدأ هذه الرحلة.. وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.

مفرح سرحان

الزمالك - القاهرة - 11 نوفمبر 2019



الباب الأول

ماهية

الروح



يسألونك عن الروح

في البدء بدأها

مركزها في دائرة النور، ومقامها العشق، تهددها القلوب
بالرغبة، وتداعبها الأيدي بلا رهبة، وتقر بها الأعين.

في البدء كانت الروح

ناصعة بنقاء السكون، وبقاء الأطراف معصومة، والحركة في
دائرة النور المنزهة عن ظلمات البطش وترهات النفس وشطحات
العقل وهوس التملك والغيرة والتغول والعدوان والبهتان.

على وجودها تدل الروح

وفي بدء السعي تبقى مرهونة بالخطي، فتشطر الطريق
طريقين، ويحصد كل سالك ما سلك، إن جاد جد وصاب،
وإن حاد شذ وخاب.. «وأن ليس للإنسان إلا ما سعى».

إن الذي فطرها ونفخ فيها، وضعها على كف النور، وقال لها كوني بالأمر قبل أن توكل أمرها.

سلها من أنت؟

واصغ إليها:

- أنا الصبح إذا تنفس، قبل أن تخنقه غبارات الأقدام.
- أنا أول العطر إذا تمطت الأشجار تزهو بالخضار.
- أنا الضوء الخجول المتسلل إلى عتبة النهار
- أنا ابتهاج الجناحات وتغريد العصافير وأسراب الحمام.
- أنا الصفحة الأولى والسكر الأول والكلمة الأولى
- أنا النور الذي يسبق كل قنديل، والشعاع الملهم للإضاءات
- أنا الخفيفة من دون حمل، حتى تدب.
- أنا الرشيقية من دون عجز، حتى تعجزني.
- أنا نجاتك وهلاكك وسعدك وشقاك، وزيتك وزيفك، نارك ونورك.

ستقول لك:

- اختر لي ولا تخبرني، ولا تعذبني مرتين:
- يوم ضللتني، ويوم أن تحرقني بما ضللتني.
- لا تجرني إلى الخبث.. لا صبر لي على نفور الخلائق، ولا فزع الطير، ولا شق الأنفس.. لا طاقة لي بالعذاب.
- لو تجسدت بين يديك
- لتوسلت إليك أن تطهرها.
- لقلت لك في ضعف:
- لا تحملني ما لا طاقة لي به
- لا تسلمني إلى الهوى فأهوي، لا تتركني للهوام واللسعات والصفعات.
- لو نطق بين يديك، سيكون لسانها غير اللسان، منطوقها يحرق الأسماع، ولغتها تخرق القواميس، وحجتها تدحض كل الحجج.
- هي التي بدأت فأنهكتها النهايات.. ونبتت فجارت عليها الأغصان.

ستقول لك:

- أنا الأصل فيك.. أدب فيجري ديبك.
- أنا الوصل بك.. أتعرف بأشباهك، وأتحاشى أشباحك.
- أنا الفصل بينك وبين جسدك.. أطيب فتطيب، وأغيب فتغيب.
- أنا من الأمر العلي نزلت، وفي الجسد الضعيف سكنت، خلقت ريحانة فلا تحزمني بالأشواك، ولا تدميني بالأشواق، ولا تخنقني بالأطواق.
- إن أثرت سكونها، وأطفأت نورها، وأحلتها من التماس النور إلى عدوان الشعاع، ومن سعادة العطاء إلى سعار الجفاء، وجعلتها كالذئب تعوي، وكالأسد تزار، وكالثعلب تمكر، فإن المفسد لما كان طيباً وجب عليه الإصلاح، والمُشير لما كان ساكناً وجب عليه الترويض.

سبيلها محفوظ ببصيرتها

هي تعلم إلى أين تمضي، ومن تألف، ومن تعشق، ومن تمقت ومن ترشق، إن الذي سواها ونفخ فيها، علمها وفهمها،

فإن وقفت في سبيلها، فلا تغير خلقها.. مهد الطريق لبغيتها،
وابتعد عمن يبغي عليها، وكن يدها التي تمسح شعر اليتيم،
وعينها التي تسكن خوف الغريب، وقلبها الذي ترى به النور
البعيد، وقدمها التي تسعى بها إلى كل روح تشبهها.

الأرواح شجرة أصلها في السماء وفرعها في الأرض،
وثمارها سابحات في الفضاء، كل ثمرة تبحث عن أختها، فلا
تكن أخا قاسيا، ولا غصنا قاهرا.

الروح تبقى وإن غابت

إنها تقيم لها في كل جدار بصمة، وفي كل شاهد شاهد،
وفي كل مقال مقام.

انظر حيث تقف، ستجد أرواح من وقفوا قبلك.

وانظر حيث تمشي، ستجد أرواح من سبقوك على الطريق.

وانظر إلى البحر، ستجد في ذاكرة الموج أرواحًا وأرواحًا.

وانظر إلى نفسك، ستجد في قرارها مستقرًا لأرواح تشبهك،

منها ما وصلك، ومنها ما يمضي على طريق الوصول، ومنها ما

غاب لكنه حاضر فيك، لأنه يشبهك.. لأنك توأم ثمرته، ومن ذات الشجرة وذات الغصن تثمران.

سبيلها بين الخير والشر وخيارك

فطيب الروح محفوظ بجميل الأقدار، طريقه محفوفة بالظل، وجوفه معصوم من الظمأ، ذلك لأنه يروي المقيمين والعابرين.

وطيب الروح، خطوه الطيب، تتعطر له الخطى، وتتطهر به الأماكن، وتفتح به المسالك، ويتنافس على قربه الطييون من الخلائق.. إن حاوره بشر استبشر، وإن لامسه حجر بليته استشعر، وإن نزل على شجره طير بنى عشا، وأمن الجوار.

ويحذر العابر والمقيم من الأرواح شرها، وفيما يمقت الطيب من الروح:

من طوى بساطه للقريب، وخاف من داره الغريب، وفزع من شجره الطير، وبكى في حضرته اليتيم، وعز في جواره اللئيم.

وبين الطيب والشرير من الأرواح تجري مقادير، وتشرق شمس، وتخبو أقمار، وكل روح تلزم مدارها.. كل في فلك يسبحون.

نحن أرواح تمشي على قدم، وتبطش بيد، وتحب بقلب،
وتفكر بعقل.

الروح تن بعلتها:

ثمة ألم أنتظر أن ينساني
وطريق يضل خطوه إليّ
أخشى الوصول ويغشاني الخوف
ووصلك الخائف بالمرقب الأصل
فإن ألقيت في صدره خوفًا أمنت
وإن أبدلت غلظته ودًا سكتت
وإن حملتني بخوفي إلى المترقب صبرت
إني أسلمتني إلى رحابك
تلك أنا ملي تطرق بابك بضعفها
وذلك قلبي يرجوك بقوة الواثق
وهذه سبيلي لا سبيل لها سواك

دلني على النور يا سيدي
إنني أتعثر في ظلامي
إنني وجهت وجعي إليك
إنني معتلة يا سيدي
إنني أبكي إليك ضعفي
إنني في العراء سقيم
إنني أبحث عن النور
فافتح لي
وافتح بي
يدك فوق يدي
فلا تغلقني على ألمي
ولا تحملني خطايا حاملي
لا تنفخ فيّ من شره

إن الذي فطرها ونفخ فيها، وضعها على كف النور، وقال
لها كوني بالأمر قبل أن توكل أمرها.

هذه الروح، وهذه علاقتها، وهذه محاولات للتداوي من
أجل أن نعيد تلك الأمانة إلى براءتها الأولى وخلقها الأول
وفطرتها الأولى.



الباب الثاني:

أعراض الروح وعلاجها وانتكاساتها



الفصل الأول

الأمراض السبعة

الروح في مهدها بيضاء، مجبولة على النقاء، لا تعرف بغضا ولا حقدا، أطلقت في فضاء الملكوت، مفردة الجناحين كطائر بريء، لها من الحسن طابعه، ومن الورد عطره، ومن الشمس نورها، ومن القمر سحره، ومن النجوم سروحها، ومن الأفلاك تسبيحها، ومن السحاب خفته، ومن الرمل نعومتها، ومن الفردوس نعيمه، ومن كل جميل جمال، ومن جل الصفات العليا بدأت.

الروح صحيحة في أصلها، حتى تصيبها العلل، وهي في علتها لا تملك نفعاً ولا ضراً، فهي مسيرة بما يقتضيه الجسد

والجوارح، هي مرهونة بجناية النفس في حقها، يصيبها
المس واللغوب، وعلل الأطراف وأمراض القلوب.. ولكل
داء يصيب البدن دواء، إلا الروح إذا اعتلت، فعلتها ترهق
الطبيب، وتفزع القريب، وترهب الغريب، وتطرد الحبيب..
وعلاجها كطول مرضها، يستوجب العزم، ويشترط الحزم،
 ويفرض على النفوس الصبر.. ذلك إن أراد صاحب الجسد
لنفسه النجاة، ولروحه الخلاص من تلك العلل:

(1)

الكراهية

الكراهية أصل الشرور ومهد الآثام، من نارها تكتوي الأعضاء،
وتهم بتلك النيران تلتهم ما يصادفها في الطريق دون تمييز، ذلك
أن النار - كل النار إلا نار إبراهيم - لا تصطفي من تلسعه، ولا
قلب لديها ترق به لصغير أو عليل أو نبتة أو نطفة.. إنها تستعر
وتستعر ولا تدين إلا بالحرق، وأبدا أبدا لن تصير بردا ولا سلاما.

أيهما أسبق: الحب أم الكراهية؟

في البدايات دائما يكمن السر

تقول القصة الأولى التي عرفتھا الإنسانية مبكرًا، إن
الكراهية أسبق من الحب، كان قربان ولدى آدم اختبارًا، لكن

أحد المتنافسين لم يرض بقبوله من خصمه «أخيه» ف «كره» أن يفوز فقتله، وصار يبحث كيف يواريه قبل أن ينقذه الغراب بـ «وسيلة للدفن».

عرف الجنس البشري القصة الأولى ووعاها وأحب «الكراهية» واستحسن من ترجمها إلى دماء، وقدس ذكره، وسطره بملايين الأسماء التي تحمل لقب «قابيل» شاهدة على أول جريمة ارتكبتها الإنسانية التي قطعت نسل «هابيل» إلا من اسم وحيد يتيم لأخ مقتول مظلوم مكروه من شقيقه.

الكراهية لعنة أصابت الأرض في «مهد التكوين» وتغذت عليها الأجيال من أحبال سُرية حملت «خلطتها السرية» إلى أحشائنا الضعيفة فخلقت صراعاً موروثاً «غير مسبب» بين البشر تطور مع آلة التكنولوجيا وعصر الرقمنة إلى كراهية عبر الأسلاك وبالإيحاء وعن بعد، وتبدت في أبهى صورها حتى لو سألت الكاره لماذا يكرهك سيجيك: أكره أن أجييك.

لا يسكن الكره إلا نفوسا مريضة، ذلك المرض الذي يباعد بينها وبين الحب بعد المشرقين، فيصير الكره قرين

النفس، يقودها إلى النفور من كل طيب، والخروج على كل جميل لتكيل له كرهها عبر إشارات وموجات خبيثة تبعث بها إلى العين فلا ترمي إلا بشرر، وإلى اليد فلا تصافح إلا بغل، وإلى القدم فلا تخطو إلا بأذى، وإلى اللسان فلا يقول إلا الأباطيل.

والكراهية آفة تنمو في النفس، كشیطان صغير تجيد أعضاء الجسد تربيته والسهر على رعايته حتى يتأبلس وتتسع دائرة النار من حوله فتطرد النور وتطير حمائم بيضاء كانت تحمل الحب الذي لم يعد له في قلب الكاره مستقر ولا مستودع.

يقول الشيطان الكبير لأسيده: اكره، فيقوم بالأمر طائعا، وبالنداء ملييا، وبنفسه حاجبا على أسرار الكراهية وميثاق الشيطان، ويكره ويكره، وتسكن الكراهية جنبات نفسه وتطبق عليه كقبض الروح.

والكراهية تثير الغبار، والروح تتعفر وتختنق ثم تخنق

يقول أحدهم: لا أطيع فلانا

ويشعر فلان بانقباضة إذا حضر أحدهم

وتقول إحداهن إن فلانة لا تحضر إلا برفقة شياطينها

وتقول فلانة عن إحداهن: دمها ثقيل

ثنائيات منسوخة ممسوخة من هايل وقايل، ولولا القانون
الوضعي لبُعِثت ملايين الغربان وحفر قبر في كل موضع قدم.

تستمرئ النفوس الكراهية وتتراشق بالسهام من مرامي
العيون كمنصة أولى للإطلاق، لا يلبث أن يصير السهم أكثر
فتكا إذا ما التحقت الأطراف بخط النار.. ليلد طرقها، وللقدم
طرقها، وللسان نواصي كل الطرق المؤدية إلى الكراهية.

اليد تغل عن المصافحة، وإذا أكرهت فإن سلامها بارد
مخيف، وعروقها تنبض بالكراهة.

والقدم تسعى إلى المكروه مجرورة بكسر الخاطر
مدفوعة بالشماتة في الكرب، واستقصاء النعم، والتطفل على
التفاصيل، والوقوف على الأحوال ما ساء منها وما حسن.

واللسان في مقام الكراهية حية كبيرة تلقف ما اصطنعته
اليد من سلام زائف، وما سعت إليه القدم من ود متكلف، هو
ينفث السم في الغياب، ويدها المكروه في الحضور، وينسج

الشائعات على المشاع، ويكتم الفضائل في النفس فلا يذكرها إلا بسوء القصد والنيل من المقصود.

والروح المعتلة بالكراهية روحها شوك وخبث، أينما حلت بمكان فقد الطمأنينة وتوجست منها الخلائق على اختلافها، بشرا وحجرا.

لا ترتاح عين في عين الكاره، ولا يطمئن إلى جواره حسد، ولا تسلم من روحه زهرة إلا جذبت، ولا حبر إلا جف.

وإن روحا كالملائكة الصغار، في المهد لو هدهدتها يد الكاره لبكت، وإن في صرع الأطفال في حضرة ذوي الأرواح الخبيثة كاشفاً للنوايا، وفاضحاً لطبقات الكراهية في كل نفس معتلة.

وفي حضرة الروح الملوثة بالكراهية، تلوذ الألسنة بصمت الخائف، لأن الكراهية قرينة الحسد، وما نظرت عين كاره إلى فضل إلا نقص، وإلى نور إلا انطفأ، وإلى صحيح إلا اعتل.

والحجر كما البشر ليس جامدا بل فيه أرواح تسكنه، وتشعر بأرواح الأحياء طيبها وخبيثها، وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار «وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء».

ومن البشر إلى الحجر، يظل الأكثر حرقاً بنار الكاره أكثره قرباً، حتى يستغيث رداؤه: أيكم ينجيني من هذه الروح؟!.

وأثر الروح الكارهة كرهه في إرثه، فمن يعاشره من أهله لا ينجو - إلا من رحم - فكيف لغصن نبت من شجرة خبيثة أن يثمر؟ وكيف لزهرة ترعرعت في مستنقع الكراهية أن تهدى لحبيب؟

إن كرهت، فقد أسلمت روحك لداء الظلام، ذلك الظلام الذي يعميك عن النور، والنور لا يسكن نفساً يسكنها ظلام الكره.

النور هو الحب، والحب لا يحيا في بيئة رطبة، ولا يرقد في فرش النار.

فكيف الخلاص من خبث الروح المعتلة بالكراهية؟

الحب فجر النفس الذي يحرقها من فجورها، والكره نواة الفجور، وبذرة الخبث في الأرواح.

ونثر الحب في الروح، كما العطر على الثياب البيضاء، ولا يرتدي الأبيض إلا من كان جسده مغتسلاً طهوراً، وقلبه بارداً وشراباً..

وحده ترياق الحب لا يتجرعه المريض من يد طبيب، كما النور لا يأتي من خارج المصباح، والنفس التي أحرقها

الكراهية طويلا تضحي كرماد اشتدت به الريح، وعمارها بالحب جهاد كبير يلزمه يقين، واليقين لا يستقر إلا إذا اطمأنت النفس، وشرط طرد الكراهية من الروح المعتلة أن يتعلم الكاره كيف يحب نفسه، لأن ما صدر عنه من كراهية موطنه القلب، والإقلاع عن الكره أوله نية الحب.

فإذا جردت قلبك من الكره، فاحرثه كي تخلصه من جذوره، واروه بماء الحب كي تنبت فيه بذور الطيب، ولذ بالعطاء فإنه ربيع القلب وشبابه وطوقه ونوره وبه تفتح أبواب الأرواح التي غلقت في وجه روحك.

وفي العطاء لا غني ولا فقير، فالحب جُل العطاء، ومنفق الحب لا تصيبه فاقة ولا يمرض له فؤاد ولا يسكنه شك ولا يشق عليه طريق، ففي خطوه نور، وفي حضوره نور، وفي غيابه نور، وفي سكنه نور، وفي عينيه نور، وفي قلبه نور.

ومنفق الحب يده فوق أيدي الكارهين، وقلبه فوق قلوب الحاقدين، درجات بعضها فوق بعض، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.

والقلوب التي تعطي يملؤها الحب، فتميل بها العقول ككؤوس الخمر، وإذا سكن الحب قلباً لن يحترق بكره ولا بغضاء، وقلوب المحبين لا تأكلها النار، ولا يصيبها نصب ولا خوف.

أعطيت فأحببت.. فما الحب؟ وما وصفه؟

في الحب لكل محب طريقة، ولكل محبوب هوى، ولا تعريف محددًا للحب إلا في حرفيه (الحاء والباء) وما ينطويان عليهما من أسرار يفسرها كل محب كما يحب، وكما يعرفه الإمام القشيري بلا تعريف فيقول: «لا توصف المحبة بوصف، ولا تحدّد بحدّ أوضح ولا أقرب إلى الفهم من المحبة، والاستقصاء في المقال عند حصول الأشكال، فإذا زاد الاستعجام والاستبهام سقطت الحاجة إلى الاستغراق في شرح الكلام».

والروح هي المراد بالحب، فالأرواح ترتقي بالحب إلى مرتبة «الطيب»، ولا تحل روح طيبة بمكان إلا إذا دانت بالحب ودعت الكراهية، ولذا فإن الحب إذا ملأ القلب، يصعد

إلى الروح، وهذه درجة تستوجب أن تحب النفس روحها كشرط لأن ينال الناس من عطائك، وربط تعريف الحب بالروح أجدى وأنفع.

فالحب هو: أن تمسح رأسك كيتيم، وتحنو عليها كطفل، وتعطف عليها كفقير، وتتقرب إليها كملك، وتزهر في حضورك كوردة، وتنصت إليها كسيمفونية، وتفخر بك كقلادة، وتتفاءل بك كتميمة، وتأنس بك كالنور، وتستغيث بك كالطوق.. الحب هو أنت وروحك إذا التقيتما من دون كره.

والحب هو أن تتحلى بكل الشجاعات.. شجاعة التجرد والتمرد والتفرد، وأن تتخلى عن كل الحماقات.. حماقة الغياب والعتاب.

الحب هو أن ترتقي إلى روحك فتحاورها:

- أنت هنا؟

-أنا هنا

-ما هذا النور؟!

- أنا جسم معتم كلما رآك أضاء

- أترى هذه العتمة كلها؟

- لا أرى إلا نورك

- في لقائي بك لا أراها وأبدو مشرقة

.. والحب هو أن تنتصر الرحمة على القسوة، والصفح على الصفع، والحضن على الحزن، والحنين على الأنين، والبدايات على البذئات، والعيون على الألسنة، والعطاء على الجفاء، والخير على شرور النفس، والترغيب على الترهيب، والنور على كل ظلمات تحل بها روحك في الحضور.

والحب هو ما تحب أن ينالك من غيرك، فإذا استعذبت شيئاً منه، فاعط مما يروق لك.

والحب هو أن تحيا بلا يد تبطش، ولا عين تحسد، ولا أذن تتلصص، ولا روح تغتال الأرواح البريئة.

والحب هو كل تعريف يعرف به الناس طيب نواياك، فإن عرفوك أمنوك، وإن أمنوك آمنوا بك، وإن آمنوا بك أحبوك،

وإن أحبوك قبلوا روحك، وإن قبلوا روحك صرت صحيحًا
ولو كره الكارهون.

والحب هو القيمة العابرة لحدود الوقت والزمان
.. وهو الفعل المضاد للخوف والوحدة والرغبة في
الانتحار

.. وهو الجمال المجرد من رتوش الكلام وبريق الذهب
.. وهو المشاعر التي لا تحتاج إلى جواد فارس ولا إحساس
شاعر

.. هو أن تبقى وترقى وتتقي وتتقي وتجد
الحب عيد دائم لقلب هائم ويد تبحث عن أمان
الحب هو أن تتواضع أمام كل من يبدي لك اهتماما ويطلب ودًا
الحب هو اللين الشديد، والغلظة الرقيقة، وأبوة الرجولة،
وأمومة الأنوثة

الحب هو الإنسانية غير المؤقتة، والعطاء الفياض لا الفائض

الحب هو أن تبقى القلوب آمنة مطمئنة بما تحمله، لا ينال منها
تقلب الأمزجة، وضيق الأنفس، وزلات الألسنة، وسوء الظنون.

الحب حصانة للقلوب، وقرة للأعين، ونزهة للأرواح

أحبوا يرحمكم الله

(2)

النمر

كيف تنمو مخالب الروح؟

كيف تصبح الأظفار الرقيقة أنيابا قاتلة؟

كيف تنبت الأشواك في الأسطح الملساء؟

كيف تصير القطعة الصغيرة نمرا شرسا، وكيف تتنمر الروح
على الجسد؟

روحك طفلك، وجسدك حجرك، إن أطعمت الصغير لبنا
لان، وإن علمته العض تنمر، وإن هددته بالعصا عصاك، وإن
شدت على حجرك تحجر.

الحياة طريق قصير جدا، ومظلم كثيرا، والروح شاهد الطريق ونوره، لكن النور أملس بلا أنياب، والبساط إلى النور أخضر بلا نمور، وعلة الروح في تنمرها على الأغيار، وفي كل غير غار، ظلامه ظلمات الأرواح المتنمرة، وتيهه نور الأرواح الخالصة من المخالب، التي تحل فتقر الأعين وتأمين الجلود شر الوحز والطعن.

كل أول هين إلا الجرح، أوله شدة وأوسطه حكمة وآخره عافية، والروح هينة لينة في مقامها الأول، كانت بيضاء ملساء، حتى دخلت اليد مدار الحركة، وحتى قرب ابنا آدم قربانهما فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر، وكما كانت الكراهية أصل الشرور ومهد الآثام، كانت اليد أداة الجريمة الأولى، بشراصة النفس تضورت فافتربت وافترشت الأرض بالجمثة الأولى، واعتمر أول قبر بأول مقبور والشاهد: نمر كان بشرا.

تنمر الروح إذا استقوت، وإذا خرجت عن مدارها المقدور، والاستقواء على الطيبات من الأرواح عواقبه قتل النفس أولا قبل أن يقتلها الغير، وفي هذا تفصيل يرد ذكره تاليا.

والروح النمرة، لا تسكن إلا أحراش السوء، ولا تتناول إلا لحوما محرمة، وفي توحش الروح تظهر علامات:

أولها: الخواء

في النفس ثمة امتلاء وشيع لا من طعام ولا شراب، وإنما من الحب فطرة البشر وفكرة السلم وزينة الحياة، وكلما شبت النفس حبا لهذه الفطرة آمنت بوجود الآخر وعملت على جيرته، تغار عليه ولا تغير، وتعطيه ولا تسلبه، وتنصره ولا تغلبه.

ولأن النفس علتها «النفسة»، فإنها تريد ضم نعمة الضعيف إلى نعاجها فتكون مئة، وتحيط بثمر الغير فتقطفه وتذر أشجاره خاوية على عروشها.

وخلاء النفس مما يورث السلام لخلانها، أدفع إلى العدوان عليهم، واستضعافهم وسلب نعمهم، فإذا اطمأنت بما سلبت، وألفت النهش والدماء والتعجيز والتشويه، حرمت روحها من الرحمة وأبدلتها المخلب بالكف، والريح بالريحان، والافتراس بالافتراش.

وثانيها: الغدر

وفي غدرها تفقد الروح المتنمرة طبيعتها، فلا تهاجم وجهها يواجها، حبسها الظهر، ومكانها كل بقعة آمنة، وزمانها الليل عندما ترمي عينها بغدر يشعل الظلام كالسيف تنال به من الضعيف.

وثالثها: الطمع

والطمع شر الروح المتنمرة وشيطانها، فحيث ما يكون الخير والعطاء من الصحة والمال والحب، ترصد الأرواح الخبيثة فريستها، إيماناً من المعتدي بأن البقاء مكفول له لا لغيره، وأنه أولى بالأخذ وأمنع للعطاء.

ورابعها: الموت

في ملاحقة الأرواح الطيبة والمستضعفة والراغبة في حياة الفطرة الإنسانية فليتنافس المتنمرون، حتى الموت.

والموت المقصود هو موت الروح في حياتها، كما يموت القلب في نبضه، والضمير في نومه، فالروح التي تألف

العدوان والتنمر، لا يعرف نور الرحمة إليها طريقا، ولا يأمن في حضرتها طائر ولا زاحف ولا رضيع ولا قطع.
أولئك المتمنون هم الأعلى صوتا، فلا يعلو الصوت إلا عن خواء وضعف.

وهم الأكثر سيطرة، فلا ينفذ في السكينة إلا الطغيان، ولا يقلق السلام إلا العدوان، ولا يفرض ليله على الليل إلا الأشباح والأرواح الشريرة.

وهم الذين تسبقهم أرواحهم بالقهر بطشا ولطشا ولفظا وردحا وقدحا، يفرقون الجمع، ويرهبون الساكنين والساكنين والوافدين.

وهم الذين يتحيزون لقهرهم، فهم لمن دونهم مذلة وهون، ولمن يخالفونهم سوط وسيف، ولمن يخشونهم صرع وغلظة، ولمن يعرجون عن طريقهم مهاجمون على الدوام، لا يرحمون راجلا ولا راكبا، ولا يطأون موطئا إلا بخطوة شيطان يحمل الأذى لمن يحتمل ومن لا يحتمل.

والأرواح المتمنرة تستأسد على الطفل الصغير بالصفع والركل والحرق والجلد، وهم إذا علا صراخ المٌهان تَمادوا في الإهانة، وإذا استغاثت العظام الضعيفة من دقهم أثقلوا المطارق، وإذا خبت الأصوات وكلّت، أوغلوا في إيلام الصمت حتى ينطق الحجر ويتفجر منه الدم.

والمتنمرون على النساء مدفوعون بالنقص وسوء الخلق، مغالون في فهم القوامة، خارجون على ملة الرحمة وفطرة الإنسانية، شاذون عن الطبيعة التي علمت الذكر أن يغار على الأنثى لا أن يُغير عليها، وأن يقدم لها لا يهجم عليها، وأن يقوم عودها ولا يكسرهما، وأن يكون دعامة لا فزاعة، وأن يجمع لها لا يجمع عليها.

وتتنمر الخبيثات من الأرواح إذا خرجت عن فلك الأنوثة ووداعتها، فتتنهش الرجل، إذا ما لان وهان واستدان، وإذا ما انتقصت من مروءته شهوة الغير، وإذا لم يقم على أمر القوامة. وتتنمر الفئة الكثيرة على من قل جمعهم وكثر حصادهم، تغولا على الحق، وتمردًا على الأنصبة، ادعاءً بالباطل وخروجًا على منهاج الحق.

وتتنمر أرواح البشر على الحيوان فتقتله، وعلى النبات فتقلعه، وعلى الماء فتغتال عذبه وملحه.

وخلاص الأرواح من تنمرها، مبدؤه اليقين بأن الذين نالوا التكريم والأفضلية على سائر المخلوقات، لا تليق بهم المخالب ولا الأنياب، فمن سار على قدمين واعتلى كتفيه رأس وعقل، وطاب له طعام البر وثمر الشجر وصيد البحر، ليس كمن نبتت مخالبه ليطارد فريسة ويبقر بطنها، وكذلك الذين بُسّطت لهم الأرض بورودها وجمالها، لا تعوزهم الأشواك.

والفهم ترياق الخواء، فمن تدبر كيف بدأ الخلق، خير ممن عبد الخالق عن جهل، ذلك أن الفهم يفتح النور للنفوس فإذا أضاءت أبصرت، وإذا أبصرت كشفت لها البواطن، وإذا علمت أيقنت أن لكل فلك مدار، ولكل بشر من أسهم الحياة نصيب، فلا يجور كثير على قليل، ولا قوي على ضعيف، ولا كبير على صغير، ولا أمر على عابر.. فاعتبروا يا أولي الألباب.

وعلامة الغدر ندبة في الأرواح المتنمرة لا يزيلها إلا أن تدور الدائرة على من غدر، فيصيبه غدر الغير ليعتبر، وقهر من

فاقه قهراً ليرتدع، أو يتسلل النور إلى ظلمات دواخله فيبصر خارجه ويتبصر.

والرضا درء الطمع عن الروح، وفي قصة الخلق خير اعتبار، فلينظر الطامعون إلى السماء هل جارت على حق الأرض في انبساطها؟ وهل نازعت الأرض السماء في ارتقائها؟، وهل طمع القمر في الشمس وضحاها؟ وهل اشتتت الشمس أن تكون منيرة مستديرة في ظلام الليل لتكون قمرًا؟.. ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: 40].

ولا يُخرج الأرواح من فلك «الموت الحي» إلا الحب وهو خير ترياق، فالمحب نوره دليله وسبيله، يكفيه عن الجور والتغول والتنمر، والروح المحبة لا تقوى على دم ولا تشعل ناراً ولا تصيب بهم.. يد المحب تربت ولا تجرح، وتعطي ولا تمنع، ولا تدمي ولا تدمع.

(3)

الشيب

ورد في مسيرة الأعمار أن السنين بريئة من أمارات الشيب، وأن الشيب لا ينال من الملامح إلا إذا اعتلت الأرواح بعجزها، وطوت سنيها طي السجل للكتب.

وإذا دب الشيب في ثنایا الروح أقعدها ثم أرقدها محمولة بشيبتها، والأرواح المحمومة لا عرض للسخونة يبدو عليها، فالأجساد المصابة تنفث الحرارة، والأرواح المشتعلة بالشيب تكسوها المرارة.

وفي مقام شيبة الأرواح، فإن القلب دليل الروح ودلوها في بلوغ درجة الخطر من حسابات الأعمار وإن خالفت التقويم.

والهم هو الفيروس الذي يضرب الروح من قلب صاحبها..
الهم لهيب يحرق الروح.

انظر إلى الفتى اليافع، إن اعتلت الهموم شبابه، تكسو
الغمامة عينيه فلا يرى إلا الأسود، ويشتعل رأسه شيئا، لا تشتم
أنفه عطر، ولا يلفحه نسيم، ولا يؤنسه زحام، فالهم يعزل
صاحبه ويكتفي به.

والمهموم يلزم الوهن عظامه، واليأس كلامه، والنسيان
عقله، ويصير محطاً للشؤم، وجداراً لأطلال تنعق فيها الغربان.
وانظر إلى فتاة كانت نضرة خضراء بضة، كيف صارت بالهم
كعجوز أعمتها الدموع، فلا خد ينبض بحمرة ولا وردة، ولا
شفتان تمتلئان بابتسامة، ولا شعر ينسدل، ولا جرح يندمل،
فأنوثتها رهينة همها، مقيدة بحزنها، وهي بين قريناتها كالوردة
الذابلة لا تخطيء عين ذبولها، ولا يخطب فارس ودها.

والروح تجني من الهم أعطب ثماره، وما ثماره إلا ويلات
وأسى، وحضور المهموم غياب، وغيابه موت، إن حضر آثار

الشفقة في قلوب المحبين، والشماتة في عيون الحاسدين،
وإن غاب حضرت سيرته كالموتى كل يخوض في شأن همه،
فمنهم من يجلده ويؤل حزنه، ومنهم من يترفق به كما يترفق
القوم بعجوز طاعن واهن.

تنام الروح الحزينة نوم المثلث لا المطمئن، تن ولا تتنفس،
وتطاردها الكوابيس وتباعدها الأحلام، فالحلم والهم لا
يجتمعان في ليل واحد.

وليل الروح كدر وتشاؤم، إن أبصرت بياضا فهي السماء فهو
شبيها، وإن سمعت صوت طائر تطيرت منه، وإن سكن ليلها
استوحشت وما ظلام الليل في عينها إلا قبر ينتظر النهار لينبشه.

ومن سوء مرضها، لا ترجو الروح المعتلة شفاء في النهار،
فالنور الرباني محجوب بأستار سوداء، والشمس تلسع الروح
في علتها، والبشر إذا ما انتشروا في الأرض مع ضوء الصباح
فهم جراد وجرذان.. وفي كل الأحوال، فروح المهموم بلا
مناعة، ظهرها عار للجلد واللسع والوخز، وقلبها خائف من
كل دبيب، ومصيرها معلق بين الحركات والسكنات كورقة

يابسة، والشيب هو طرح الهم وجمع النكسات ونصب
السراقات انتظارا لموت الروح العجوز.

ويدب الشيب في الروح فيشيب الشاب شعرا وملامح،
والأنثى انطفاء وانزواء، ولا فرق في الشيبة بين صغير وكبير،
فعمر الأرواح ووصفها واحد، تبدأ وتنتهي لا تصغر ولا تكبر،
لكنها تشيب فيشيب معها الولدان والوالدين والأجداد ضعفا
وشيبة، وكل حادث لا يقوى المرء على احتماله، وكل واقعة
لا يوقع بها تصيبه هما فيشيب منه القلب، ويتوه منه العقل، فلا
يدرك رأيا سديدا، ولا سيلا رشيدا، ولا نورا بهدي إليهما،
وكما يقول الشاعر:

وما شاب رأسي من سنين تتابعت
علي ولكن شيتني الوقائع

وسل نفسك:

هل وقعت الواقعة؟ أم نفخ في الصور؟

هل أطلت الشمس من الغرب؟

هل فاضت روحك؟

إذا كانت الواقعة لم تقع، والمشرق أول الشمس، والساعة عند ربها، وروحك في مدارها، فإن شبيك في الروح شين، وهمك عرض زائل لا محالة، فلا تدع له في روحك مقالا إلا مسحته، ولا مقاما إلا هدمته، ولا شيطانا إلا طردته.

ليس عليك إلا أن تحفظ شبابها الذي ولدت به، ونقاءها الذي فطرت عليه.

وشباب الروح قهر الهموم، وإخراج سواده من سويداء القلب، وذلك لا يكون إلا باليقين بأن الهم ليس إلا خطوة في طريق طويل وأنه من مسببات الفرح والفرج..

اجعل حزنك كسنارة ذلك الصابر على الشاطيء، سنها إبري قد يشكه ويدميه، لكنه بعد يرميه في الماء يأتي بصيد ولحم طيب.

واجعله كالدواء المر تتجرعه على مضض، حتى إذا سرى في جسدك، طابت علتك وكنت من المعافين.

واجعله كآلم المخاض، يدق العظم ويدمي اللحم ويضيق الخلق، لكنه يدفع بحياة جديدة ويخرج خلقاً جديداً وسعادة.

واجعله الليل البهيم الذي لا يأتيه الغريب خوفاً، حتى إذا طلع النهار أشرقت القلوب الحزينة بفرحها.

واجعله سحابة لا يدوم بقاؤها، حتى إذا عبرت رحب صدرك وذهب حزنك.

ولا تعاشرهم، فإن عشرته خراب للروح، وفُضُّ شراكته فإن فيها الخسارة والنار والعجز.

ولُذ بالتفاؤل فإنه من مقويات الروح، وافتح ذكرياتك السعيدة فإنها من مسكنات الروح.

وابحث عن صديقك القديم ولا تضيعه، فإذا وجدته وجدت شبابك، واحرص عليه، فإن الصديق كالخلية العصبية لا تنقسم ولا تتجدد.

وإذا وجدت صديقك، فقد وجدت صدرك الرحب، وأينما تكون الرحابة يكون البوح، ومن باح لم يهتم، ومن خلع الهم عن صدره، ازدهر شباب روحه.

أدركَ الجمال تكن جميلاً، في الجمال الروح كل الشباب.
علم لسانك أن يتذوق جمال الكلم، ويكتشف بديع الصور،
وبلاغة المعاني.

ولتكن عينك منظر الألوان وبهجتها، فرؤيتك لجمال
اللون يزهر روحك.

ويدك الرقيقة بما تجود به الطبيعة من سحر، لروحك
سلام وشباب.

وأذنك النظيفة بعذب اللحن وتسايح الطيور ورقص
الشجر لروحك سلام.

وقدمك المتجولة وسط الحقائق وتأمل الفراشات لروحك
سلام.

سخر حواسك للجمال، وإحساسك لتفرح به
إذا رأيت جميلاً، فأبلغه جماله، وخذ من جماله لك نصيباً.
وإذا جاءك جمال فعامله بجمال، فمن أكرم جميلاً عاش
طويلاً.

وإذا شوه أحدهم جمالا فقاومه، فالجمال جنوده تسكن
الروح، وإذا خاطبك الجمال فكن أجمل.

وإذا كان همك من ألم، فكن ممتنا للألم.. فهو الوخزة
التي توقظ الضمير، والدمعة التي تغسل الخطايا، والطعنة التي
تسدّد الخطى، والرجفة التي تفتح نوافذ النور.

وقل لمن آلمك:

ممتن لك أيها القاسي

أيقظت مضادات الخمول

أطلقت خيالي للأمل

أشعلت روحي بالمصابيح

وبددت من حولي الظلام

قل شكرا لصناع الألم والذين قست قلوبهم

قل شكرا وافرح لأنك ما زلت تشعر بالوخز ولم تمت

خلاياك

قل شكرا لأن لا تزال تميز الخبيث من الطيب، والظلام من
النور، والحلم من الحزن

قل شكرا لأن قلبك على موعد مع الصفاء

قل شكرا لأن روحك تستعيد شبابها الذي أنهكه الحزن
وأطفأه اليأس واشتعل شيئا.

(4)

النبه

التائهون موتى

التائهون أوراق جافة يحملها الهواء إلى متاهات فوق
متاهات

التائهون عراة الأرواح

التائهون ضمير مكشوف بخوائه

التائهون مطمع القاطع والمانع والمستتر.

التيه وجهان:

وجه يضيء ووجه في الظلام يشقى

أما وجه المضيء فمن النور ملامحه، ومن روح عرفت
الطريق مباهجه

وأما وجه الظلمة فمن غياهب النفس السوء شهوات
ملامحه، ومن روح عالقة في مشانق الهوى ضلاله.
متى تتوه الروح؟

مادمت مسيرا في فلك، فأنت عبد المسير، ومن سار على هدي
هدي، غير أن في أهل العلل من الأرواح، النفس غدارة والعين
زائغة والقدم تزل، والتقلب طبع القلب، وإلا ما كان الهوى.

الطمع باب اللذة وسيفها في الصدور، وهو المضلل
للمسعى والمغلق للمسلك والمغدق للشهوة.

والشهوة مصيبة الروح المتنمرة، حتى إذا جاءتها تملكها
بالطيش والقتل والفتك في تيه لا حد له ولا حدود.

وفارق بين تيه الطمع وتيه الخلوات

تيه الطمع تكدس وزحام، كلما كثر العدد قل المدد، وصار
المداد دما.

وتيه الخلوات هدى وونس، تتصحر المسالك فتخضر
القلوب، وتجف الحلوق فتفيض القامات بالرطب.

والروح الغارقة في تيه الشهوة بنت شيطان، غايتها الضلال،
وغوايتها التسلق والتملق.

في تيهها، لا عورة لوقور، ولا عزة لأصيل، ولا حرمة لعابد،
ولا فضل لعالم.

والروح المعتلة بالتيه، وسعها تابوت، وفتحها شر، إذا
طافت بمكان ضربه الجن، ولفحته النار، وعافته السكينة،
وجافته الرحمة، وفي حضرتها يخشى النور أن يتسلل،
والعذراء أن تتدلل، والأبواب أن تفتح إلا لمن رغب الفرار.

ومن سار خلف الأرواح التائهة تاه

تقول له من قلب التيه: ما أريكم إلا ما أرى، فلا يرى إلا
سراباً في سراب، وينظر إلى أبعد ما يظن أنه ناظر، فيرتد إليه
بصره خاسئاً.

وتزيد الروح المعتلة على من اتبع هواها، فتقول: ما أهديكم
إلا سبيل الرشاد، فمن أجاب خاب مسعاه، إذ أن السائر على

غير بوصلة لا هدف لسعيه، وهو وإن كان في جبروت فرعون فإنه إلى الغرق مصيره، ولا صرح ينجي الروح التائهة من كشف الغريق، فلا ينفع ارتقاء على بغاء، ولا بنيان فوق وهن، ولا شأن فوق شين.

وفي ذلك الزمان أرواح تائهة حد الضياع، من فرط تيهها صارت محط إلهام، كلما أوحلت في التيه بلغت من القلوب الحناجر، حتى غدت قلادات على صدور العامة والدهماء من الأرواح التي تاهت في أثر من تاهوا.

ويصير التيه للروح مرضا خبيثا إذا إذا اقتدت به الأرواح، فيتتشرفيروسها في الأنفاس فلا تنفث إلا الخبث، ولا يجني منها العباد إلا التخلف والرجعية، وهي كخفافيش الظلام لا يقتدي بضلالها إلا كائنات الليل.

والقناع من هول أعراض التيه، فروح العليل به كلما أوغلت في التيه تقنعت خلف وجوه كثيرة، سيدها الشهوة، ودينها المال، وبوصلتها الميل للصغير والكيل للكبير والمفسدة للبشر والحجر.

وحد التيه هو اكتفاء الروح
ولا تكتفي الروح إلا بالقناعة.. فهي صهر القناع، وقهر
الطمع، وعقار الشهوة.

والروح التائهة كأثر الحرب.. خراب وأطلال في النفوس
التي ضربها الطاعون وشردها في الأنحاء وجردها من سترها.
وعمار النفوس الخربة هو العزل قبل الطهارة، وإعمال
المشرط فيما تقيح من جروحها وما ركذ من مياهاها وما فسد
من أخلاقها.

ولا يستقيم العلاج إلا بالصبر على الألم في التطهر،
والانتظام في تعاطي مضادات التيه.

ومن مضادات التيه التي تقوم اعوجاج الأرواح، دفعها
بالأرواح القويمة التي رزقت حسن الحضور وبشاشة الوجوه
وفيض الإبداع.

وعلاج الأرواح المضلة هو إضلالها عن ضلالها، والقائم
بدرء المفسدة هي الأرواح التي يطمئن الناس إلى حديثها،
واعتادوا منها على ما ينفعهم ويمكنهم في أرضهم.

ومن المضادات: دفع القول بالقلم، والضلالة بالإبداع،
والتشطي بالإثمار، والتفاهة بالثقافة، والخنجر بالريشة،
والسهم بالإسهام، والإسفاف بالأصالة، والوقاحة بالفصاحة،
والترهيب بالترغيب، والتفجير بالتفسير، والتنطع بالتفقه،
والتكفير بالتنوير، وظلام التيه بالنور.

ولأن الضلال على غير هدي، فإن العلم هو در الدواء،
ولا يوكل العلم إلا لمن علم الناس بعلمه وانتفعوا به، وإلا
تاه العالم إلى نهايته مجرورًا بالأرواح التائهة إلى ضلال مبين.

(5)

السفور

سكة سفر هي الحياة بحلوها ومرها، ونحن في السفر بلا
زاد راحلون، إلا من الروح.

حياة الروح حياؤها، وسفورها موت قبل الموت.

السفور من علل الروح وكربها، أعراضه الإعراض عن
العفة، والميل إلى التبعج والتنطع والتعري.

الأرواح السافرة منزوعة الحياء، إذا نزلت تكشف الستر
وتبوح بالسر وتغرق صاحبها فيما احتجبت عنه الرؤيا،
وصمت عنه الآذان.

وهي كالخيل الآبقة، ليس لها لجام يكبح لسانها.
وهي الزجاج إذا استند إليه ظهر عار، أبان وفضح.
وهي مارقة كالسهم في صلب المكنون والممنوع.
وهي السوسة تنخر في جدارات الأرواح، تصيبهم بالخوف،
وتكرههم على الانزواء ولزوم الخلوة ومفارقة الجمع.
وهي الباحثة دوماً عن الدقائق والصغائر في طباع الخلائق
ومتون الحقائق، تنفخ في صغيرها فيتورم، وتعصف بساكنها
فيهيج، وتنزع عن الوجه نضارته فتراه مصفراً.
وشر السفور في الأرواح ما يفقد الراحة ويدمر الهمم،
وصادف روحاً سافرة كيف تضرب حصن الأمن، وتحرق
زرع المتوكل، وتمنع ماء الوجوه أن يحفظ.
وجالس سافر الروح، تقاطعك السكينة ويفر منك الثبات،
وتهتز روحك لزلزال سهامه.
وحادث سافر الروح، ستجد قوله الباطل، وشهادته الزور،
وعينه الخيانة، ويده البطش، وقلبه السواد، ونفسه الشر.

وسافر بصحبة سافر الروح، فلن تأمن لزدك إن حرسه، ولا
لظهرك إن استدبره، ولا لروحك إن خلا بها.

وعاشر سافر الروح، يسمع شرك الغريب، وينهش جرحك
الذباب، ويهجر بيتك الصاحب، وتفرغ خزائنك خيرها، ذلك
أنه طقس فاسد لا تنمو في حضرته نبتة، ولا تتنفس كربة، ولا
ترتاح روح.

ولعلاج السفور في الروح دواءان:

أحدهما بالمنع والآخر بالردع

والمنع يكون باجتناّب أولئك السافرة أرواحهم، فلا
تجالسهم ولا تخالطهم ولا تسلك بهم ولا إليهم طريقا،
وإن أكرهت على حديث معهم فلا يكسرك منهم حجة، لأن
حجتهم ضعيفة وأسانيدهم باطلة، وإن غلبوك بالصوت
فاغلبهم بالحجة والرزانة، فكل ثرثرة تعري صاحبها، وكل
يقين مشفوع بصوت حكيم رزين.

واحذر من النعمة أن تظهرها في حضرة السافرين، فإنك
إن حدثت بها سافرت عنك بسفوره، واعلم أن الروح السافرة

تسير شياطين تفسد الحرث والنسل، فإن وقعت في شرك هذه الأرواح الشريرة فتحسس ما لديك من نعم، فقد يصيبك نقص المال وضعف الولد بقوة السفور وشيطان الحسد.

أما ردع السفور في الروح، فيلزمه جهاد كبير، يبذله من ارتقت أرواحهم درجات لم يبلغها كثير، ومن اعتمدوا على ما أوتوا من فضائل الإصلاح والمثابرة من دون أجر إلا المودة في القريب والبعيد.

وذوو الارتقاء يبحثون عن الأرواح السافرة، فيسترون ما انكشف من عوراتها، ويصلحون ما ظهر من عوارها، ذلك أن لديهم من الترياق ما يكفي، ومن التجلد ما يمنحهم القوة لاحتمال ما تنطوي عليه الروح المريضة من ندبات وتقيحات.

والشاهد في ذلك، أن الروح في ارتقائها ترى ما لا يراه غيرها من فساد الأرواح، والعلم بأعراض المرض ليس كافياً لعلاجها، ولذا فإن المرتقين يعلمون بأصل داء السفور، وهم الأقدر على منازلة المرض وإبادة العرض والوصول بالروح السافرة إلى أول الطريق.

وفي حضرة السافرين، يكون المرتقي هو الطبيب الذي يتحمل لكمة المريض وسففه وتشنجه وبصقه ورفضه ووقاحته، حتى يهدأ هياجه، فإذا هدأ بدأ الطريق إلى علاجه بالحكمة والمضاهاة والمقارنة والمقاربة، وهو في صبره يقطع شوطاً في جهاده بخطى واثقة لا ينال منها انتكاسة الروح المريضة، موقناً بأنه لا علاج من دون آثار، ولا يسلم المعالج من بطش المريض - كما سبق ذكره -.

وتهذيب الجوارح والأعضاء من قوى الردع للأرواح السافرة، ومنهج التهذيب قوامه التربية وطريقها صعب، لأنها تقوم عوداً شاخ على السفور واستعذب الشهوة وأدمن على التطفل والفضول، لكن أصحاب الهمم لا يفقدون الأمل والنور طريقه مفتوح ما دامت الروح المعالجة تحلق في فضاء الارتقاء.

ومن التهذيب، مجازاة الأرواح السافرة حتى تنال القصد من سفورها، فإذا أصابها نصر زائف على فريستها، ونالت غرضها وأرضت غريزتها، تلقفها المعالج فيرد سيفها في صدرها،

ويسقيها مرارة الكأس حتى يبلغ حلقومها فتترنح من الألم، ثم ييدي فرحه في وجعها ويتمايل انتشاء بكشف مستورها، حتى إذا أدركها الحزن وسكنها الخوف، سقاها الحكمة بالتجربة، والدواء بالعلة، وزجرها بالطيب، وسترها بحجاب النصح.

وقبل أن تمنع أو تردع، فاعلم أن الإنسان على نفسه بصيرة، وعلى روحه حسيب، وكسبه حسابه، وعليه فإن أفضل الدواء ما كان من وقاية تمنع الروح من سفورها، ومن التجسس على ما ستر من خفايا الأرواح، وما بني من أسوار للاعتزال فلا تتسلقها بالابتذال ولا تعريها بسوء المقال، وما كان من حديث النعم فلا تبادله إلا بالمباركة، وما كان من ذكر البلايا فلا تقابله إلا بالمفارقة، إيماناً بأن الأرواح- كل الأرواح- تدور في فلك، ولا أمان للدائرة من ثقب الجدار، ولا مأمّن للأرواح من الشرور ما دامت الدائرة تدور، وكل ساق من كأسه يسقى، ولا ترياق إلا النور.

(6)

النفور

ورد في داء الكراهية أن «الكره قرين النفس، يقودها إلى النفور من كل طيب، والخروج على كل جميل لتكيل له كرهها عبر إشارات وموجات خبيثة تبعث بها إلى العين فلا ترمي إلا بشرر، وإلى اليد فلا تصافح إلا بغل، وإلى القدم فلا تخطو إلا بأذى، وإلى اللسان فلا يقول إلا الأباطيل».

وفي لقاءات الأرواح، ثمة لغة لا تنطق ولا تسمع، حروفها إشارات، وألفاظها شحنات منها السالب والموجب، وفي استقبال الشحنات وفهم مكنون اللغة الروحية يرهن النفور والقبول، وكل روح حسب صفاتها وإتقانها لغة الصفاء تطابق سميتها، وتبلغ سموها أو تسقط لسافلتها.

وتتعارف الأرواح بشفرات تلتقطها حتى وإن بدت الوجوه غريبة والأسماء مبهمة، فالصفات تكفي أن تبعثها الروح إلى أليفتها بعلم الوصول، وهو العلم الذي لا يفقهه إلا من حسن باطنه فاستحسنّت الخلائق ظاهره.

وبالقياس الميتافيزيقي، فإن التنافر أيضا يحدث بين روحين بإشارات مماثلة، ذلك أن العوامل التي تحفز على كيمياء التفاعل بينهما خاملة لعطب في إحداهما أو كليهما، وفي ذلك تفصيل لكلا الحالتين:

فقد ترى وجها يقبضك وتأنفه روحك فلا ترق لقلوه ولا ترحب بحضرته، وتبقى روحكما بين احتمالين: الأول أن روحك سيئة سلوكها سلبي وإشاراتهما كذلك، ومبعوث رسائلها إلى روحه (الطيبة) مشفر منفر، فلا يصل إليك منه إلا النفور والإعراض، وتتمادى روحك في رفضه حتى لو صهر كلا الروحين في وعاء لتبخرت إحداهما وبقيت الأخرى تتقلب على النار رحمة من التبخر مع النافرة منها.

أما الاحتمال الثاني، فهو تماثل روحين في مدار شر واحد، وهما يتباعدان كذلك حتى وإن بلغا من الشر مبلغا واحدا، وتفسير

ذلك مرجعه الكراهية التي سبق ذكرها، فالسالب النافر يولي دبره من السالب المنفور منه، وهما في التنافر والإدبار يخلفان دائرة من الشر يهلك من يدور فيها ويحترق من تمسه ألسنة نيرانها.

وقد تسأل: هل تتنافر الأرواح الطيبة؟

من سنن الطبيعة أن الطيور على أشكالها تقع، والأرواح طيور سابحات باحثات عن شبيهاها ومن في سلسلة فصيلتها، لكن الأرواح الطيبة لا تسلم هي الأخرى من آفة النفور من بعضها والهروب من دائرة تجمعها.. فما العرض، وما دواء المرض؟

انقباضة الأرواح الموبوءة بالنفور، قد تصيب الأرواح الطيبة أيضا حتى إذا التقى روحان طيبان من دون سابق معرفة لا يتجاذبان، وربما ترى إحداهما في الأخرى مسكن شيطان، وهو ظن في غير محله ودرب من الظلم لا يستقيم وجوده في روح سليمة.

وعندما تنفر الروح الأولى (الطيبة) من الروح الثانية (الطيبة)، فإن نظرية الشحنات يصيبها الخلل، واللغة الروحانية تفقد قواعدها، لكن هذا العرض ينقصه الديمومة حتى يمكنك القول ببطلان النظرية وعوار الميتافيزيقيا وهرطقة كيمياء الروح.

فاللقاءات الأولى بين الأرواح ليست دائما محل تطبيق
لنظرية التجاذب والنفور، وإنما العبرة بما يتبع من لقاءات،
وهنا تنتقل الولاية من الروح إلى القلب ثم اللسان.

والقلب إذا طاب يطيب القول، وإذا طاب القول أصاب كل
طيب من القلوب، والكلمة تصبح هي الشحنة الجامعة للتعارف
والتألف بين الروحين الطيبين، فينتقلان من دائرة النفور إلى
النأف، وتعود النظرية إلى وضعيتها برهانا وإثباتا بفعل الوقت
والقلب واللسان الذين هم عزوة الروح وغزوة محبتها.

وسل نفسك:

كم نفرت روحك من شخص ثم ألفته؟

وكم انقبض صدرك من لقاء أول تمنيت فيما بعد أن يكون
عمرك كله هذا اللقاء؟

وكم ندمت على سوء الظن بروح، صارت فيما بعد وسادة
روحك وسندها؟

وكم أهدرت من فرص التقائك بأرواح سليمة وراقية لأنك
أثرت الصمت فبعدت بينكما المسافات وعز عليكما التعارف؟

علم روحك الحديث

فالمرء بحديثه مسبوق بـ«ال» التعريف، ومن غير حديث
نكرة مبهمه روحه لا يعرف ولا يعرف.

واعلم أن اللسان ليس زائدة لحمية بين فكيك، ولا سوطا
تجلد به خصومك، ولا سما تमित به الغائبين..

لسانك رسول روحك إلى أليقاتها من الأرواح.

لسانك يد حانية على روح الخائف والمستجير.

لسانك ذوق الطيب، وطيب الذائق، ومعسول الكلم،
وغسول الروح.

لسانك هو المحفز لكيمياء الروح، والمفسر لميتافيزيقيا
الفطرة الروحانية.

لسانك هو المترجم للغة الأرواح، المرسل لإشارات
الالتقاء، وماسح شفرة الارتقاء.

لسانك إن طاب قوله، تحصنت روحك من داء النفور.

(7)

الوحشة

كيف تشعر إذا كنت وحيدا؟

كيف ترى الجدران والشواهد وما الأشياء حولك؟

هل تخشى السكون؟

هل تفقد طعم الأشياء ولا يبهرك أي بريق؟

ماذا ننتظر من تلك اللحظات غير ما أنت فيه؟

الصورة البديعة التي كانت تطلقك في براح، لم تعد كذلك.

الإبتسامة التي طالما أفرغت ما بداخلك من ثقل، ضلت

طريقها إلى شفتيك.

الوسادة الناعمة التي كنت ترمي عليها رأسك الثقيل فيطير
في الخيال كعصفور فرح حديث العهد بالطيران، غدت شائكة
تدق رأسك بالقلق والسهر.

الحلم الذي كان يأتيك في صحوك دون أن يستدعيه
خاطرك، لا تراه إلا كابوسا موحشا.

الكلمة التي كانت تؤنسك وتلمس بندها قلبك، لا تتجاوز
أذنك.

اللقاءات التي كنت تنتظرها وتهيء روحك لها قبل
موعدھا، صارت حضورا باهتا روتينيا بلا شغف.

الحركة الزائدة المفعمة بالنشاط والحياة، ما أثقلها عليك الآن.
الصباح الذي كنت تشواق لنوره.. كم طلع من الصباحات
وعيناك معصوبتان؟

الليل وأسرار البوح وتراتيل السكون.. كم فاتك من
أحاديثها في صمتك الحزين؟

الأماني العذاب.. لماذا صارت أوهاما؟

الخطط المستقبلية والطموحات.. لماذا أودعتها صناديق
الذكريات؟

نوبات الشوق.. لماذا أبدلتها بتلك الندبات العميقة في
قلبك الضعيف؟

نهم التجول وهوس المسافات.. لماذا أصبحت جذع
شجرة بائسة؟

الألوان التي تضيء هنا وهناك.. لماذا لا تصل إليك إلا خافتة؟
هل تشعر بشيء غير الخوف؟

هل ترى إلا الخوف؟

هل تسمع إلا صراخك الصامت؟

إذا كنت كذلك، فأنت الآن مصاب بعطل فني في مركز
التحكم، ولن تعمل أجهزتك بكفاءتها المعتادة، قبل أن
تكتشف علتك وموطن عطلك.

سرك في بئرك

وبئرك هو وحدتك

ووحشتك وحشتك

ووحشتك في روحك

هنا يكمن العطل

ومن هنا تبدأ العلة

ومن هنا أيضا يبدأ العلاج.

الوحشة عمى الأرواح، إذا أصابها أربكها وعطل مدارها،
والنتيجة: أعراض الخلل في وظائف الجوارح والأعضاء

فمن أين تأتي وحشة الروح؟

ألم الوحشة مر سقيم، ومصدره ليس وحيدا كما عرضه،
فالعطاء يجلب الوحشة

فمن الأرواح من ينير ظلام الدروب للسالكين، ويجزل
العطاء لمن يسأل ومن يتمنع، وهي في عطائها لا تسلم من
إنكار تارة، وعدوان تارة أخرى، وبين الإنكار والعدوان عليها
تتوقع وتهن، ولا تجد سوى الوحدة ملاذا لا تجني منه إلا
وحشة، فلا ترغب في قرب، ولا تقدم على عطاء.

والخوف يجلب الوحشة

ومن الأرواح ذلك النوع الرقيق اللين، من تفزعه شرار الأرواح وما تنمر منها، ولا تحتمل رقتها غلظة ولا أذى، وهي إلى الوحشة أقرب لا تندمج في جمع، ولا تستقر في مقام غير الوحدة والانكفاء على نفسها، والاكتماء بخوفها من باب «من خاف سلم».

والكتمان يجلب الوحشة

وتنزلق الروح الخائفة إلى الكتمان، فالبوح في عرفها عري، ومن خلع حجاب ستره، صار نهشا للجوارح، ومطمعا للأرواح المشيطنة التي تهوى الخوض في كل ما استتر. وحصن الكتمان يضيق على الروح كالقبر يضمها ويعذبها.. وأي وحشة كوحشة القبر، وأي ظلام كظلامه؟!

وضعف اليقين يجلب الوحشة

واليقين روحه الثقة في قدرة من بيده الطلب، وإذا ضعف اليقين غلقت الأبواب، واعتل الرجاء ما دام بلا ثقة تحقق المرجو، وإذا

ترمي الروح يقينها بالشك، تتململ في وحشتها، ومهما كان ما ترجوه قريباً، فلا تشعر بقربه ولا تراه من حيث يراها.

وعلة الوحشة من ضعف اليقين شقوق في الروح تضلها الاستقامة وتقصدها الهوام من الخلائق، فلا سكن فيها ولا أمان.

وانظر إلى من ضعف يقينه من الأرواح، على مد بصرها يكون ضيقها، وعلى قوة بدننها يكون ضعفها، وعلى بديع الجمال حولها لا ترى إلا عوجاً وقبحاً.

وغياب اليقين يفسد الاستشعار للطيبات من الأرواح، فإن صادفت الروح الضعيفة روحاً طيبة ابتعدت، لأن الشك فيها عقيدة والخوف مما لا تعلم منهاج، والبعد وإن أوحشها فهو أحب إليها من قرب لا تأمن عواقبه.

واعتلال الرؤية يجلب الوحشة

واعتلال الرؤية من ضعف البصيرة، والعين ليست إلا عدسة تلتقط ما تريد الروح أن تبصره، فإن كان مكنونها خير أبصرت الحقيقة في كل منظور ولم تظلم منه شيئاً، وإن كان غير ذلك، فبصرها خداع ووهم كبير، وعلة بصيرتها تقودها إلى صدمة تلو

الصدمة، حتى إذا تدغدغت من هول صدماتها، تهقرت وسكنت
قرار الوحشة فلا تخرج، ومن نزل إليها أصابه ما أصابها.

وبضدها تُعالج الأعراض

أشد الأرواح وحشة ما كان مرضها من عطاء تبذله دون رد
أو حمد، ودواؤها أن ترد العطاء مرده الجميل.

تلك الوردية في حديقتها

على اختلاف ألوانها وعطرها وما تؤسر به القلوب وما
تهديه للحزين والعاشق والعاير، فلسفتها العطاء دون انتقاء

يد نظيفة تقطفها فتبوح بعطرها

ويد ملوثة تلتقطها فلا تكتم أنفاسها

وسكين يجرح قلبها فلا تأبى أن تفوح

هي فقط تعطي أعز ما لديها، ولا تشترط عزيزا لعطائها.

والشمس في كبد السماء

هل تصطفي رأسا بنورها؟

هل يبني الزهر من ضوئها ويحرم منه الشوك؟
هل تجعل للأرض من دونها سترا؟
إنها فقط تعطي، حتى عبدتها أرواح من فرط عطائها
وبزوغها.

والقمر في ليله
هل يربت على قلب عاشق دون غيره؟
وهل يهدي سائحا في التيه دون آخر
إنه يضيء ويكتمل بدرا حتى لأولئك الذين في قلوبهم
مرض وفي أرواحهم نقص.

العطاء خير وجود، وحتى لا يوحش روحك كن في العطاء
كالوردة الأبية، عطرك للجميع من دون مقابل.
كن الشمس نورا لمن يلتمس النور، دفئا لمن أراد التدثر
بروحك.

وكن كالقمر في جوف السماء ملهما لمن اهتدى، منيرا
لمن ضل السبيل.

وكن روحاً عطاؤها من دون رد، وحضورها من دون وحشة.

كيف تبرأ الروح من خوفها؟

إن آفة الخلائق هي خوف الأشباه بعضهم بعضاً، ذلك الخوف الذي ينافي الطبيعة وسنن الكون، فالأصل في النظائر أنها على قدر واحد وقدرة واحدة وإن تفاوت عزمها وحزمها وتغولها، وهي إن أيقنت أن مبدأها ومبتهاها هو العدم، أدركت أن الخوف من المعدم عدم ووهم، وإذا أنزلت الروح الأرواح منازلها، نالت السكينة وسكنها النور.

وقاعدة الروح تقول إن النور يذهب الخوف ويرهب الوحشة.

وتبرأ الأرواح إذا أدركت الدرجات

فلكل مرتق درجة في الصفاء

ولكل نظير في الارتقاء نظير

لا ترهبه من نظيره قوة

ولا توحشه في حضوره وحشة

إذا ارتقت الروح إلى درجتها، سكن خوفها مما دونها من درجات، وفي فضل الارتقاء ترتقي وتطمئن حتى لا يصيبها أي خوف ما دام دون الدرجة العليا، حيث لا خوف إلا من قاهر كل الخوف، ولا أمان للمستجير إلا في جواره.

أما الكتمان فهو خانق الروح وقابض البراح، وكيف لا تأتي الوحشة لمخنوق أو مقبوض؟

والروح التي انكتم همها بداخلها، تغلي كما القدر المحكم غطاؤه، وحزنها إن بدا موقوتا، فإن القنبلة حتما ستنفجر، ما لم يبطل مفعولها وتبدد خطورتها.

البوح هو سر العلاج

واللسان هو الطبيب

وروح سليمة هي التي تتناوب على علاج العلة.

الروح الكتوم هي الأقصر عمرا، لأن الكتمان يلازمه التوتر، والتوتر يلزمه انزواء، والوحدة الموحشة هي الوسادة التي تمتص الدموع والهموم ولا تبدلها إلى حال أفضل.

البوح يجرف الأحزان من الروح المعتلة، ويحصنها من الوحشة والانفجار، وقصف الأعمار.

إذا وجدت روحاً تسمعك، فاقراً لها طلاسك، واتل عليها نبأ حزنك وغمك، ولا تتعجل فإنك على كل فائز: إن قلت.. أفرغت شحنة الكبت والكتمان.

وإن أسعفتك بطاقة نور.. أصبحت خارج دائرة الوحشة.

وأنت تحرر روحك من وحشة الكتمان، اعلم أن:

ليس اللسان وحده يبوح

فاليد تبوح، إن علمتها الغرس والدرس والعطاء والحنو

والقدم تبوح: إن سعت تنشر النور وتمشي بالخير في مناكب الدنيا

والقلب يبوح: إن علمته الرحمة والتمني والعون والطيب.

وانظر إلى العابرين في الدنيا

وانظر إلى جموع الخلائق

وانظر إلى تسابيح الطير

وانظر إلى حفيف الشجر وحبّات المطر والشمس والقمر
والنجوم السحاب المسخر
إن كل حركة تدب على الأرض هي بوح من فرط كتمان.
السماء سماء الروح
والأرض مسرح ناظرها
فلا تحمل الروح بالكتمان ما لا طاقة لها به.
والروح يشتد يقينها فتبرأ
والطريق إلى اليقين سهل لمن أراد، لكنه مشروط بعلم وحلم.
العلم بأن كل قدر يجري بقدر
وأن الخطوة مكتوبة والتصاريف محسوبة
وأن الشك زائل في حضرة اليقين، فلا سبيل لعقل أن يضل،
ولا لقدّم أن تزل، ولا ليد أن تغل.
واليقين بأن من يغلل يأتي بما غل.
وسبيلك إلى علم الروح بيقينها أن تعي وتدرّك:

فإنك تعقد العزم على قطع الطريق إلى مقصدك، دون شك في الوصول، لأنك على يقين أنك مستعد بما ارتديت وبما عرفت من درب الوصول وبما اتخذته من وسيلة للانتقال، واليقين هو حقيقة أنك ستصل.. ولا شك في ذلك.

وإنك ترغب في بناء يرضيك لتقيم فيه، فإذا أحضرت لوازمه وروافعه ووسائل إعمارها، لن يساورك شك في أن أرضك الفضاء تلك، ستصبح سكنا ومقاما حقيقيا دون شك. وإنك إذ أردت أن تعد مشروبك الساخن، فإن شعلتك وكوبك وأعشابك مادامت بيدك، فلا مانع من بلوغ تلك الرغبة.. وتلك حقيقة.

واضرب لك مثلا تلو مثل.. ستجد الحقيقة وتبلغ اليقين. هذا ما يظهر لك من اليقين.. الحقيقة الظاهرة التي لا يحول دون بلوغها إلا غياب الأسباب.

لكن جل اليقين هو ما لا يظهر لك، وهو ما تعتل الروح بضعفه، إذ أن النفس تميل إلى الملموس والمحسوس، ولا

تثق في الغائب والمستتر، وهذا من أسباب علل الأرواح ووحشتها، ودواء تلك العلة، أن تعمل الأرواح في يقينها بالغائب ما تعمله في يقينها بالظاهر، ما دام كل يجري بقدر، ولكل شيء مستقر ومستودع.

والحلم في اليقين أنفع دواء للروح في تبديد وحشتها فهو زاد الروح إلى بلوغ اليقين ما ظهر منه وما بطن وهو الذي يجعلك تصبر على طول الرحلة إلى وجهتك. وهو الذي يعينك على تحمل مشقة البناء لتسكن بيتك وهو الذي يطفئ حرارة الانتظار حتى يغلي الماء بمشروبك الساخن.

وإعمال يقينك الظاهر فيما غاب عنك من يقين، يأخذ بروحك إلى قوة لن تنال منها الوحشة أبداً، لأن من يسكن حصناً منيعاً لا تخترقه السهام، ولا يتسلل سوره أعداء، ولا تصيبه وحشة.

وتصويب اعتلال الرؤية، يبصر الروح فلا تصيبها الوحشة.

إن العين ترى ما يوحي به القلب، والرؤية في أصلها بلا عوار ما لم يكتنف دواخل المرء سوء وخبث.
والبصيرة طهارة الروح من علة الرؤية.
البصيرة ترتقي بالعين من ظاهر الإبصار إلى دالة بصيرته.
وهي مشروطة بقوة اليقين بما يخفى عن العين ولا تدركه الأبصار.

ومن جوهر تصويب الرؤية وارتقائها إلى البصيرة، تقديم القلب على العقل، فالقلب أكثر نورا ورؤية في هذا المقام، أما العقل فإنه لا يسلم من الشطح، والشطح باب الشك، والشك صد اليقين، وإذا ضعف اليقين تاهت البصيرة في ضباب الرؤية وسحب الشك، فلا ترى الروح إلا ما ظهر، وهو إلى الوحشة أقرب.

البصيرة عين الروح
فوق مدار الرؤية ترى
وعلى طريق النور تمشي
وفي سعي المبصر بالقلب والذي يأتيه اليقين.. لا وحشة للروح أبدا.

الفصل الثاني

انتكاسة الروح

حقيقة يجب أن تعلمها:

إهمال الدواء انتكاسة للعليل، مهما كان مفعول الدواء،
ومهما بلغت نباهة الطبيب.

وانتكاسة الروح في علاجها مما سبق من أمراض، أخطر
من انتكاسة الجسد المعتل بمرض عضوي.

فالتبيب هو أنت.. وأنت لا تزال في فترة النقاهة

والدواء يلزمه دوام، وأنت لم تستطع معه صبرا

العضو إذا انتكس في المرض عاوده الألم

والروح إذا انتكست عاودتها كل الآلام:

الكراهية والتهيه والشبهة والوحشة والتنمر والنفور والسفور
وإن كانت في مرضها بأحد هذه الأعراض يرجى شفاؤها،
فإن هذا السرب من الأمراض إذا اجتمعت على الروح، صارت
عضالاً صعب الدواء، وإن استشرت في جنبات الروح، فإنها إلى
الانسحاب أقرب، وإلى الفصام سائرة، وعلى حافة الموت مقبلة.

كيف تنتكس الروح؟

اعلم أن انتكاسة المرض أشد وطأة من المرض، لأنها تكون
مصحوبة بخيبة الأمل في الشفاء، والخيبة تجلب الحسرة،
والحسرة معسرة ومهلكة.

تكون الانتكاسة إذا فقدت شرط الدوام:

تقوم فاعلية الدواء على التسلسل والمتابعة، فكل حلقة تشد
أزر حلقة ليكتمل بناء الحصن الذي تأمن فيه الروح علتها.
وإذا كانت أمراض الروح ليست كأمراض البدن، فإن فلسفة
التداوي دليل المرضين وقانونهما.

فالروح قد تنتكس بعد تعافيتها من الكراهية وتنسحب من دائرة الحب التي أوجدها الدواء.

يفتح الشيطان ثغرة في جدارها الرقيق، ويحقنها بالغلظة وغبار الحق.

ويتسلل الفجور إلى جذور الحب فيعمل فيها حتى تتييس وتجف.

والخصام هو الفصام:

فخيال الروح بمرض وينسج الأكاذيب

تحدث بما لا يراه الناس

وتنكر ما أقرب به الأشهاد

وتتوهم ما لا توافقه الحقيقة

والدرجة التي ارتقتها بالحب، تنقصها بما تغل

والعطر الذي نشرته على الأغيار يفسده الكره

والقلوب التي سقتها بكأس الحب، تؤلمها بالقهر

والأرواح التي أنست بنورها، تهرب بنارها
والرحمة التي أنجبها الحب، تعذب العابر والمقيم
والطوق الذي ألقته به للغريق، يشده إلى الماء
والحنين إلى اللقاء، أنين ووجع.
الانتكاسة في الحب ارتجاع وردة.

فلا عطاء بعد المنع

ولا خير بعد الشر

ولا رغبة بعد الرهبة

ولا حصانة لقلب

ولا قرة لعين

ولا نزهة لروح

ومن سوءات انتكاسة الروح في تداويها من الكراهية، أن
يصيبها الغرور، فتحسب أنها تخرق الأرض، وتنسحب من
الخطو إلى العالي والكبر، وقناعها في الغرور هو النقص
الذي لازمها إلى انتكاسة العلاج.

ويعود المريض المنتكس، فتصير عينه أشد رصدا وحسدا،
وسمعه أكثر تلصصا واستراقا.

وفصام الروح كما فصام الشخصية، علاجه يطول، لكنه بلا
عقاير تطفه، ولا ترياق يلجمه، والوقاية منه أنفع من علاجه.
والصبر على الدواء أقل مرارة من انتكاسة العلاج.

ودوام الحب صلاح الروح

فقط تؤمن أن الحب هو الدواء، والسير بين الناس بالحب
أنفع للروح وأشفع للألم الذي لن يعود إليك أبدا ما سكنتك
الحب وارتاحت به روحك.

وتعود الروح إلى التمر إذا عاودتها إحدى علاماته الأربع:
العمار الذي سكن خواءها بالحب والمنح والنصرة والانحياز
والاعتبار والافتقار، يتسلل إليه خراب يبدو في أول الانتكاسة
حدث عارض، لكنه لا يدع في عمار الروح شبرا إلا جرفه، ولا
شرا إلا أيقظه، ولا سلاما إلا دق في سكونه طبول الحرب.

والحرب التي تشعلها الانتكاسة في الروح الخاوية، حرب
جائرة لا عدل فيها ولا أخلاق، فالروح المتممرة هي من تبدأ
بالعدوان والهجوم والسلب والفتك والغارات، وكل من
يصادفها من الأرواح ضحايا، وكل من تؤلمه من القلوب سبايا.
الأرواح المتممرة إذا انتكست، انتصرت على كل شيء إلا
نفسها، كلاهما مهزوم وكلاهما غنيمة للفناء ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا
أَنْفُسَهُمْ﴾ [البقرة: 9].

وانظر إلى حال من انتكس وتنمر:

كان خواء روحه موحشا فتوحش، وطالت أنيابه وتخضبت
بدماء الخلائق ثيابه، فلما هدي إلى الدواء وتعقل وأدرك أن
النباب للحيوان، والفتك من شرع الغاب، سار على بصيرة لكنه
لم يداوم ولم يجاهد روحه لتكامل عمرانها، ولم يغادر شفاؤه
السقم، فانتكس وسن أنيابه وعاد يبطش.

وما أشد المرض بعد انتكاسة العلاج للروح المتممرة، لن
يكفيها ملء الأرض دما، ولو شربته ما شبع.

وغدر الروح المتنمرة بعد انتكاستها ليس غدرا، إنه يجاهر
بافتك فتهجم من الأمام، وتنهش من القلب، وترهب الآمن
في النور، حتى إذا خلا لها وجه الليل تحصى الدم وتفرح بما
خلفته من ألم وهم.

وترى المتكس تحسبه تعافى، فإذا به وقد نزل به من التبجح
ما نزل:

الطعنة التي كان يسدها في الظهر، يخبر ضحيته أنه
سيذبحها في وقت معلوم.

والفخ الذي كان ينصبه لها، يكرها على معاونته في حفرة،
ثم يدفنها.

والمؤامرة التي كان يدبرها بليل، يجمع الناس ليتها
عليهم، فلا راد له ولا معقب.

ويزيد صاحب الانتكاسة في تنمره:

كان يطمع في صيد الأغيار، فأصبح حوت البحر وقرشه.
كان يقطع الطريق على الفرائس، فحملوا إليه متاعهم كأنهم
يساقون إلى الموت وهم ينظرون.

كان يرقب المليحة في خدرها، فغدت تنزين بالدموع
وتتكحل بالخوف في مغارته.

ولا يعود المنتكس من تنمره إلا إذا ضلت أنيابه هدفها إلى
روحه فاستهدفته.

ولا ينجو المنتكس إلا إذا هدي إلى الحب، وكفاه النور عن
الجور والتنمر، وأزهده في الدم والنار وأخرجه من ظلمات
نفسه إلى براح روحه وفطرتها.

وفي رحلتها مع مرض الشيب تنتكس الروح في علاجها،
فوصف الدواء لشباب الروح طلاقها من الهم طلاقاً بائناً، إذا ما
توفر هذا الشرط، فلا أمانة للشيب في حضرة نضارة الشباب.
لكن الانتكاسة تبقى واردة، ما لم تسد نوافذ الهم إلى الروح.
يقول الطبيب للروح المعتلة:

إن الهم خطوة واحدة، فاعبر بها ولا تعبر إليها.

وعامل الهم كما تعامل الفرح بحيز الوقت والمكان الذين
يستحقانه، وإلا تصاب الروح بالصدمة، فما العلة إلا بهم زائد
أو بفرح زائد «لكيلا تأسوا على ما فاتكم، ولا تفرحوا بما آتاكم»

ويستجيب المريض:

فيسد على همه الأبواب

يجعله خطوة على طريق أبيض، وإن صار ندبة سوداء،
فالسلام الروحي كفيل بتجاوزها.

ويرجوه عقدة وحيدة تنفك بعدها كربته.

ويبتسم لألمه فيهزمه ويلزمه بالعودة إلى مكمته.

ويدب الشباب في الروح بالنور والسكينة واليقين بأن:

الرعد والبرق يصحبان المطر

والورد لا يسلم من شوكة في العنق

ورحلة الصيد لا تسلم من الأنواء والعواصف

وللحياة سكرات شأن الموت

والهم طهارة للروح إن أيقنت بعله البلايا

ويرحل المرض:

فلا تمنع السنون الأرواح من شباب دائم

يزول الهم بالأمل
وتترك البلايا بإدراك الروح لجمالها.. والجمال شباب
الروح وحصنها ضد المشيب.
ويصحو الضمير فتتجدد خلايا الروح
ويجرد الخيال من الخمول
وتصل الروح إلى صباها وصفائها، وإن بلغت قرنا في
مسيرة الأعمار.
ثم ينصرف الداء عن الروح، وتنصرف الروح عن الدواء
فتتكس:
يمرض الخيال.. لا يبصر إلا القبح، وما أهم الروح أكثر منه.
وتنقسم العقدة إلى عقد تخنق الروح وتعقد رأس صاحبها
بالحموم.
وتهاجر الخطوب إلى الروح فتستوطنها وتتزوج فيها فلا
تبارحها.
والسلام الذي سكن الروح، لم يطب له فيها مقام.

واليقين الذي ألهمها الرجاء يذروه الشك في كل شيء
والشمس والقمر والنجوم.. بقع سوداء في الروح المنتكسة
والأرض ضاقت
والسما انطبقت
والحب أكذوبة
والروح شاهت وشابت فلا ترجو إلا خلاصا، ولا ترى إلا
عجزا ولا تحس إلا وهنا على وهن.
إذا نعمت بشباب روحك، فاحفظ النعمة لتدوم، ولا تكن
للشيب مطمع، فإن الأرواح لم تخلق للشيب.
كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها تكون انتكاسة
الأرواح التائهة.
لكل وجهة مسلك، وبوصلة الأرواح التائهة نورها أينما
وجدته اهدت.. فكيف تتكس من الهدى إلى الضلال؟
إن مسار الروح في الحياة بين طريقين:
طريق السلام، وطريق الضلال

فأما السلام فهو طريق الروح إذا ما تداوت من التيه، كما
سبق تفصيله

وأما الضلال فهو الردة والانتكاسة:

مبدؤه الحيرة

وتحيد فيه الروح عن قوام سبيلها فتعوج وتميل، وتضطرب
بوصلتها فلا تصل إلا للتائهين.

لا حد لسيرها

ولا قبلة لخطوها

ولا شاهد لدربها

كيف تتوه بعد الوصول؟

تتيه إذا لم تداوم على عشرة الأرواح الطيبة.

إذا ثاقلت عن السعي إليها

وإذا سلمت روحك للشهوات، فكل شهوة تجلب شرا من
الروح، وتدفع خيرا عن الروح.

وإذا زهدت الخلوات

فالمختلي محفوظ بالتأمل، والمتأمل لا يتيه مهما أضلته
الخطي، ومكرت به الأرواح.

ومن زهد الخلوة تاه في الزحام، وتلقفته الأرواح الشريرة
من درب إلى درب لا يصله نور ولا تقرأ له بوصلة.

وفي عودتها إلى التيه، تتمدد الروح في التابوت بعد البراح.
ولا ترى في عيون الخلائق إلا مغارات وقبور.

والعلاج من بعد الانتكاسة ليس ميسرا:

فهذه الروح التي أنست بها الأرواح وألفت مجالستها،
كيف تفتح لها الباب بعد انتكاستها؟

وقوافل النور التي تسير في فلك التعريف والتبصير تهتدي
بها النجوم في العلياء، وتنحني لمرورها الأشجار.. كيف
ترضى أن يسير في ركبها شعاع شارد؟

والروح السافرة إذا انتكست، فجرت

وإذا فجرت فلا ساتر للأرواح من فجورها.
إنها تحمل خنجرا خلف ظهرها، لا تلبث أن تشق به الأستار،
وتهتك به الأسرار، وتعاير الناس بما ابتلوا به من الأقدار.
وتتعجب الخلائق من تلك الروح:
كيف يرضى بالقاع من ذاق سمو الارتقاء؟
وكيف يقبل الدنيئة من أكرم الدواء مقامه، وستر سفوره؟
لكنها أعراض الانتكاسة، لا ينجو منها إلا من شاء له أن
ينجو.



الباب الثالث

ذاكرة الروح



ذاكرة الروح

هي لا تنسى لا من ألتقت، ولا من إليه ارتقت، ولا من يروق لها من الأرواح.

لا سعة لذاكرة الروح مهما أحبت من عداد الأرواح، ولا سقوط من ذاكرتها مهما عبرت من سنوات.

وذاكرة الروح أكثر إخلاصاً من ذاكرة العقل، وإن جمعتها صفة التذكر، فالروح تبقى متفردة بحفظ ما لم يلتقه الجسد، وينطبع في ذاكرة العقل.

ماذا ترى في ذاكرة الروح؟

البدايات الملهمة:

اليد الأولى التي سرى منها الحنان

والحنان بصمة في مهد الروح لا تفارقها

كانت الأم هي من حفرت في روحك قلبا يطمئن ويأمن
ويشتاق.. قلبا ينبض منها تماما كما الحبل السري الذي
تغذيت منه وخرجت إلى النور

في ذاكرتها، كل الانطباعات الأولى تمر بالروح قبل العقل،
إذ لا عقل يسبق الروح في الإدراك، وتتنظم الصور الأولى
كنقوش لا تزول:

نقب بداخلك، ستجد في ذاكرة الروح كل العيون التي
تفتحت عيناك عليها منذ أدركت الرؤية وميزت الأرواح
بروحك البريئة، فمن الأرواح من اقترب منك وجهها
فأفزعك، ومنها ما ألفتة وفرحت به، ومنها من زاد في نور
الحضور فتعلقت به، وبكيت لغيابه.

إنها الروح وما أدراك حين تعشق.

عشقها حفر على جدران لا تنال منها عوامل التعرية ولا
رطوبة السنوات، ولا تقلبات البشر.

ودلالة النقوش الأولى في جدار الروح، كما العشق في
شغاف القلب، إنها تكتب بمفعول اللاإرادة، وبقوى علوية
تطوع الروح البكر لغرس يدوم، وهذا من أسرار تآلف الأرواح،
فالروح الصغيرة في أول عهدها بالحياة لا تملك بصرا واعيا
ولا عقلا نابها ولا قلبا ذكيا، لكنها تملك روحا زكية نقية شفافة
لا ينفذ إليها إلا الطيبات من الأرواح.

فلمن تكتب تلك النقوش؟

تكتب النقوش لكل مقيم حفظ أدب الجوار

ولكل متشبه بالروح مقدس لحقوقها

ولكل قريب جاهد أن يكون قربه نعيم الروح

ولكل خفيف على الأرواح لطيف على القلوب

لجميل المحيا، ورقيق الأنامل

لمن يتسمون إذا صادفتهم وجوه خائفة فتطمئن

ولمن حسن منهم القول وطاب منهم العطاء

لأولئك الذين يحرسون المنارات ويدأومون على العناية بالمصاييح.

لكل عابر ترك أثرا من عطر أو شجر أو عمران ثم رحل.
لكل من في محيط الروح يرعاها ويسعى إليها ويزود عن نقائها،
ويؤمن ببقائها، ويحفظ سطحها الرقيق من الخدوش والندبات.
لأولئك الذين إذا حضروا أشرقوا، وإذا غابوا لم يفارقوا،
وإذا نادتهم الأرواح هرولوا على طريق النور.

وخارج محيط القرب، تبقى ذاكرة الروح براح لأرواح لم
تنل وجوها حظ اللقاء،

هؤلاء هم أشقاء الروح.. فهل التقيتهم يوما من دون لقاء؟
إنك في شرودك قد تبسّم فجأة، يراك الناس مجنونا وترى
نفسك كذلك، إذ لا علة ظاهرة لتلك الابتسامة العابرة إلا
روحك التي تدور في فلك أرواح تسبح في الفضاء الكبير،
وتصطفي من هذا المدار توأمها فتسعد به، وأنت بالروح مسير
فتجري على شفتيك ابتسامة اللقاء اللامحسوس.

وفي لحظات الصفاء، قد يتحرك لسانك بحديث لا تسمعه إلا حركات على استحياء تبدو على عضلات وجهك، وتحسبه من الخواطر ومن باطن العقل، وما هو إلا حديث تفضي به الروح إلى روح مثلها ارتاحت في نقشها المحفور على جدار روحك. وفي الحب.. ذلك السر الكبير تنتعش ذاكرة الأرواح قريبها وبعيدها

وتموج الذاكرة الروحانية بكل من كان له رسم على جدار الروح، وبكل من كان له في نقوشها نقش.

أنت لا ترسم صورة من تحب في مخيلتك، وإذا عددت أوصافه وأنت تهيم بمحاسنه، فتلك ليست صورة تتمناها وترسم تفاصيلها، لكنها روحك هي التي تقرأ نقش الحبيب على جدارها، حتى إذا ما بحث بالصورة أو أسررتها في نفسك، فإن الروح تنبض كما القلب حبا، وفي سر ارتباط الحب بالروح دليل على نقشه في الذاكرة الروحانية، ومنه وصف الحبيب بالروح ومنه ما سيأتي ذكره مما يصيب الروح من داء العشق.

وفي ذاكرة الروح حافظتان: حافظة لأهل اليمين من مآثر ما سبق فيهم الحديث منهم السلام وعليهم السلام.

أما حافظة أهل الشمال من الأرواح، فنقوشها كالإبر والوشم المشين في جدار الروح، وهم وإن احتلوا سعة من الذاكرة الروحانية، فلا رتبة لهم ولا فضيلة ولا علة ولا مفعول إلا كما علة أجهزة الإنذار وكشف الخبيث من الأرواح والأمصال المضادة لسموم الأفاعي.

وكما يفوح عطر أهل اليمين زكيا في ذاكرة الروح، فإن أهل الشمال من الأرواح يثيرون الغبار إذا ما قرأتهم نقوشهم المحفورة بالخبث والخبائث.

ترى وجه الواحد منهم، فترتعد روحك كأنك قرأت تعويذة لتحضير مارد، وفي حضور المارد لا صوت لك إلا دقات قلبك السريعة، ولا نصارة في وجهك إذ ينال منك شحوب الخوف ورهبة اللقاء.

وأهل الشمال من الأرواح قريبهم كبعيدهم، متى شفتهم الذاكرة الروحانية حضروا وأرهبوا وأفسدوا ما ظهر وما بطن من سلام الروح السليمة.

فالحديث الصامت على شفتيك دليل توتر وخوف.

والعبوس المهيمن على ملامحك لن يسمح لابتسامة خالصة وغير مسببة أن تتسلل إليك.

وإن كان من يراك وأنت مأسور بروح طيبة في ذاكرتك يظن بك شيئاً من جنون، فإن هيئتك في حضرة أهل الشمال من الأرواح لذاكرتك الروحانية سترسخ اعتقاداً لا شك فيه أنك مجنون فعلاً بشهادة وجهك العابس وعينيك الخائفتين وأطرافك الباحثة عن منفذ للهروب.

ولكن.. إلى أين تهرب ومصدر خوفك بداخلك؟

إن الأرواح الخبيثة الساكنة في ذاكرتنا الروحانية كالجن إذا تلبس البشر، يقضون المضاجع ويربكون الثوابت ويعبثون بالخلائق ويفقدون الواثق خطوه ويشيرون الظن في كل حقيقة، وهم كثير في الحياة واقعا وافتراسا:

في أول خلقك..

كل من رمقك بنظرة الحاقد

ومن قرص خدك الصغير بغلظة

ومن صرخ في قلبك الضعيف برهبة
ومن انتزع لعبتك بعنف
ومن حرمك من حق ظنته مكفولا لك
ومن أبكاك كثيرا وضحك كثيرا
ومن تلذذ بضعفك واستعرض قوته
تشحن ذاكرتك الصغيرة وتمتليء وأنت تكبر، وأهل
الشمال من الأرواح ينقشون صورهم القميئة على جدارات
روحك ويرسمون طلاسهم:
من تربص بخطوك، فحفر لك كل فخ عميق
ومن رصد محاسنك، فشوه منك كل معلم جميل
ومن طعن غيابك بسم لسانه، ونهر حضورك بإعراضه
ومن غدر بعهد البقاء
ومن خان الجوار
ومن قطع سبيل الحوار

من شق صفوف الأحبة
ومن سعى بالشر بين الخلائق
ومن يكرهك طوعا
ومن يصحبك كرها
ومن يؤتيك سؤلك رغبة في معايرة
ومن يأخذ منك رغبة في انتقاص
من ينصف المعتدي ليؤلمك
ومن يأوي عدوك ليتمكنه من رقبتك
ومن يستحل روحك ليسحقها
من يبسط يديه ليخنقك، ومن يقبضها ليلكمك
من يظن نفسه دوما خيرا منك
ومن يراك من حيث يريد أن يراك في دائرة السوء
وقلوب أهل الشمال من الأرواح مغارات مظلمة ومخيفة، إذا
ادعت الحب فطيورها سوداء تجلب النحس، وورودها زواحف

تنفث السم، تهديك الضلال، وتورثك السقم والعلة، وتتغول على ضعف قلبك ولين مشاعرك، ومعاشرتها كمعاشرة الأشباح يسكن بيوتها الخوف والسهر والحمى والجنون والموت.

تشحن الذاكرة الروحانية من هؤلاء وهؤلاء، وتتعدد الطلاسـم وألغاز التعاويذ، وتعمل أجهزة الإنذار إذا ما رصدت منهم القريب أو البعيد.

ما أوسع ذاكرة الروح، وما أضيق احتمالها، وما أصعب الصراع بين أهل اليمين وأهل الشمال في دهاليزها.. إنه صراع بين النقوش.. بين الأثر الحميد والطلاسم..

لمن الغلبة: النقش المنير بذاكرة الروح، أم النقش الطلسم الملغز؟

من عظيم صفات ذاكرة الروح أن خيرها يدفع شرها، وأن تبيان نقوشها يطغى على طلاسـمها، وهي قاعدة النور السرمدية، فالنور مهما كان قليلا، فإنه يشق قلب الظلام ويبقر مكنونه.

والظلام فعله مؤقت، وكذلك طلاسـم الأرواح الخبيثة في ذاكرة الروح، فإن الروح إذا استعصت عليها القراءة نفرت

منها واستحضرت في نقوشها روحا طيبة تحمل من الصفات السيئة نقيضها، وتبدد بالنور ظلماتها.

ولولا هذه الخاصية الذكية في الذاكرة الروحانية، لاستوحش البشر في وضح النهار، ولاستحوذت الأرواح الشريرة على مسارات ودروب وأفلاك البشر تجري بأمرها، وتتيه في ليل لا يرى النور.

ولأن كسب الأرواح الشريرة السيئات، فإن الذاكرة الروحانية بما أوتيت من نور، تدفع بالتي هي أحسن تلك السيئة أينما تتحرك طلاسما وتحلّ لعنة تعاويذها:

أنت تسير في الأرض، تقدر خطوة وتخطو بك خطوة. والروح دافعك و دليلك في كلتا الخطوتين:

خطوتك التي تقدرها أنت رقيب عليها وصاحب أمرها، هنا حيث تخطو يأخذك القلب إلى قلب تجد في صحبته الونس، حتى إنك لا تحسب عدد الخطوات، ولا احتمالات الخطر ولا وعورة الطريق، كل ما تفعله أنك تستسلم لا عن خوف ولا ضعف، وإنما عن يقين في أن دليلك شمعة في الظلام،

وقلب هو الوسادة إذا ما أثقل رأسك التعب، والسند إذا ما وهن عزمك، والعطاء إذا ما نضب خيرك.

والناس للناس نفعا بما استراحت به روح إلى روح، وبما قرأت روح في ذاكرتها روحا.

في سفرك، تسبقك الروح بإشارة من ذاكرتها إلى روح هناك، إذا التقيتها تجمع فوائد السفر السبعين، ووجدت سكنا ومودة ورحمة.

والذاكرة الروحانية لا اغتراب فيها، فمن يحملون نقوشها ويحفظونها مهما أبحرت بهم الأشربة، وحملتهم الطائرات في سماوات مفتوحة، وأطلقت بهم القطارات صفيها، ومهما عبروا بحارا وطوت أرواحهم أميالا، فهم في وطنهم الكبير .. إنه عالم الأرواح الذي يستنشق عطرا من الجنة وسلاما من أهل اليمين.

حتى في مقام الغياب، هناك روحا تطبطب على روحك، وتعينها على احتمال ما لا يحتمله القلب الضعيف، وكم من غائب لم يفارق الناس حضوره، وكم من حاضر لا يدركه بصر المحيط، ولا يتبع له أثر، لولا الروح التي تثبت غيابه وحضوره.

إننا في خطونا الإرادي ندفع بما تلهمه ذاكرة الروح كل شر
فالمتربص بالسالكين في الدروب، يدفعه أهل الإنصاف
وحملة القناديل

والهائج الغادر في عرض البحر، تردعه ملائكة الموج
والغراب الناعق في ديار الآمنين، تصده بشارات الريح الطيبة
والجوارح الناهشة للقلوب، تشق أسرابها سهام الحب.

وفي خطوتك التي تخطوبك، قد تتعثر في أهل الشمال من
الأرواح، وما أكثرهم في ذاكرتك، يتحورون حجارة وحفرا
وأشباحا في طريقك، لكنهم لن يضروك إلا بقدر ما يحتلون
من روحك، ولن يعرقلوا سيرك إلا بقدر ما يحصون من عداد
أهل اليمين في ذاكرة روحك.

وانظر إلى روحك، أنت رقيبها منذ أدركت أنك إنسان، ومنذ
دبت فيك عزيמתها وعلمت بسرها ووصفها وعوزها وكفايتها،
وكونك ملهما بما فضلت به على كل جسد من غير الإنسان
يحمل روحا، فإنك من تملأ الذاكرة الروحانية مما شئت من

أهل اليمين وأهل الشمال، وأنت من تقرر أي الفريقين خير
مقاما وأشد تأثيرا.

وعلى كل فاعلم أنك إذا ما كانت روحك سليمة فإن
الذاكرة الروحانية تنقش أشباه روحك بمداد الحب وحروف
النور، وأن من تنفر منه روحك ومن تخشى لقاءه وتتوق إلى
مفارقتها ولا تسعى إلى أن يجمعك به واقع ولا خيال ستنقشه
روحك في ذاكرتها بالظلام والخوف والنفور.

وقوانين الروح عادلة:

فالحب يهزم الكراهية

والنور يطفئ الظلمة

والذهب يطغى على الصدا

والحق أشد بأسا من الضلال

والخير سيد الشر

واليقين يبدد الشك

وما ينفع الروح يبقى في ذاكرتها

وما يقتل الروح يبقى في ملافظها
ولا غلبة لأهل الشمال من الأرواح مهما تكاثروا، لأن أهل
اليمين هم السلام، والروح لا تبتغي إلا السلام، وذاكرتها لا
تسقط ولا يصيبها وهن أبدا ما داموا فيها.



الباب الرابع

الارتقاء الروحي



قصيرة حياة الجسد كنفس خاطف.. من أول نفس إلى آخر
نفس رحلة لومضة لا تشعر في آخر الطريق إلا بانقضائها قبل
أن يعود الجسد كما أنشئ أول مرة.. إلى التراب.

أما الروح فهي الطائر المتمرد على الأرض، حلمه الدائم
أن يرتقي ويخلق فوق علات الجسد، ومثقات الأعضاء.

لماذا ترتقي الروح؟

ترتقي الروح لأنها صاحبة السمو وذات الجوهر النوراني
والحجة العليا والأمر الإلهي، ولذا فإنها ترفع عن الصغائر،
وتلك شيمة المرتقي.

والعلة في الارتقاء الروحي، هي علة السقوط والصعود،
وتحرير الروح من خطايا الجسد، فالذي مصيره الأرض
وباطنها، ليس كمن مناله السماء وسموها.

والجسد ليس إلا وسيلة الروح في ارتقائها، وما كانت الوسيلة إلا لبلوغ الغاية، وكل درجة بفضيلة، وكل فضيلة قربان للغاية السامية.

وتجهيز الوسيلة أول مراتب بلوغ الغاية، فلا تمضي سيارة إلى قبلتها من دون وقود، ولا تسري الدماء في عروق مثقوبة. وتجهيز الجسد كوسيلة للروح في رحلة ارتقائها يكون بتهذيبه عضوًا عضوًا كي لا يسلم الروح إلى هفواته ويرهقها فلا ترتقي.

والقلب أول الأعضاء مرادًا بالتهذيب، وهو القائم بأمر الجسد وبيت صلاحه، إن استقام اعتدل به القوام وقويت به العزيمة واستعانت به الأعضاء على مهامها.

والقلب لا يضخ الدم في الجسد، لكنه يدفع اليقين إليه، وتلك وظيفته الروحية.

والعقل سيد الجسد ميلًا واعتدالًا، فيه هداية الأعضاء إلى رشدها، وفيه ضلالها وغيتها.

والفهم سداد العقل، فإن تفهم شق طريق التدبر، وعلم
حكمة الوجود وعلل الظواهر وبواطن الكلم، وصار إلى
الارتقاء قبطان الجسد ومرشد أعضائه.

واللسان سر الجسد، فيه الصوت والسوط، وهو رغم
ضعفه، يحمل ما تشفق من حمله الجبال.

ونجاة الجسد بحد يلجم اللسان عن الطعن واللعن والشهادة
بغير شواهد، والحديث بغير حدث، وذكر ما يعاب ذكره.

واليد مفتاح الخير وآلة العطاء الذي يلهم الجسد أن يمنح
العابر ويدعم الضعيف ويطعم الجائع ويكف الأذى عن كل
درب يسلكه أهل النور.

وكلما كانت اليد في مقام البسط، كان لها في كل مغلق فتح،
وفي كل صعب فرج، وفي كل منزل مكرم، وفي كل جدار منفذ.

والقدم دالة الجسد إلى شواهد النور، إذا اعتدلت في
خطوها وطرحت الخرق والخراب في ممشائها، هدته إلى
صراط مستقيم حيث أول الباب إلى مقام الدرجات، وحيث
تكون الروح في مقام الارتقاء.

هي الروح الشامخة الباسقة الواصلة إلى المنتهى لتبدأ دورة حياة جديدة.

هي الروح الحائرة في جسد طائش بلا حساب، سائر إلى التراب.
هي الروح المبتدئة بالنقاء، المنتهية بالغبار، المحملة بأدخنة المحارق، وأبخرة الشر، وعرق الشقاء اللامنتهي.

إن الروح التي تسري في أوصالك تشتهي الوصل إلى جذعها، لكنها مقطوعة بك عنه، وتشتهي الصعود إلى ما تنزلت منه لكنها مجرورة إلى ما حفرت من خنادق، وما أقمت من مشانق، وما دققت من أوتاد تشدها لتهوي إلى أرض الهوى فاقدة هويتها ومغردة خارج سربها.

سترتقي بالروح لأنك لا تملك غير الارتقاء سبيلاً للخلاص.
سترتقي لأن الارتقاء الروحي هو أمنك وأمانك وحصنك وحكمك.

إذا أردت الصعود إلى السلم الروح، فاعلم أنه سلم إلى السمو والسماء، قوامه الهمة والعزيمة، وأهله هم أهل الخاصة

من الأرواح الذين عرفوا الطريق فسلكوه، وشاهدوا سلم
المجد العالي فرغبوا في ارتقائه.

ستشد قدميك لأنك ستبدأ رحلة لأهل الصفوة من الأرواح.
ستخزن في صدرك أنفاساً تعينك على صعود سبع
وعشرين درجة، كل درجة تدفع إلى درجة، وكل مقام يرقى
الروح إلى مقام، حتى تبلغ المقامي العلي وتستوي في منزلة
الناجين الذين عرفوا الغاية المثلى فحشدوا الوسائل وأعدوا
الزاد لبلوغها.

فاقرأ باسم الارتقاء

واكتب باسم الارتقاء

واصعد سلم الارتقاء

وانتظر روحك الراقية، وانتظر الخلاص لك ولمن معك،
وامتلك إرادة السمو وهمة الصعود إلى أول درجة من درجات
الارتقاء الروحي.

الدرجة

الاولى

تربية الروح

التربية هي الدرجة الأولى لتقوم الروح مقام الارتقاء.
والروح في تنشئتها كما الطفل الصغير يحتاج إلى من يعلمه
أبجديات الأشياء وفنون التعامل مع الحياة: كيف ينطق؟
وكيف يضحك؟ وكيف يرد الفعل؟ وكيف يمشي؟ وكيف
يتجنب إيذاء روحه؟

وروحك هي طفلك في مهد الصغر، إذا أردت تربيتها
وجب أن تترفق لها وتتهجج اللين في تهذيبها، وإلا فقدت
شرط انصياعها لك وامثالها لمنهجك.

ولطالما اعتبرتها صغيرة في مهد التربية، فسلوك الروح هو
مسلوكك في التهذيب، وعزيمتك في التلقين والتعليم لا بد أن
تكون بإرادة الراغب في الارتقاء بحثاً عن الدرجة العليا.

وقبل أن تبدأ بتربية روحك، اعلم أن الدائرة تدور وأنك إذ تلقنها مدونة السلوك وأخلاقيات الارتقاء في المهد الآن بوصفك المعلم والدليل، فإنها فيما بعد ستكون مقودك ودليلك وناطقك بما أنطقتها، فكل إناء بما فيه ييوج، وأنت من ملأت إناءها، فاحرص على غرس ما يثمر لك من الطيب وما يجلب لك الخير.

إذا قررت أن تربي روحك تربية جيدة، فإن للتربية الروحية أصولاً وأبجدية تتحلى بخلاق الخلق الأول الذي بعلمته كانت الروح.

والخلق الأول هو الفطرة النقية التقية لا تشوبها شائبة، ومرد الروح إلى فطرتها هو بذرة التربية الرشيدة، وعليك السؤال: لماذا وجدت الروح على الأرض؟

وعليك الجواب: خلقت الروح لتعمر الأرض، وفلسفة العمار تدحض ما يمنع كل زرع أن يثمر وكل نهر أن يجري وكل دائرة أن تدور «قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويهلك الحرث والنسل».

وما دمت سألت وأجبت، فقد وجب عليك التطبيق وتركيزية الروح عن كل ما يناقض علة وجودها «قد أفلح من زكاها».

ومن تربية الروح أن تلقنها سنن الكون وفروض الوجود وتعاليم الحياة وحق الخلائق وواجبات الطبيعة التي سخرت من أجلها.

أن تعلمها أن تخطو على استحياء كي لا تدوس الأخضر فتهلكه، أو تدب اليابس فتفزع ساكنه، وأن لا تعبت بالأشياء فتفسدها وتوغر صدور أصحابها.

وتربية الروح قوامها الاعتقاد في غيب تكوينها، وتأصيل وجودها لحكمة من أوجدها، وإيمانها المطلق بما يغيب عن قدرة العقل الصغير في فهم خلق الكون الكبير، متسلحا بمنهج الكاف والنون والإرادة العلوية التي تسمو فوق كل إرادة، وتجريدها من الجدل والسفسطة فيما ثبت من شواهد تجاوزت محدودية العقل إلى القدرات العلوية.

فالصغير إذا سألك من أين أتيت؟

قلت من أبيك وأمك

وإذا زادك: من أين أتى أبي وأمي؟

قلت: من أبيهما وأمهما

وإذا زاد قلت: من الذي أوجد الروح

وإذا زاد: فمن أوجدها

قل: من أمر ربي

ولا تزدد.. فوصل الروح بما لا يصل إليه العقل ييسر تربيتها
 ويفتح عليها بركات السماء فلا تضل الارتقاء في درجته
 الأولى، وترك الجدل في الثوابت الكونية يحرق الأرض
 للغرس ويوفر جهد المربي لبلوغ درجة أعلى.

وأنى وصلت الروح بأصلها، فقد حصنتها بمنهج التربية
 القويم، ووضعتها على درب السالكين إلى السمو الروحاني،
 وأنت تخطو بها علمها الأبجدية الروحانية كأساس تربوي
 لدرجتك الأولى:

الألف: أتى الأمر، فلا عجلة في اللقاء إذا علمتها أن تشد
 الرحال وتأتي بما ينفع الناس.

الباء: باسم الذي أوجدها تبدأ السعي في مناكب الأرض
بفطرة النقاء الروحاني.

التاء: ترى في كل مخلوق علة، وفي كل منطوق حكمة،
وفي كل شيء آية ودليل.

الثاء: ثرى الأرض مخلوق لمن يزرع في بطنها الخير
ويخرج كل مزروع بأمر.

الجيم: جمال الروح هو الحب، فإن المحب في أمان
الأعالي لا يأتيه الباطل من يديه ولا من خلفه

الحاء: حد الواجد أن يلزمه الموجود بما استأنمه على ظهر
الأرض

الخاء: خوف الروح من بارئ الأرواح فرض الكينونة

الدال: دليل الروح إلى الارتقاء دالتها إلى المعرفة وعرفانها
بمن أوجدها

الذال: ذهب المرتقي ذهابه إلى حيث تصفو روحه، وبريقه
في الوصل بما هام به الفؤاد.

الراء: ردع النفس عن شهواتها طهارة للروح من الهوى
وتجريد للقلب من الميل وحصن للنفس من التيه.

الزاي: زينة الروح زهوها بما تزهد فيه من الدنيا وما ترغب
فيه من النوافذ النورانية.

السين: سؤال من لا يملك الجواب خطيئة، وسير المثقل
بالخطايا ضلال وظلام.

الشين: شوق الروح إلى النور عدل انقباضها من جحيم
النار، الزاد لمن استزاد وكل نفس بما كسبت.

الصاد: صدر المرتقي قبلة المرتجف، ولقمة الجائع
ووسادة الحائر.

الضاد: ضلال الروح طريق الجحيم، من لم يلتمس نوره
خاب سعيه وساء صنيعه.

الطاء: الطين أصل الجسد وسلم الروح إلى السم، من
سقاه ارتوى، ومن أجده سقم.

الظاء: الظن يطرد السكينة من الروح والراحة من البدن،
والرضا من القلب، ويطفئ النور في طريق السالكين.

العين: عبث الأرواح قرارها في غير مستقرها، وسروحها في غير مدارها، واعتقادها بغير من تجري بأمره.

الغين: الغرور نقص الأرواح وداء القلوب وكسر القامات وقتل الهمم.

الفاء: الفضيلة فجر الروح، والرذيلة فجورها، وجامع الفضائل يطرح النور ويأنس به العابر والمقيم.

القاف: قول الراغب في الارتقاء ظل للمستجير ودفع للمرتعجف.

الكاف: كرب الروح قربانها وطهارتها، كلما اشتد كربها زاد قربها.

اللام: لين الروح قوة يقينها، ولا تهون الروح اللينة ما بقيت.

الميم: منفذ الروح مستقر كل شعاع ومستودع كل خائف.

النون: النور رشاد الروح وحياة الجسد وفناء الخوف.

الهاء: الهوى قطع الطريق وزلة الأقدام وإجهاض العزيمة.

الواو: وسام الروح وصولها إلى الحقيقة، وراحتها من أهوال الطريق.

الياء: يقف على قدم الثبات من ارتقى إلى الدرجة الأولى، ويسمح بالتقدم لمن حفظ آداب الارتقاء.

إذا علمتها الأبجدية، فخذ بيدها لتقرأ فقه الإنسانية وتعاليمها، كي ترتقي إلى درجة أخرى من سلم الارتقاء إلى السمو الروحاني على أساس تربوي سليم ونهج روحاني منزه عن كل شائبة أو شطط أو عدوان.

الدرجة

الثانية

أُسْنَةُ الْوَحْيِ

«يخلق ما يشاء ويختار»

خلقتك إنسان وهذا شأنه، واختارك للإعمار وهذا اختياره، وأنت محرك إنسانيتك وهذا قرارك، والحساب جامع لما أوتيت من صفات الإنسانية وما اتخذت من طبائعها وما خلفت من آثارها.. فهل أنت مستعد لتحاسب من أعطاك على ما قدمت لقاء عطاياه؟ وهل تملأ صحيفتك بما يسد عنك دين الديان وحقوق الخلائق الموجلة دونما سداد؟

الروح هبة الإنس والجن والحيوان، لكل صنف سلوكه الروحاني، لكن الإنس سيد أرواح الخلائق، وللبشر من الخلق كل مسخر لخدمته، وميسر له.

وأنسنة الروح أن تتحرر من سلوك وصفات أرواح الجن والحيوان.

الإنسانية رسالة السماء إلى الأرض، وأنسنة الروح أن تكون القائم بالاتصال بين ما تعاليم الإنسانية ومسالك البشر، فليس كل بشر إنسان، وإن من البشر من يسلك من مسالك الجن والحيوان أسوأها وأشدّها إيذاء وتفريقاً.

والإنسانية رتب ومقامات يرتقي إليها حامل الروح فيصير إنساناً بحسب عزمه، وعلى قدر أولي العزم تأتي العزائم:

الرتبة الأولى: الوعي

من وعي مقامه، لزمته الحجة

والإنسان إذا ما أدرك أنه إنسان لا حجة له في سلوك مسلك آخر غير الإنسانية التي تستقيم بها الحياة ولا تستقيم بغيرها.

والوعي من العقل، والعقل مرتبة التكريم لهذا الجنس عما عداه من أجناس الخلائق، فإن وعى لماذا خلق وما علة خلقه، سار بين الخلائق إنساناً لا يبطش ولا يقطع ولا يؤذي، ولا تستجير الأرض من خطوه.

الرتبة الثانية: الامتنان

آفة الخلائق النكران، وقهر النفس وأد ما تعطي، ومحو ما تؤدي من خير.

ومن تعلق البشر بالكلاب أنها لا تنسى من أحسن إليها، فإنك إن أعطيت كلبا وأجزلت له من طعام أو شراب هز ذيله وأحنى رأسه ممتنا!، فكيف بالبشري وهو الأولى بالوصف من غيره.

إنك لن تكون إنسانا ما لم تحفظ المعروف وتمتن للمحسن جميل إحسانه وتحفظ لأولي الفضل ما تفضلوا به عليك.

كن ممتنا لمن أعطى وأغنى

كن ممتنا لمن قدمك وأخره

كن ممتنا لمن عبر بك في ضعفك

كن ممتنا لمن أطعمك وسقاك

كن ممتنا لمن ألبسك من ثوبه

كن ممتنا لمن أسكنك قلبه

كن ممتنا لمن أهداك غاليه

كن ممتنا لمن قدم لك الدواء في علتك

كن ممتنا لمن أنصف بعزه ذلتك

كن إنسانا لمن كان لك إنسان

وكن إنسانا لمن فقد في طريقه صورة الإنسان

الرتبة الثالثة: الاتساق

في الطبيعة يبرز الجمال بالتناقض، وتتضح الحقيقة بما تنطوي عليه مفرداتها من عكس واختلاف بين سكون الليل وصخب النهار ونوره، بين الأرض والسماء، بين المطر والجفاف، بين الصيف والشتاء، بين كل شيء مما خلق وضده تبوح الطبيعة بالأسرار وصور الجمال.

وفي البشر، لا محل للتناقض والتضاد فيما اشتملت عليه صفاتهم، ذلك أنها تخرج من يجمعها من رتب الإنسانية السمحاء. والاتساق من مراتب الإنسانية الحسنى التي لا يلتقي فيها ضدان ولا يجتمع في تصنيفها متعاكسان، فالإنسان المتسق

فيه من الخصال أفضلها، وداخله كخارجة لا يرى الناس من صفاته إلا ما يضمرة من الخير:

صدقه دائم، فلا يكذب

وذكره متسق مع سره

وخطاه رهن نواياه

لا يمشي إلا بما أضمر من خير

لا يأتي على جمع إلا زاد به واستزاد منه

ولا يخوض في حديث إلا طابت به الخواطر

ولا يحضر وجهه إلا سرت به النواظر

ولا يغيب إلا بحث الناس عنه يتلمسون وجه إنسان وعقل إنسان وروح إنسان.

إنه الاتساق الذي يبذل النفاق ويمنع الشقاق ويقر طبيعة الإنسان إذ خلق بألوان مختلفة ولهجات مختلفة ومواطن مختلفة، لكنه كان بالأمر على اختلافاته روحا واحدة ورحمة واحدة لمن استقام وقال إني إنسان.

الرتبة الرابعة: الإيثار

في الغابة، حيث لا يجمع العنصر (الحيوان) طعامه إلا بالتغول على غيره، تكون الأنانية هي حاكم هذا العالم الموسوم بالقوة وحدها، إذ لا مجال للرحمة في السعي من أجل هذه الغاية المنتهية، وبين القوة والضعف تتحدد مصائر مجتمع الغابة كل حسب عزمه على البقاء الذي دائما ما يكون للأقوى والأناني، بينما يكتفي الضعيف من الحيوان ببقايا ما يلتهمه القوي المفترس، حتى إذا عز الطعام، وطلبت معدة القوي المزيد، يصبح الضعيف وما ارتضاه من فتات غذاء لتحيا القوة وتستمر الأنا الحيوانية في فرض بطشها على كل ضعيف.

وفي مجتمع البشر، فإن الأنانية أيضا مبدأ لدى العامة، يقوم على عقيدة الطمع من باب أن الفرد لا يشبع حاجة الآخرين إلا رغبة في إشباع حاجته بالأساس.

فمن يقرصه الجوع، ييوح لمن حوله بالرغبة في تناول الطعام جماعة، ولا يعلن عن تلك الرغبة كرما وإنما طمعا في سد جوعه.

ومن طلب من جماعة الخروج للتنزه، فإنه يلبي لنفسه حاجتها إلى التريض والترويح.

هذا سلوك بشري، أما المسلك الإنساني للخاصة والراغبين في الارتقاء إلى هذه الرتبة فهو الإيثار الذي يطرح حاجة النفس رغبة في تقديم حاجة الآخر.

والإيثار مطلب الروح إذا ارتقت فوق رغبات النفس، فلا تطمع إلا لإرضاء من يطلب الرضا «ويؤثرون على أنفسهم».

والروح المؤثرة ترتقي بالبشر من أنا الغابة إلى رتبة الإنسانية، وأثرها يؤصل لعقيدة:

أن البقاء للأرحم

والعطاء للأجود

والنقاء للأكثر إنسانية

والبسط لذوي المقامات الرفيعة

والتقديم لذوي الرتب العالية

وأن المؤثر إذ يقتل أنه فإنه يقدر روحه ويخلد ذكره
ويصير هو الأقوى دائماً، لأنه ارتقى إلى مرتبة من مراتب
الإنسانية وصفات أهل الارتقاء.

الرتبة الخامسة: الحياء

الحياء حياة، تزدان به الروح وتتطهر به النفس وترتقي به
إلى الإنسانية درجة.

وهو المنطقة الآمنة للروح من أن تذلل أو تذلل، فأهل
الخاصة من الأرواح يحترمون الخصوصيات ويبقون بينهم
وبين الأغيار حاجز لا يسمح إلا ببلوغ القشور من العلم بهم
وبكل ما يريدون أن يعلمه غيرهم.

والحاجز حصن لمن اطلع فلا يرى في غيره سوءاً، ولا
يخشى الغير من إغارته على خاصته.

وسير الروح على نهج الحياء يعيدها إلى فطرتها الإنسانية،
حيث كل خاص عورة، وكل ما استتر من أسرار الخلائق
معصوم بالستر، وكل جرأة على ما يؤذي الطباع وينفر النفوس
ويقبض الأرواح خروج على الإنسانية وميل إلى الحيونة.

والروح لا تستحي من قوي دون ضعيف، ولا خاص دون عام، ولا ملاً دون فرد، وإنما تدين في حياتها لكل الخلائق من دون أن تستحي من الحق الذي هو ميزان الكون وعدالة الإنسانية التي تسافر الروح في رحلتها لبلوغها.

الرتبة السادسة: الحمية

إذا بلغت الروح منزلتها من الإنسانية، فإن بقاءها على هذه الفطرة وثباتها على تلك الدرجة المثلى لا يكتمل إلا بمرتبة الحمية.

والحمية أن تتعصب الروح - من دون جاهلية - لكل ما هو إنساني من الصفات والخلائق، فتصد عنه كل معتد، وتكفيه شر كل متطاول، وتأخذ صفه إلى صفها لتصفو وتعتدل.

والحمية تهذب الروح بالأنفة والإباء، وتشد عليها - من دون مشقة لتبلغ بوعيتها وامتنانها واتساقها وإيثارها وحيائها درجة الثالثة من درجات الارتقاء السبع وعشرين.

الدرجة

الثالثة

القاعة

قيل في القناعة إنها كنز، وإنها حصن الإنسان من أمراض الروح السبعة.

وقيل في القانع إنه من درر الخلق وعلى ذكر القناعة، يأتي ذكر الطمع وفيه يقال «قل ما جمع، وأعمى من خضع، وأقلق من هجع».

والقناعة درجة ثابتة من درجات الارتقاء التي تحفظ للروح وقارها وتغل تغولها وتردع شهواتها.

والأصل في قناعة الروح، اقتناع المرء بأن كل مجموع متروك مهما كثر وزاد، وأن الجسد لن يحمل من متاع الأرض إلا ما جاء به: جسد وروح، يتحلل الأول وترتقي الثانية، ولذا فإن قناعة الروح بما أوتيت خير من طمعها في ما لم تؤت وما أوتي غيرها.

وفلسفة الروح في القناعة فلسفة الطبيعة في طباعها:
فالسما لو لم تقنع بارتقائها، لسقطت على الأرض
واتخذتها عمدا.

والكواكب لو طمع كل منها في موضع الآخر لاختل توازن
الكون.

والليل لو لم يلزم إطاره الزمني، لتغول على النهار فما
طلعت شمس ولا غربت.

وقروش البحر وحيتانه لو تمردت على الماء، لما تركت
على ظهر الأرض من دابة.

ولو طمعت الأيدي في طول الأقدام لصار البشر أشباه
قروديسكنون الأشجار ويتخطفون الثمار.

ولو كتب الله على الثقيلين غير لزوم خلق عالمه، لامتلاء
العالم بالمسوخ.

إنها القناعة التي تحفظ توازن الخلق وتهذب طباع الخلائق.
ولا ترتقي الروح أبدا إن أصابها الطمع، فإنها إن اعتلت به، لن
يجني منها العالم إلا خراب الذمم ودمار العمار واعتلال الهمم.

ومنذ ابني آدم وقربانهما، كم تخضبت الأرض بالدماء في سبيل
ما يشتهي الطامعون، فكم تمزقت أعراق وأوطان لبني الإنسان..
الذين فقدوا أرواحهم على موارد الماء حيث يقتتل
الطامعون في المنابع.

والذين نفقوا تحت سنابك خيل يتصارع فوقها من استباحوا
أرض الضعيف ورغيفه.

كل ذكر قتل في بطن الأرض والأم، لأن في كل بقعة فرعونًا
يخشى أن ينازع ذريته في ملكها موسى جديد.

كل فئة صارت وقودا لنار أشعلها نيرون يتلذذ بشواء البشر
على جمر يؤججه قلب متغول.

كل الذين وطأتهم أقدام الهكسوس والتتار والفرس
والرومان وكل مصاصي الدماء وتجار البشر.

إنه الطمع آلة الحرب وسلاح الطغيان وسلم هامان ومفتاح
قارون وسحرة فرعون والذين تسلموا من بعدهم راية الأطماع
في الأرواح والأرض والماء والزرع والزيتون.

والقناعة حرب بين الروح والجسد، بين من يقاتل من أجل الارتقاء، ومن يتلذذ بكسب غير مشروع من أرض وعرض ومال الأغيار، فإذا وضعت الحرب أوزارها بسط المنتصر مقامه على المهزوم.

وانتصار الروح عصمة للنفس وانكسار للأعضاء ودرء للشهوات.

الهواء حق للروح كما هو حق لغيرها، فإن اشتهدت الأنف هواء غيرها، فالروح المطمئنة بالارتقاء تكفها.

والماء حياة كل حي، فإن اشتاق الجوف إلى ماء الغير، ألجمته الروح بلجام الحمد.

والأقوات حق كل نفس، ولكل منها نصيب، فإن أصاب الفم ما ليس له من أقوات الناس، طردته الروح راغبة في ارتقاء من دون سحت.

وشتان بين الحربين: حروب الطامعين، وحروب القانعين
الحرب الأولى مغارم، والحرب الثانية مغانم.

والأرض تجني مغنم الروح من القناعة كرامة وعدلا
واستقامة واستدامة وسلام.

فالقانع كريم بقناعته، لا يعرف البخل إليه طريقا، إن أعطى
غمر، وإن أحب فاظت مشاعره، وإن بسط فراشه آوى كل
ضائق، وإن ضاقت به الأرض وسعت عليه روحه، وإن وجد
في جواره مشاعرا لم يتخذه متاعا، وإن مر به غريب زاده من
زاده، وإن عز عليه العطاء قدم من روحه وبذل من قلبه وجاد
بصحته لكل ضعيف.

والقانع عدل بين كل كفتين، وقائم بين كل قسمتين لا يميل
ولا يكيل لصاحب سلطان إلا بحق، ولا لضعيف إلا بقوة.

والقانع مستقيم من دون انحراف، صراطه النور في دربه،
وفي استقامته استقامة كل مريد له ومجاور لأرضه.

والقناعة استدامة الخير في الأرض، فالطمع نهب الثروات
وجفاف المنابع وفساد الزرع واحتلال المقدرات، وكلما
استزاد المرء من القناعة ارتقت روحه واطمأن جواره وتحصن
جداره ولم ينتقص في أرضه خير، ولم تنزل في منازل نعمة.

وكل أرض تملؤها القناعة يعم فيها السلام، ولا توقد فيها نار للحرب، ولا تنكسر فيها قامة رجل، ولا عين امرأة، ولا يبكي فيها طفل يتيم.

وإذا كان طمع المرء رغبة في استزادة وحصنا من الفاقة وخوفا من الفقد وضياح الهيبة بين الناس، فإن القانع لا ينقص منه شيء ولا يصيبه فقد ولا تطوله قامة،

هو مكتف بما عنده، مالك طول الوقت لزمانه ملتزم بما هو مقدور له وهو غني بما استغنى عنه ولم يفتقر إليه.

وهو لا يفقد ما امتلك لأنه لا يقطع طريقا لامتلاك في ملك غيره، إذ أن المغير عرضة للهلاك والخسران أكثر من المقيم القائم على حقه.

وهو الوجيه في قومه المحافظ على قدره، المحتفظ بهيئته ما دام بحقه اقتنع وعن حق غيره امتنع.

سل روحك: لماذا يجب أن تكون قنوعاً؟

إنك يجب أن تكون قنوعاً لأنك جزء من هذا العالم، ولأن العالم أصبح سيئاً بما يكفي لأن يقول لك: كفى.

العالم يقتله التطاحن وتغرقه الصراعات وتأخذه المطامع نحو النهاية التي تراها اقتربت في كل صورة سوداء تخلفها أطماع البشر في مقدرات بعضهم البعض.

يقول العالم لكل طامع: كفى

لأن في الدائرة الصغيرة، ثمة أرواح ضعيفة تموت كل لحظة بالتغول والطمع من أرواح شريرة تحمل وصف الأب والأم والأخ والأخت والصديق، منهم من يريد مقعد الآخر، ومنهم من يريد طعام الآخر، ومنهم من يريد أرض الآخر، وكل آخرٍ مستضعف لا يملك إلا الانزواء في ركن بعيد يرقب نهاية المأساة وإسدال الستار على تلك الغابة التي تقطعت فيها أواصر الأرحام، واستذأب فيها ذوو القربى، وغلقت الأبواب في وجوه القاصدين والراغبين والواصلين.

إن روحك لا تملك خياراً إلا أن تكون قانعة، فالحياة دائرة تدور، ومن تظنه اليوم ضعيفاً تحت وطأة طمعك، قد يصير غداً أقوى وأشرس يجره تاريخ تغولك إلى التغول عليك والأخذ منك فلا تستطيع معه إلا أن تنزوي بضعفك.. وأي

حياة تلك التي تحياها بين هذا الثأر المتواصل؟ وأي فلك تدور فيه الروح المثقلة بظلماتها غير الشر المستطر وما يجلبه الطمع لبني البشر؟.

وفي الدائرة الكبيرة من العالم، ثمة قوميات وعرقيات وكيانات تبحث عن المجد، والبحث عن المجد لمن لم اعتنقت أرواحهم الإنسانية رحلة زادها الظلم والافتراء والطمع والجشع والقفز على سنن الحياة وعبر التاريخ وتقاسيم الجغرافيا، فتنشأ الحروب وتموج الأرض بالثكالي واليتامى واللاجئين في شتات العراء وأطراف المدن اللافتة لأحشائها.

والعالم الكبير لن ينجو إلا بنجاة عالمك الصغير، والروح وحدة الخلاص فإن صلحت صلح قريبها، وإن صلح قريبها بدت في الآفاق بشارة إصلاح هذا العالم، ففي عروق كل نسل توارث الكراهية، ستجد في شجرته غصن طامع، وروحاً متغولة على حقوق البشر لم تجد من مدونات الأخلاق ومهذبات الشرود ما يقومها ويلزمها مدارها، ولذا فإن القناعة تستوجب تنشئة الأرواح الصغيرة في هذا المقام الإنساني منذ نعومتها دون تهاون، وإصلاح الصغير أيسر من الكبير، وتهذيب

العود الأخضر أنفع من الجاف، وارتقاء الروح مطهرة أخف من ارتقاءها محملة بالغيوم والظلمات والمطامع:

- أقم غرسك بالدرس الأول: الزم ما لك تقِ روحك شر ما لغيرك

- اطمع في ما تحسه يكن وجودك محفوظا مما يطمع فيه أهل المادة

- واقتل الجشع بالمد، إن العطاء يسد جوع الطامعين ويوقف زحف الطامحين

- الجمع بلا بركة فقر بلا نهاية.. والممسكون هم الخارجون إلى الخلاء بالخواء

- نقح ما أوتيت بما لم يؤت الأغيار، فإن من العطاء خبث لا تتركه في رحابك

- لا ترد من أغار على ملكك بغارة، وإن صادف هواك قتله فقد أغواك الطمع وأغار عليك

- إن رضي عنك أَرْضِيْ عَنْكَ الخلائق ورد عنك المطامع وسد عنك منافذ السوء

وأنت تغرس قناعة روحك في أرواح صغيرة، كن على يقين
أنك تقي هذا العالم شروراً كثيرة، وتدرأ عنه مفاسد عظيمة،
وتحفظ لكل امرأة عهد زوجها بالعودة، وخوف ابنها من اليتيم،
وبقاء مدينتها خارج دائرة النار.

كونك قنعت لترتقي.

الدرجة

الرابعة

النعريف

من وجدها وجدته، ومن ضل الطريق إليها ضلت كل الأشياء طريقها إليه.

كيف تعرف روحك؟

التعريف درجة من درجات الارتقاء إلى اليقين الذي تبلغ به الروح مقام الوصول والنجاة.

وتعريف الروح على ثلاثة أوجه:

التعريف بالوصف، والتعريف بـ«ال»، والتعريف بالإضافة إلى المعرف من الأرواح الواصلة.

والتعريف بالوصف، هو الحقيقة الروحانية في محيطها، وإدراك موقعها من صفات أهل الوصل والزهد.

وحقيقة الروح أن تعرفها بما تقول وما تفعل وما تسلك، لأن في درجة الارتقاء هذه شروط إن لم تبلغها الروح لم ترتق.

والوصف المعني بتعريف الروح هو «الأنا»، وعليك أن تخضع روحك لهذا الاختبار وتطرح عليها أوصاف التعريف الروحانية:

أنا: كلمة عليا تعريفي هو العرفان، لست كالمنطوق ولا المكتوب من الكلمات.

أنا: سر معروف لكل واصل إلى الكلمة العليا، لا يخفيني سر ولا يخيفني شر.

أنا: عرفت مقامي من الخلق، فأمنت الخلائق مقامها.

أنا: أول كلمة في طريق الحق، وأول نقطة في ضوء الصبح.

أنا: أول يد تقبض في وجه المغير، وأول يد تبسط للمستجير، وأول يد ترفع عن القوارير، وأول يد تبتهل للصامتين، وآخر يد تملأ وعاءها من الماء.

أنا: ابنة الجريح حتى يلتئم، وابنة العاجز حتى يدب الأرض، وابنة التائه حتى يأتيه الرشاد، وابنة الشمس حتى ترق حنانا لكل رأس عارية.

أنا: ابن النهار أحمي الأرواح من طائفات الليل، وأنا ابن الليل أزود عن الأرواح قاطعات النهار، وأنا ابن كل عاقر حتى يقيم صلبه، وابن كل عابر حتى يقيم داره.

أنا: عقد اللؤلؤ والمرجان يحملني واسطتي وتزينني أحجاري، أبشر بالخير ولا أنفر، وأزرع في كل صحراء زهرة يتعطر بها العابرون.

أنا: امرأة تعيد تدوير اليأس، وتجيد غزل الأمل، وتمسح الدموع برجولة كاملة

أنا: الخيل خير وخيلاء، معقود على ناصيتي الكبرياء، أحني رأسي للصغير، وأحمل زاد الكبير، وأصد كل باغ، وأغزو كل أرض لا تطعم الجوعى.

أنا: فأس يشق الصخر بالأخضر ويحرث البحر بالأمل، ويرمي الأحقاد قبل مطلع الفجر، ويبتدر الحصاد قبل الغروب، فإن بارت الأرض وعز المطر، نذرت ابتهالي للفجر ودعوت بيدين تأفان النعومة وتألفان الخشونة، وعرقى قربان العطاء.

أنا الروح في كل جسد مغطى بالنور، وأنا الظلام في كل جسد يسكنه الخوف.

في تعريفها بالوصف، أنت من تجدك فيها، فاعرفها تعرفك وتعرف بها ويعرفك بها الناس، فتقول: أنا الروح، وتقول الروح: أنا جسدك، ويتطابق وصفها بوصفك بالتعريف قلبا وقالبا.

وفي مقام تعريف الروح بالألف واللام، فقد ورد في «نصوص العشق ومصفوفات الارتقاء»:

«ألف لام»

«منذ خرجت للنور

عرفتني في حرفين

ووجدتني في حرفين

بين معرفتي ووجودي

دبت خطوتي»

والروح معرفة بالألف واللام، وفي الحرفين أسرار عظيمة في رحلة الارتقاء الروحاني، والخطوة هي سر الأسرار

وأقدسها، فقبلها كان النور هو رحم الروح، وفي أول مسعاها كان الألف مبتدأ الحروف وأول كل طريق تسلكه الروح.

وتعرف الروح وجودها بالخطوة وإرادة السعي، وهو التعريف المتجلي بحقيقة «ال» وما تنطوي عليه من أسرار لا تقرأ منها إلا شواهد، ولا يحوزها إلا من ارتقت به روحه إلى مقام رفيع من التعريف والمعرفة بين الخطو والسكون، وفي كل شيء له آية.

وآيات التعريف الروحي بالحرفين كثيرة، لكن أعظمها ما تراءى للناس وما أصابهم منه نفع وخير.

فكل نكرة من دون الروح بلا نفع، حتى إذا جاءتها الروح عرفتها وتعرفت بها، وأضافت إليها حرفي التعريف فصارت بها كلا معرفا وكيانا ومقصدا:

ففي ذاتها، تكون «روح» فتكون «الروح» وهي المعنية بما عظمها به خالقها «يسألونك عن الروح.. قل الروح».

ومن أول التعريف وأشمله، تبدأ تعريفات كثيرة بالروح ومن الروح:

خير قليل قد ينكر، وتعريفه بالروح الخير كله، فإن في الأرض خير من كل شيء، لكن الروح إذا أعطته يكن فيه من العظمة ما يريح النفوس ويسعد القلوب التي تناله والأيدي التي تلقفته.

إن الوردة في غصنها خير وعطر، فإذا قطفتها وأهديتها، فانظر ماذا ترى من أثر الهدية على وجه المراد بها؟

والتفاحة قد تسقط على الأرض من فرط الاستواء يلتقطها عابر سبيل فيستهج، لكن يدا تحملها إلى من ضل السبيل إلى الشجرة وعز ماله أن يشتري الثمرة، فكيف يستشعر طعمها، وكيف يمتن لمن حملها إليه؟

والمرء في كربه يبحث عن مخرج، قد ينفك كربه ويزول ولا تلتفت نفسه عن جهل إلى حكمة ولا قدرة في كشف غمته، فكيف إذا شدت على روحه البائسة روح وأعانتة بعون المعين على عبور بحر يأسه حتى يأنس ويفرح إلى شاطئ النجاة؟

إنه تعريف الفضائل بنسبتها للأرواح، وجمع كل النكرات في فضاء التعريف الروحاني، فاختر لروحك تعريفها.

وتعريف الروح بالإضافة إلى الطيبات من الأرواح يفتح دروب النور بينها فلا تتعثر في ظلمة ولا يسع براحها الكون بأكمله، وهي إلى الارتقاء بخليها أخف وزنا وأسرع سموا.

والأرواح الراقية التي تضاف إلى الروح فتمنحها التعريف:

الروح الملهمة، التي تزورك في الحلم فتحلم معك بما تشاق إليه روحك، وتأتيك في مقامك فتقرأ ما استتر بداخلك وتحس بما لم تنطق من شواغلِكَ، وتلهمك حل معضلاتك إذ أنها تتصل بروحك على الدوام فتخاطرها بما تهتم به وما يهتمها، وتنجو بها وتقر بها عينك، والإلهام روح التعريف وإضافة الضعيف إلى القوي فيستقوي به، ولا تعيش روح من دون روح ملهمة تروي منها الظمأ وتسد منها الجوع وتؤنس منها الوحشة وتمدها بالزيت والنور، وتتعرف بها إذا أنكرتها الخلائق وتتعرف عليها مهما غامت الأجواء وهاجت العواصف.

والملهمون هم مفاتيح السعادة لكل روح، يمتلكون رموز كل مغامرة تجلب الفرح النفوس حتى إذا رأيتهم وجدت روحك فانتشت من فرط سعادتها، لأنها تتعرف بها على

ما لم تتعرف إليه من قبل، فالجمال في حضرة الملهمين جمال محروس بأرواحهم الطاهرة، ومحسوس بابتساماتهم المبشرة، ومتفتح بقلوبهم المزهرة، ومتجدد بشبابهم الذي لا يصيبه شيب.

والأرواح الملهمة بصمة التعريف لكل روح تقصدها، ففي طلعتها يتجلى النور مبددا كل ظلمة، تحتضن القاصد بقلب الأم وإن لم تلده، وتلهمه العزم بعون الأب وإن لم ينحدر من صلبها، وتشد أزره بساعد الأخ وإن كانا غير موسى وهارون.

إن الملهمين هم سادة الأرواح وأهل العزائم ووسائل القلوب وشواهد طريق السالكين إلى الارتقاء، لأنهم سبقوا وارتقوا.

والملهمة أرواحهم حياة الروح، والحياة للحي تعريف، ذلك أن الخطى إليهم أنفاس، والحديث إليهم نبض، والخيال بهم روض، وتذكرهم رياضة، ومرافقتهم نزهة للروح، ومصافحتهم حزن، وعيونهم حنين، والإنصات لهم معرفة وتعريف.

والأرواح العارفة، المضاف إليها معرف بها، فمن جاور العارف نال من فضله واستزاد.

وتتعرف الروح بالعارفين إذ تدنو إليهم فترتقي بما تخلقوا به إذا تخلقت بأدب الجيرة، وتسكن دائرة النور كلما جدت في الاجتهاد.

ويحمل العارفون من الأرواح ما لا يحصى عدده، وشرط الوصول إلى العارفين همة الروح وزادها في رحلتها، ومهما طال الطريق فإن الوصول حاصل والتعريف مبتغى كل سالك يلتمس علما.

وأضف روحك إلى الأرواح التي ابتليت بالفقد فبادلت الناس بالعطاء، فإنها سبيلك إلى التعريف بما تجود به عليك، وهي الأولى بإعطاء ما فقدت، وكلما وجدت منك فقدت من نعم قدمتها إليك، وفيها أنت تعرفك، وإذا أنت عرفت روحك نجوت بالمضاف إليك من هذه الأرواح.

إذا تعرفت إلى روحك وتعرفت عليها وأصبت تعريفها فقد ارتقيت روحك تلك الدرجة واقراً لها من مصفوفات الارتقاء:

«قل لي: تعرفت

عرفت

فاعترف بالحب

أينما تحب تقيم

نزهة الخلاء تطيب

تأتيك الفراشات تسعى

والنجم يهوي في قبضتك

والعناقيد تتدلى

والمراعي تخضر

والأرواح تقترب

ابسط.. واقترب

.....

قل لي: العارفون معروفون بالحروف

قلت: عرفت

قل لي: العارف لا يقول

يتوهج صمتا

يرتجف عشقا

يسكن خوفا

كلمات العارف دوال

.....

قيل لي: حرفا التعريف

وحرفا المعرفة

أربعة تحمل المائدة

أكرم الوافد بالشروط

السبق بالإشارة شرط

التنازل شرط

التقرب شرط

التقدم شرط

التشبث شرط

ضع شروطك في إناء الورد

قدم لروحك

.....

قيل لي: إذا قدمت فتأخر

يؤثر العارف.. فيأسر

لا تطرق الأواني قبل الغريب

طرق الأواني ناقوس

وطرق الوافد طرد

.....

نهيت:

لا تلمس رغيف الوافد

لا تطبع بصمتك على الدقيق

مهّد الطريق للقمّة

غض طرفك في صدرك

تهدأ سريرة الجائع

وتسكن اللقمة في قلب الخائف»

واعلم يا حامل الروح أن الارتقاء مرتبة لن تبلغها إلا
روح العارف المعرف بالوصف والألف واللام وأسرارهما
والإضافة إلى كل روح تسعى في الأرض ولا تفسد فيها.
فابسط واقترب.

الدرجة

الخامسة

الإنكار

في الزوايا المظلمة من النفوس، الإنكار هو المرض الذي تتوهم النفس العليلة أنه ينجيها من قسوة الحقيقة، فإذا بها تهوي إلى أسفل ما تترفع كل عين عن النظر إليه.

لكن في ضياء الأرواح الراقية، فإن الإنكار هو سمو الروح ورفعتها ومفتاح سلامتها، وكلما أنكر المرء ذاته، ارتقت روحه.

والإنكار في الروح ثقيل، لكنه خفيف على من وصل إلى تلك الدرجة محمولا بما سبقها من درجات الارتقاء، وإنكار الذات في الروح ثقيل، لأنه من الصفات الحسنى والدرجات العلا يلزمه جهد وجهاد، حيث أن النفس في طبيعتها تهوى أن ترى نفسها وتزهو بها في عيون الآخرين، إذا فعلت شيئا تحب أن يحمده الناس ويتغنوا بفضائلها، ويسبحون بذكر صنيعها في كل مقام.

لكن ذوي الهمم من الأرواح، فإنهم لا يعينهم أن ينسب إليهم فضل، أو يمدح لهم فعل، ما دامت الرفعة مبتغاهم، والارتقاء غايتهم.

وإنكار الروح لذاتها أول درجاته التواضع الذي يعد أول شروط تلك العملية الروحانية وأول فروضها.

وفريضة التواضع يلزمها يقين المرء بأن رفع الشأن من انشراح الصدر، وانشراح الصدر هو تطهيره من موجبات الكبر والتعالي وما ينطويان عليه من حقد وحسد ونقص، لأن المتواضع هو شخص أدرك أن في تواضعه ثقة في ارتقائه، وإذا كان المتكبر يرى نفسه الأعلى، فإن المتواضع يراه الناس الأرقى، ويصير كنجمة في السماء لا يرقب حركتها وارتقاءها إلا ذوو الهمم العالية والقامات السامقة والشامخات من الشجر والجبال.

والمرء حمله ثقيل كجسده، لكنه كلما اجتهد في التواضع، صار خفيفا مهضوما يحمله الناس على الرحب، و يرفعونه فوق الرؤوس، ويحفظونه في سويداء القلب.

والسعي هو الفريضة الثانية لإنكار الروح لذاتها.

فالتواضع لا يألّفه الناس من البعد والانزواء، وإلا كان اعتزالا وتنفيرا، وإنما هو مشروط بسعي المرء بين الناس وتقديمه وتقديمه.

يقال إن المتواضع هو الواثق بنفسه، والثقة لا تكتمل إلا بثقة الأرواح السليمة فيك، فأنت متواضع لأنك في اختلاطك بالبشر سعت إليهم، وفي سعيك كان منك العطاء من دون من ولا أذى، والتضحية من دون من مقابل، والانحناء للضعيف ومنزوع السلطة والجاء من دون استكبار ولا استخفاف، وإنما إدراكا منك أنك تنحني لأنك الأرقى، وتعطي لأنك الأجود، وتضحى لأنك الأقدر.

وفريضة الإنكار الثالثة، هي تحصين النفس من شيطانها الذي يزين لها سوء عملها فتراها حسنا.

والشيطان وسواس الروح وضلالها في رحلة ارتقائها، وفي مقام الإنكار فإنه عدوها الذي يجاهد في إغوائها بالاستعلاء

على الخلائق واستنكار ما أوتوا من نعم الدنيا، والابتعاد عنهم بالنفور، وإظهار الكراهية لهم بالسفور، وهذه من الأمراض الروحية التي سبق ذكرها تفصيلاً وتطبيهاً.

ويجاهد المرء شيطانه بالدفع والمنع والخفض، فإذا ما انتصر عليه ارتقى في أعين الناس إذا ما قهر شيطانه وأبطل مفعول كبره واستعلاءه على فريضة كونية وعلة وجودية وسمو روحاني لا يبلغ أسرارها إلا من أعرض عن تغول روحه وأنكر فضائلها وتواضع لنظائرها.

والإكراه فريضة الإنكار الرابعة.

فالنفس في أصلها متمردة ذات أنفة وكبرياء، ورغباتها مقرونة بالاستعلاء على البشر والاستحواذ على أمكتهم وأنصبتهم من كل خير.

والإكراه هو حمل النفس على التخفف من أحمالها الثقيلة وأمراضها المزمنة، وإنزالها كل منزل تأنف منه، والضرب على تغولها بتدريبيها على التواضع والإنكار لما شطح من هواها.

في الأرض هناك من يجمع ما تخلفه وما تدينس به دروب السالكين، لكنها تأبى أن تصافح اليد التي تطهر دنسها وتجمع قذارتها.

وفي الجوار، تتعالى النفس على أقرانها وتتمرد على من يشاركونها المسكن، لأنها ترى أنها أحق بمكانة أفضل ودرجة أرقى.

وإذا جمعت النفس من المال ما كساها وكفاها وسترها، تمردت بنعمتها على الخلائق وعمدت إلى إذلالهم وكيدهم وأهانت ومنعت الجائع والعاري ومن يلتحف العراء.

إن النفس تشطح في الكبرياء، وإن الإكراه هو الدواء لمن أراد ارتقاء، فيكرهها على القبول بأن من يجمع القذارة هو سيد من يلقيها، وأن الفقير هو سيد الغني لأنه يمنحه فرصة العطاء، وأن الجار مشكور على أية حال لأنه يحتمل هذا الجوار.

ومنكر الذات في مقام الدرجة الأولى دائماً، لأنه يضع نفسه درجة ثانية

المصلحون في كل زمن، طرحوا رغباتهم جانباً وانشغلوا
بمصالح الناس رفعهم يريدوهم إلى درجات الارتقاء وخلدوا
ذكرهم.

والذين خرجوا إلى الخلاء يصدون زحف الوحوش
ولصوص المراعي ويزودون عن أمن الضعفاء، صاروا في
حكايات الخلق أبطالا ورموزا.

وربان السفينة الذي بات يراقب غدر البحر وعواصف
الليل وينجي أهلها من الغرق، بقي في ذاكرة الموج وحده من
دون الناس.

والأم التي أنكرت حقوقها في رفاة العيش وبذلت صحتها
لوليها، انحنت الجنة لقدميها المتعبتين ورقت السماء لعينيها
المجهدين من السهر.

والوالد الذي هجر الفراش إلى الهجير وجاهد في سبيل
من يعول، يبقى ذكره في كل نجاح لمن خلفوه وحملوا اسمه.
والرائدون في كل مجال، لولا أنهم عافوا الكبر والتعالي
وأנקروا ما لهم من أجل ما لغيرهم، لما صاروا رواداً عابرين
لحدود الزمان والمكان.

إنه إنكار الذات الذي ينقلك من الدرجة التي هبطت منها تواضعاً إلى الدرجة التي رفعت إليها الناس ارتقاءً.. وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.

وإنكار الذات يلزمه إيمان وتسليم: إيمان بأن التمحور حول الذات قتل لها على المدى البعيد، كما يفعل السوس بالأسنان، فالتمحور على الذات كطبقة السوس في أولها إن أهملتها تغولت في بنية الأسنان حتى تنخرها فتسقط من دون مقاومة، وهكذا من يرفعون ذاتهم فوق ذوات البشر، السقوط نهايتهم والنسيان مصيرهم وإن توهّموا غير ذلك.

وتسليم بأن من سلم للتواضع ذاته، فقد ارتقى سلم الرفة والمعالى، وهي رتبة لا يبلغها إلا الذين سخروا ذاتهم لخدمة الخلق واستخدموها للنفع العام من دون مصلحة ولا غاية غير الإنسانية وفطرتها الأولى.

وفي القصص الأولى دائماً تكمن العبرة

لماذا خرج البشر من الجنة؟

إن الذات هي المتهمة الأولى إذ أسلمت رغبتها للشيطان فوسوس إليها أن تقطف التفاحة التي خالفت بها الأمر الإلهي، وكان التمحور حول الذات هو الميل الأول والزلة الأولى التي جلبت لبني آدم الجوع والعراء والظمأ والطغيان والدم الأول عندما قيل «اهبطوا منها»، فلولا الذات لكان الارتقاء من دون مشقة ولا جهاد.. لكنها الطبيعة البشرية.

إن إنكار الذات هو عافية الروح التي تلهمها القوة دوماً على أن تكمل رحلة الحياة أملاً في استعادة الارتقاء المفقود منذ آدم وحواء، هذا الإنكار الذي يساعد الروح على تصحيح مسارها بالنور المستدام من الانحناء للضعيف، والاعتقاد بسواسية البشر في الحياة والموت، وهو سلوك أثره الحب.. جائزة الروح في مدارات الأرواح، فما أحب الناس إلا شخصاً ينكر ذاته، وما أبغضوا إلا كل جبار عنيد متكبر.

نحن من تراب ونمشي فوق تراب ونأكل من تراب ونسكن التراب.

هذا التراب إن مشيت فوقه متواضعًا، صار تربة خصبة
لسيرتك تنمو بها نخلتك ويرفع العابر والمقيم رؤوسهم
ليرونك عاليًا وتطرح الرطب.

وهو التراب الذي إن شئت سرت فوقه متبخترًا مرحًا
مزهوًا بما تعتقد أنك به دون البشر، صار لك قبرًا، ولن يلتفت
المارون إلى شاهده إلا إذا حضرت سيرة تعاليك وكبرك
محفوفة باللعنات.

أناكَ فَناؤُكَ

دع أَنَاكَ هُنا

حيثُ تَخَلَعُ نعليكَ

دع في الطين أَنَاكَ

تُنَبِّتِ النخلَ مختلفَ ألوانه

الأنا في الطين

عُود وعُود

قَوْمُ العُودِ بالعُودِ يَسْتَقِمُّ

لَا نَخِيلَ مِنْ دُونِ طِينٍ

.....

قِيلَ: أَنْكِرْ

أَنْتَ مُعَرَفٌ بِالْإِنْكَارِ

خَفَضَ الْجَنَاحَ تَحْلِيْقَ

لَا تَتَنَكَّرُ فِي ثِيَابِ بَالِيَةِ

قَيَّدَ شَيْطَانُهَا

وَطَنَهَا طِينَهَا

زَيْنَهَا بِالْخَفَضِ

زَنْهَا بِالْدُنُو.. تَزْهَوُ

هذا أنت.. أنكر ذاتك، يرفع ذكرك الناس، وترتقي روحك.

الدرجة

السادسة

الصفحة

ما إن تطمئن الروح إلى قدرها وتنكر ذاتها فقد ارتقت إلى الدرجة العليا وهي درجة الصفح.

والصفح صفة من صفات الذات العليا، وحق كل بشري أن يبلغها أن يكون على سلم الارتقاء إلى ما يليق بروحه.

في الحياة لا يخلو الطريق من كدر، ولا يكف البشر عن التصارع فيما بينهم ما دامت الأرض تدور والنفوس مفتوحة لكل ضغينة وحافضة لكل خطأ، ولأن خلق الإنسان في كبد، وخلقه في ضيق، فإن الصفح أيضاً مشقة وهو على النفس ثقل وعلى الروح أثقل، لكننه جهاد وعزيمة وهو درجة أرقى من العفو ﴿فَاعْفُواْ وَاصْفَحُواْ﴾ [البقرة: 109].

فالروح لا ترقى إلى درجة الصفح قبل أن تتحلّى بالعفو

والعفو هو التنازل عن الحق في عقاب من ارتكب الذنب من دون أن يسقط من ذاكرة القائم بالعفو لوم المعفو عنه والشريب عليه.

فالحاكم قد يعفو عن المحكوم إذا ارتكب جرماً، وإذا أعتقه وأطلق سراحه فلا يسقط عنه بين الناس لومه عما اقترفه ما دام أثره وذكره باق.

والوالد يعفو عن ابنه إذا ألحق به أذى بين الناس وأساء إليه، لكنه لن يكف عن تأنيبه وتقريعه وتعنيفه كلما تذكر فعلته.

وصاحب الدم قد يعفو بما قبل من دية، لكنه كلما التقى القاتل أشاح عنه بوجهه وأعرض عنه.

وفي داخلك، تعفو لنفسك عن ذنب، لكنك لا تصفح.

هذه الأمثلة وما على شاكلتها تبيان للعفو، وهو صفة محمودة لكنها قد يشوبها اعتبار للغير أو تقدير لخطورة موقف أو توابعه، أو رغبة في كفاية شر أو تجنب عذاب، لكنه على أية حال فضيلة لا يقدم عليها إلا من تمتلكها.

والعفو يتبعه الإعراض ﴿حُذِّ الْعَفْوَ وَأُمَّا بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ
الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: 199]، ذلك أن الإعراض ملاذ لمن
يريد ألا يخوض في جدل، ولا يرهق في حضور، ولا يشقي
روحه في ارتقاء.

أما الروح الراقية المرتقية، فهي دوما تبحث في الحسن عن
الأحسن، وفي الفضل عن الأفضل، ولذا فإنها تتفضل بالصفح
عن العفو.

فالحاكم المرتقية روحه يعفو عن المحكوم ويكرمه فلا
يلومه بعد العفو

والوالد المرتقي يسقط ذنب ابنه ويغفر إساءته ويبسط له
وجهه ويده فلا يؤنبه ولا يذكره مهما ذكره الناس.

وصاحب الدم إذا ارتقى يقبل الدية ويفتح قلبه للقاتل
فيمحو من نفسه آثار الدم ورغبة الثأر حتى يكاد من فرط كرمه
ينسى القاتل أنه قتل.

إنه الصفح الجميل الذي تريد به الروح أن تتربع على هذه
الدرجة الرفيعة من السمو والمكارم لأنها ذات فضل وكرم.

والمغفرة دليل الصفح الجميل وأثره على المعفو عنه،
والمغفرة باب للرحمة وارتقاء للروح وجائزتها في نيل نفحة
من الصفات العلوية ودلالة جلالتها ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ
يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: 92].

وقد تسأل: ماذا تجني الروح من الصفح الجميل؟

إن الجمال ما اتصف به شيء إلا صار كمثلته جمالا

وأول الفوائد لمن يصفح هو السلام لروحه والطمأنينة
لقلبه وهما صفتان تنهلان من الجمال المقرون بالصفح، وهو
الأكثر حظاً منهما دون من شمله الصفح.

واعلم أن البدن يعتل باعتلال الروح المثقلة بالغضب
والمشاعر السلبية التي يخلفها التشاحن والتلاسن والخصام:

القلب يحزن، فيصير عرضة للأزمات والذبحات

والأطراف كم تبدو ثقيلة إذا اعتل القلب بقهر الغضب
ورغبة الثأر

والحزن يسري في الضلوع فيؤلمها

والعين تبدو حزينة خلف ستار أسود لا يشف نهارا ولا نورا
واللسان يزهد الكلام، والحلق صحراء جافة لا ريق فيه
والرأس مشغول بحق الرد على الإساءة

كل الجسد يرهق أجهزته في الثأر، وكل الاحتمالات تبقى
مفتوحة على فنون القصاص، إلا الصفح يبقى احتمالا غير
مطروح، فإذا ما اهتدت إليه الروح، فإن البدن يغتسل طهرا
كمسحة العافية على جسد أيوب المبتلى.. ومن كان في مثل
أيوب إذ كشف ضره.

إن الذين صفحوا وصبروا ولم يعاقبوا بمثل ما عوقبوا
به، هم أصحاب الأبدان الصحيحة التي طرحت أوجاعها
وأتراحها بلباس العافية وكرامة الصفح:

قلوبهم فرحة إذ هجرها الحزن
ونفوسهم صافية إذ استوت بالتسامح
وأطرافهم في رشاقة الطير وخفة الأوراق إذ فكت قيودها
من الرغبة في الفتك بخصمها

وأعينهم تبصر بالنور كل ما أخفته الغشاوة والسواد، وتدحض
السهر بما تقر به نومًا

فلا تحبط لديهم همم، ولا تخرب لديهم ذمم، ولا تنحني
لديهم قمم

ماذا تنتظر لتصفح؟

إنك في مقام الصفح لا يعوزك إلا اتخاذ هذا القرار، وهو
قرار صعب يضع الروح في اختبار عسير لكنه ليس مستحيلًا
لمن ارتقى، فالعلة في الارتقاء هي جهاد النفس وحملها على
ما تكره، فإذا حُمِلت على ما تكره اعتادت حبه وجنت أثره،
ولا أصعب من قرار الصفح ولا أطيب من أثره، فالصفح عما
سلف إبراء للروح من هول ما خلف.

اقطع رأس ثعبانك

اشرب سُمَّكَ واغتسل

لا تنعق في أرض

لا تلطم شجرة

لا تزرع جثة

لا تستمطر غمامة

أفرغ الكرة من السم

لتسمو

واعلم أن في صبرك على من صفحت عنه تهديبا للروح من عاقبة الغضب، وحفظا لها من خطيئة الإعراض، فإن الإعراض عن الناس إخلال بقواعد الاختلاط وسلامة الاجتماع وعلة التعارف وحكمة التألف بين الأرواح والتسامح بين القلوب.

واعلم كذلك أنك لن تستطيع أن تجبر أحدا على أن يصفح عنك، لكنك تملك أن تصفح لأنك ارتقيت إلى هذه الدرجة وأصبحت من الملهمين للصفح، فلا يكفي أن تعفو وتصفح، وإنما تكون في نشر ثقافة الصفح بين الخلائق كزجاجة العطر ونسمات الربيع ونفحات الورد.

إن الرغبة في الانتقام شر يوغر الصدور ويمرض الأبدان وينشر التآمر ويوحش الطريق لكل سالك، وإن الأرواح إذا ارتقت حملت في ارتقائها دعوة ملزمة ورسالة ملهمة للذين

لم ينالوا هذا الفضل ولم تتسع صدورهم للسلام، فدع روحك
تبلغ دعوتها لترتقي درجة أخرى في رحلة الصعود.

طبب بسر الحرف

طامة الإعراض طامة

طارقٌ ثاقب

طائر العنق جارح

طائف الليل ساكن

طائع الخوف آمن

طالع الصبح أجل مسمى

فاعف واصفح

الدرجة

السابعة

العلم

العلم درجة من درجات ارتقاء الروح، وهو من الرزق المساق إليها في أوله، والوحي المنزل إليها بتكليف «وعلم آدم الأسماء كلها».

وتكليف الروح بالعلم مشروط بالسعي إلى العلوم دون تفضيل أو استثناء، وعلة ذلك أن العلوم في جمعها تعضد بعضها بعضاً، ولا ينفصل علم عن علم مادام فوق كرة الأرض وتحت قبة السماء.

والروح سرها العلوم جميعها، لأنها تدور في تلك الدائرة، وتحصيلها لكل علم يظهر أثره على سلوكها وعزمها إلى بلوغ الدرجة السابعة والعشرين من الارتقاء، ولولا أن هناك أولويات وترتيب يحكمه الزمن وسنة الخلق، لكان العلم هو أول درجات الارتقاء فيما اجتهدنا إليه من ترتيب، لكن

الترتيب في حقيقته ليس انتقاصاً من مرتبة ولا تحجيماً لدور، وإنما لأنها درجات بعضها فوق بعض وكل له فضله في سبيل الارتقاء إلى السلام الروحي.

وللروح شروط ترتقي بها إلى درجة العلم:

الشرط الأول: النية

وهي أن يكون هدف الروح من العلم هو النفع العام، فروح المرتقي ليس كغيرها تبحث عن مجد شخصي ولا ترغب في زهو بمال أو منصب، وإنما تتخذ من العلم درجة إلى السمو مرهونة بالهمة.

الشرط الثاني: السعي

السعي إلى العلم جهاد للنفس وترقية للروح، وهو يقدر الخطوة ويحفظها بكرامة العلم، والروح التي تسعى إلى العلم لا يخيب مسعاها، ففي كل خطوة كسب، وفي كل بلد صاحب، وفي كل يوم شأن للارتقاء، وفي الرحلة إن وصلت أو ضلت الوصول فإن جائزتها مراتب الشهداء، فلا أجل من مرتبة العلم

إذ بلغت الروح، وهي درجة لو انتهت إليها الروح من دون إرادتها، فقد نالت باقي درجات الارتقاء بكرامة السعي وحده.

الشرط الثالث: العمل

فالعالم بلا عمل يخرج الروح من دائرة الارتقاء، ويجرها إلى دائرة النفاق كمثلي الذين يقولون ما لا يفعلون، والمرء إذا حصل العلم نظرياً أدخله في مجال التطبيق بادئاً بنفسه مهما تنوع تحصيله، فإن كان علماً تطبيقياً عمد لتحويله إلى ما ينفع الخلائق، وإن كان علماً نظرياً من العلوم الاجتماعية كان ساعياً بها إلى ترقية النفوس وإصلاح أحوال البشر.

ونشر العلم كنشر العطر، أثره يبقى للروح وإن راحت، ويخلد الجسد وإن صار تراباً.

الشرط الرابع: الخلاق

لا فائدة من علم لا ترتقي به الروح خلقاً، ويتهدب به سلوكها بين الناس، فإن جمعت علماً فاعلم أنك بين خيارين: إما أن يذكر بك به الخلق أو يلعنوك به، (لا تحسبن العلم ينفع وحده.. مالم يتوج ربه بخلاق).

الشرط الخامس: الإحاطة

إن الروح الباحثة عن العلم بغية الارتقاء، منوط بها أن تنبئ كل سائل بما لم يحط به علما، ولا تستطيع الروح أن تكون قبلة لراغبي العلم إلا إذا أحاطت بالعلوم، ونهلت من معارفها من دون انحياز أو تشدد.

والإحاطة بالعلم تستلزم انفتاح الروح على الجميع اتفاقاً واختلافاً، فليس كل متفق نافع وليس كل مختلف ضار، وإن طرح العلوم الدنيوية من أجل التفرغ للعلوم الدينية هو الجهل الذي يخرج الروح عن ارتقائها، لأن العلوم أخوة وشقائق وكلها في سبيل تهذيب البشر وإصلاح أمورهم.

والعلوم الدنيوية هي التي تعين على القيام بعلوم بالدين

وكيف يتعبد الزاهد في خلوته من دون مصباح؟

وكيف يسعى للعلم من دون سيارة؟

وكيف يعبر النهر من دون قارب؟

وكيف يبلغ وقت العبادة من دون ساعة؟

وكيف يتصل بمن يرافقونه من دون هاتف؟

إن الناس لو طرحوا علوم الدنيا لما كان هناك طاقة للمصباح، ولا ميكانيكا تدفع السيارة، ولا فيزياء تضمن للقارب السير على الماء.

الشرط السادس: المداومة

العلم للروح كالماء للعود، فإذا أنست الروح الدعة في طلب العلم واكتفت مما حصلت، حصلها الجفاف والتييس وجاوزها تحديث ما حصلت، لأن العلم بحره مديد وكل يوم فيه جديد، ومن تخلف عن مسيرته طمس سيرته ولن ينل من الارتقاء درجة العلم.

الشرط السابع: التواضع

وهو شرط الارتقاء للروح إذا نالت حظها الوافر من العلم، فروح العالم لا تقيم في صومعة ولا تتعالى على ما دونها من أرواح، وإن ضل الناس الطريق إلى العالم فقد ضل هو طريقه إلى العلم، ذلك لأن العالم بابه مفتوح ومجلسه مقصد وعلمه بساط للعابر والمقيم.

كيف ترتقي روحك بالعلم؟

العلم هو نقيض الجهل، والجهل عدو الارتقاء، ولا سبيل لارتقاء الروح بالعلم إلا السؤال وإعمال العقل.

والنقل من دون تمحيص ولا عقل هو الجهل بعينه، إذ يسلم الروح إلى الأسافل ويبليلها بالردائل ويقصّيها خارج دائرة الارتقاء بما يمنعه عنها من اجتهد في العلم، وينقلها من الصدارة إلى المؤخرة، ومن رتبة الاستنارة إلى حضيض القطيع.

وفي دورة حياة الروح، تقول القاعدة: من سأل وصل، ومن وصل ألهم، ومن ألهم صار عالمًا يقصده الناس ويهجره أهل الجهالة ويبقى محصنًا ضد اختراق شياطين الإنس والجن.

إن الروح إذا انتهجت السؤال بلغت مقام المعرفة، وإذا قال المرء: لماذا؟ فإنه قد سلك الطريق العلم، أما إذا انتظرت الجواب من دون سعي، فإنها ستسعى في قطيع خلف كل غراب ناعق، ودليل مأجور، وفكر مسموم.. وفي ذلك ردة عن ارتقاء الروح وسموها.. وهيهات أن ترتقي روح لم تبلغ درجة العلم ولم ترفع دومًا راية السؤال.

في البدء: علم الإنسان ما لم يعلم، ثم تركه للسؤال فتعلم، ولو كان العلم الأول مجرد من الاجتهاد، لاكتفت به الخلائق فما اجتهد عقل في بحث، ولا انتهت تجربة إلى نتيجة، ولا أصاب الناس من العلم ما أصابوا، ولا سارت على ظهر الأرض سيارة ولا طارت في السماء طائرة.

قيلَ: فاعلم

إذا جنّ عليك الليل

لا تتكوكب

ارتق وسل:

كيف استدار القمر؟

كيف تسبح النجوم؟

ما علة المدارات؟

فضلك في الملكوت

أيما سألت علمت

أيما بلغت وصلت

قيلَ: فاعلم

إن أتاكَ النور فسله:

من أين أتيت؟

من أعطاك الزيت؟

إن لم يجبكَ فلا تفتح

لكل شعاع منشأ

لكل حركة حكمة

إن آفة الروح حجاب العقل واتباع الجاهلين وأصحاب
الآهواء، وفي هذا الزمان كم تاهت الأرواح بحجابها وغياب
عقلها وتسليم أمورها للدهماء:

والروح إذا رغبت في ارتقاء درجة العلم، فإن صاحبها لا
يسلم عقله إلى يد أو قدم أو طوق:

إذا له أحدهم: اتبعني أهديك سبيل الرشاد، يقول له: إنني
أرى الطريق

وإذا عمر أحدهم له بندقية ليقتل، يقول له: ما أنا بقاتل

وإذا روى أحدهم عن فلان وقال: ألا ترى؟ يقول له: سأقرأ
أصل الرواية

فما اعوج قوام إلا باتباع هوى، وما ضل مسعى إلا بجهل
دليل، وما استقام قوم إلا بالعلم والفهم.

قيل: فاعلم

الأرض لا تحمل أثر الجاهلين

جبال وطير وريح

مسخرات بالأمر لمن وعى

لا أثر إلا لمن يعلم

الحكمة مقام الجبهة

السؤال وصول الجواب

لا فضل إلا لمن سأل فضلاً

اعلم تكن علماً

واعلم أنه فوق كل ذي علم

وتغيب العقل ليس ضلالاً للروح وحدها، وإنما هو
الضلال لكل ما يدور في فلكها من أرواح، فالجهل كالنار،
والأرواح التائهة كالهشيم، ولا وصول إذا استعرت ألسنة
اللهب في طريق السالكين.

قيل: فاعلم

لا تحجب المطر عن رأسك

الغطاء حجاب العقل

رأس المُحَجَّب عاقر

لا ينبج الزرع

ولا يصله النور

.....

قيل: فاعلم

إذا داهمتك الريح

لا تسترح بالخوف

لا توصل باب عقلك
تلك الريح تجري بأمر
أدرك الأمر..
ترتقي

الدرجة

الثانية

الحلم

إذا ارتقت روحك إلى درجة العلم فقد تحليت بالخلاق
القويم والسلوك الروحاني السليم، ووقفت على عتبة درجة
أخرى إلى سلم الارتقاء مكتوب على أولها «ادفع بالتي هي
أحسن».

أنت الآن على درجة الارتقاء الروحاني الثامنة.. فما علة
هذه الدرجة؟

إن دلالة الحلم أنه يحمل منتهى أبواب الجنة وهم ثمانية،
وإن جاز القياس فإن الحلم هو جنة الروح ونعيمها في الأرض،
وهو من أبواب السلام لصاحب الروح وأصحابه ومن يدورون
معه في فلك هذا الكون.

وكما الجنة منتهى الارتقاء وجُل الوصول للأرواح إلى
العلياء، فالحلمُ بشارة الروح.

لماذا؟

الحِلْمُ حبسٌ وإطلاق

حبس الغضب عن أن يقصد الآخر، وحبسه قرين التآني في ردة الفعل وكبح الغيظ أن يخرج فيصيب بأذى، وفيه القبض على زمام الدوافع إلى الرد والكيد.

وإطلاق الرحمة لمن افتقد إليها، ومن كان في مرمى القسوة يتحين فرصة للانقضاض عليه والنيل منه، ذلك أن الرحمة هي الطوق الذي يلقيه الحليم للخائف من الانتقام والراغب في كظم الغيظ المشفوع بالعفو الذي إن بلغته الروح ارتقت إلى رتبة الإحسان وهي صفة علوية مرغوبة.

وبشارة الحليم هي متلازمة الولاية والحميمية (فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم).

وفي هذا المقام الروحاني من الارتقاء، يكون الحليم من البشر على وعد علوي بأن عدو الأمس اللدود سيصير صديق اليوم، لأن الحلم يملك زمام الوقت وكذلك زمام النفوس

فيغير وجهتها من العداوة إلى الصداقة، ومن الخوف إلى الأمن، ومن اليأس إلى الرحمة، وما يُفتح من أبواب الرحمة فلا ممسك لها، وهي درجة تالية بعد الحِلْم ترد تبعاً.

وامتلاك زمام الوقت يتجاوز بالروح الحليمة وطأة الزمن التي أوجبها الغضب وما يتبعه من علات قد تتكس بالروح إلى أحد الأمراض السبعة التي سبق تفصيلها (راجع باب الأمراض السبعة)، والروح إن لاذت بالحلم فإنها تلوذ بمدد علوي، والمدد العلوي يصهر وطأة الزمن ويذيب العلل ويشفي الصدور من نزعات الانتقام التي يورثها الغضب قبل بلوغ درجة الحِلْم.

أمام زمام النفوس، فهو في قبضة الحليم كاللجام يوجهها إلى اللين والرفق ويدراً عنها القسوة والغلظة، وينزلها مقام الطيب والتطيب.

والعين مرآة الحليم تبوح بامتلاكه للزمامين بما تبرق:

في القائم بالحِلْم، فإن عينيه تشيران بالسكينة وتفرشان بساطاً من الرحمة يسع من الخلائق ما لا يحصى عدده، وتلك

دلالة المدد العلوي، فالكون وسع الحليم وقلبه مداد البحر،
وكلماته حبات الرمل، ولا عدد فوق المدد.

وفي الموعود بحلم الحليم، فإن عينيه تقر بالرحمة، وتسكن
من الخوف.

وأولو النهى هم أولو الأحلام:

الذين إذا جاوزهم الغضب نهوا عنه فتجاوزوه

وإذا صار عنهم الانتقام غلبوا عليه وصرعوه

وإذا ظن الناس بهم عفواً، نالوا حلماً

وإذا استجار الغريب بقلوبهم أنصفوه

وإذا راودهم الشيطان قالوا لا قبل لنا إلا بالحلم

إنهم أولو الأحلام بعضهم أولى ببعض، وغيرهم أنفع بهم
من غيرهم.

وتبلغ الروح من درجة الحلم أعلاها إذا ارتقت فوق مرتبة
الاتقاء، فإذا أُنذر الناس بعضهم بعضاً بـ «اتق شر الحليم إذا
غضب»، فهذه فرصة الروح لبلوغ الدرجة العليا ولها من

الفضل ما يليق بأولي الفضل، لأن الحليم يرتقي من درجة العفو إلى الإحسان من الحلم.

ومثال ذلك، أنك أيها الحليم المرتقي يعرفك الناس بالحلم، فيطمعون في حلمك وقد يزيد أحدهم في طمعه فيجور عليك جور القوي على من يراه ضعيفاً، فيبالغ في نهبك ويستأسد على حقك وهو في جوار حلمك آمن من بطشك، حتى إذا فقد لنفسه منك العذر لترحمه، وانتظر الناس منك البطش لتردعه، أنعمت عليه بفيض حلمك فتعجزه وتعجزهم جميعاً.

والواصل إلى هذه الدرجة من الحلم، هي الروح التي تتصل بفتح علوي ومدد ارتقائي دليله هو بلوغ ما لا يبلغه الأغيار.

والقوة دليل الحلم، وهي ما لا يدركه العامة من الخاصة، ولا يناله من دون الحليم في درجات الارتقاء.

والجبر من قوة الروح الحليمة، فإنه إن قصد الناس الحليم في وساطة لعفو أكبرهم، وفي إكباره لهم جبر لخواطرهم ونشر للسلام في أرواحهم، من كان منهم ضعيفاً استقوى

بحلمه، ومن كان منهم خائفاً أمن بحلمه، ومن كان منهم عارياً كان الحليم له كل ستر وغطاء.

ولكل حليم من الأرواح شعائر يجني ثمارها الأرواح:
فالوصل شعيرة، كل من اقترب من الحليم فهو قريب، له
حق الدم وذوي الأرحام

والوصول شعيرة، كل قاصد لباب الحليم واصل
والعطاء شعيرة، فكل ناصية لدروب السالكين شاهدها
مائدة الحليم

والعصمة شعيرة، فكل صاحب عداوة معصوم بارتقاء الحليم
وإذا كانت الأخلاق درر الروح السليمة، فإن «الحلم سيد
الأخلاق» (كما يقول الإمام علي بن أبي طالب)، وسيادة الحلم
أصلها ارتقاؤه فوق ما دونه من أخلاق تتحلى بها الروح، وهو
كما سبق الذكر، فوق سبع درجات تبدأ بتربية الروح وتنتهي
بالعلم، ولكي يكون الحلم سيدها فإن الروح تبلغه بما ترتقيه
من هذه الدرجات التي تدفع المرء إلى أن يكون حليماً وسيداً.

وفي كل درجة من الدرجات السبع كرامة لدرجة الحلم الثامنة:

فتربية الروح تهذب سلوكها لتبلغ مقام الحلم

وأنسنة الروح تمدّها بالفضائل ما يبلغها مقام الحلم

والقناعة من نوافذ النور إلى درجة الحلم

والتعريف دالة الروح إلى حلمها

وإنكار الروح لذاتها أرض الحليم

والصفح روح الحلم وجوهر ارتقائه

والعلم عقل الروح أينما بلغته ارتقت إلى الحلم.

وسل نفسك: لماذا أكون حليماً؟

إن الحلم يطيل العمر.. كيف؟

لطالما كان الغضب محرقة الخلايا والأعصاب، والتوتر باب المرض، وصراعات البشر تجلب الأمراض والدماء، فإن المرء إذا كان الحلم منهجه ودرجة ارتقائه، عُنِيَ بدنه من الأمراض التي يجلبها الغضب فاستدامت صحته البدنية فلا يمرض ولا

يسقم، واستقامت صحته النفسية فلا يحيق المكر ب صدره،
وارتقت صحته الروحية فلا يشقى ولا تشقى في حضرته أرواح.

والحلم يبارك الوقت

فلا يشغل الحليم قلبه بغيظ أو انتقام، ولا رأسه بفكر في
انقضاض، وصفاء نفسه حفظ لوقته من أن يضيع في غير حلم،
والحلم لا يقتل الوقت بل يحييه.

قليل عد محملا بالتححرر

لا تذر روحك للنار

صدرك يسعره الوحشة

كن على ظهر الماء

املاً قلبك بالماء

تجري على شفئك الرحمة

لا تكن فظا

تنفض من حولك النسمات

.....

قلت: إن وهنت أكلت
وإن أكلت أعود محمولا
قيل: في الرقة جنود
سيف أمام الرأس
جواد تحت القدم
طيور تحرس الروح
الضعيف في الجوار فارس
الراغب فينا مرغوب
والعائد بنا معاذ

فهل بقي من سبب لتكون حليما أفضل من أن تنال البركة
في العمر، والرحمة في الخطى، والأمن في الجوار، والصحة
في الطريق، والمريدين لروحك الطاهرة من كل الأرواح التي
استنارت بدائرة عفوك، واستجارت ببابك، وانتفعت بعطاياك،
وكانت لكرمك من الشاكرين؟

الدرجة

التاسعة

العدد

نشعر بالوحشة كثيرًا، ونتوه عن الطريق كثيرًا، وتشقق
قلوبنا من الجفاف.

لا يزال بين الناس من فقد اللغة التي تخاطبه بهم،
والمفردات التي تفك طلاسمهم، ولا يزالون يختلفون كلما
جفت اللقاءات.

طلبك عند أخيك، وطلب أخيك عندك.. لكن لا طلبه
يدركك ولا طلبك يدركه.

كم من وجوه كانت لوجوه، فلما ألقتها الأيام وباعدت بينها
المسافات، لم تألف في اللقاء العابر مواجهة، ولم ترغب في
العودة إلى ما كانت قبل أن تكون.

وكم اشتاقت قلوب إلى قلوب، كانت بالأمس تدق باسمها،
وتهيم بذكرها، وتنام على وسادتها، واليوم بعدت بينها الشقة،
واحتلت الفراغات التي خلفتها فراغات كبيرة.

ماذا انقطع بين كل اثنين؟

وماذا غاب عن كل اللقاءات؟

وماذا انطوى في المسافات؟

وماذا فقد الناس من الناس في زحام الحياة؟

هو الود ولا شيء غيره.

في درجات ارتقاء الروح، يأتي «الود» في أثر درجة الحلم، وهو ترتيب الفضائل لهذه الدرجات العظمى من السمو الروحاني، وعلة اتباع الود للحلم، أن الود لا يخرج إلا من صدر حلیم وروح حلیمة

فإذا باحت عين الحلیم بالسكينة والأمان، وكظم الغيظ بالرضا والعفو، فإن الروح تنهياً لأن تتبادل إشارات الود، وإذا اعتلى الحلیم من الأرواح مرتبة السيادة، فكل ما يصدر عنه من أمارات السادة وصفات النبلاء وأخلاق المرتقين

إنه الود.. ما غاب إلا ابتليت الدنيا بالمصائب والناس في الأخلاق والزرع في الثمار والرزق في البركة.

والود هو فضل الروح في ارتقائها، والأرواح الراقية لا تنسى الفضل ولا تكتمه عن الناس.

إن الروح في درجة الود تعيد إلى الأرجاء روحها، وإلى الأزمنة رونقها، وإلى ذاكرة الوجوه حيائها:

ففي الأرجاء، لا تخيب الروح المرتقية لروح رجاء، تقول لها: تقدمي خطوة أقطع إليك خطوات.

وتقول: لا تخشي من الدنو عقبة، فالود يهذب الطريق من العقبات.

وتقول: حسبك في المكان أن تحيطك هالة الود فلا رهبة من الأغيار.

وتقول: إن الودود مغيث في الأعالي، فعلى الأرض كيف تخافين أيتها الروح وحشة الظلمات.

وتقول: من السماء إلى الأرض حبل الود ممدود، والروح مدد بודהا إذا ما تناجت بها الأرواح.

والزمن بروح الود لا يفقد بريقاً ولا يبكي راحلاً ولا يخشى غياباً، ما دام الود موصولاً:

فماضي الروح بالود حاضر، وما تستقبله من زمان الغيب
محفوظ بما مضى من ود، فلا خوف ولا حزن.

والوقت كلما مر بالود، زاد رغبة في اللقاء، واشتاقت
القلوب إلى العناق، والأرواح إلى الأحضان.

ورصيد الود عند المرتقين فوائده حسنة، وموائده كريمة،
كلما اغترفت الروح ودًا، قالت الأرواح: هل من مزيد؟.

وفي الود، فإن ذاكرة الوجوه محصنة ضد النسيان والتناسي
والإعراض:

إذا التقت الروح روحًا، أضاءت الوجوه بודהا، فالعين
تتزين بالفرحة، والفم يقول غزل المرتقي، والورد طرح الود
على الوجنات.

ووجه المرتقي لا يعرض عن لقاء موعود، ولا يرغب في
انزواء، ولا يقول إذ يقبل على المراد بوده إلا مرحبا.

والمصادفة في لقاءات الأرواح الراقية منزهة عن كل ما يشير
الغبار حول هالة الود، فلا تلتقي إلا بالود، ولا تفرق إلا بالود،
ولا تعاود الالتقاء إلا بما حازته من ارتقاء.

وفي الارتقاء الروحاني إلى هذه الدرجة، هناك في رحلة الروح واسطة هذا العقد.. إنها «حديث الود»، وفيه من السحر والرموز والأسرار ما يجعل كل روح تجاهد لبلوغ هذا المقام العلوي، وكلما زاد الحديث ودًا، زاد الفضل في الأسرار والحصد في الثمار.. درجات بعضها فوق بعض.

في حديث الود، الأنفاس هي سر الأسرار، من حبسها اختنق، ومن أطلقها ارتقى.

وانظر إلى الروح الودودة إذا ما نطق لسانها.. ماذا تسمع؟ في الحديث اللين، هناك في ثنايا الكلمات عطر فواح تستريح له نفوس المحبين، وصوت سحري ترق له المسامع، وفيض من المشاعر تفيض من حنانه المدامع.

إذا سمعت من حديث أحدهم طرب الأنفاس، وقرأت أسرارها، فأنت من الموعودين بروح بلغت هذه الدرجة من الارتقاء.

وانظر إلى عتاب صاحب الود.. ماذا تقرأ فيها؟

إنها الطاقة.. كلمة السر وشفرة الودود

إن الروح الراقية في عتابها لها دلالات:
تتنفس من رصيد الود حرارة تحمر منها العيون والوجنات
وتتناثر منها شظايا الكلمات
في فورتها وغضبها، يتفجر ماء الحب
وفي عشوائية حركتها، تلتقط الخيط إلى الطريق القويم
وإن تلعثمت كلماتها، فإنها بحديث الود تقول ما لا يقوله
الشاعر في حب معشوقته إذا أغضبته، فهو إن قدحها وذمها،
ففي بلاغة الكلمات جمال الوصف، وفي بطن الشاعر كل
معنى جميل.

والروح المرتقية بالود لا ترد خاطباً لودها، ذلك أنها تعلم
أن الفضيلة التي بلغتها رسالتها إلى الإصلاح والتهذيب ونشر
المنفعة بين الناس، وتجريد الخلق من السيئات من الخصال
والأفعال، وسبيلها إلى ذلك هو الود، وشعارها:

«من خطب ودي، حملته إليه، ومن رغب في وصلي حملتني
إليه»

والروح في ارتقائها إلى درجة الود ذات بصيرة تميز بين صنفين من الود الذي لم يبلغ درجة الارتقاء:

الصنف الأول: الود المتكلف

وينطوي على رغبة في مصلحة، أو طمع في مكانة غير مستحقة، وهو تشويه للود المنزه، ومنه تشمئز الأرواح، وتستبين تكلفه بما أوتيت من ذكاء وارتقاء.

وفي الشدائد يولي أصحاب الود المتكلف الأدبار فلا ترى فيهم خيراً ولا رشاداً، ولله در القائل: «مصطنع الود تفضحه الشدائد».

والصنف الثاني: الود المتلون

وهو من نفس مبدأها النفاق، ووجهها القناع، مهما بالغت في ودها، ضلت الطريق إلى الإقناع.

والمتلونون بالود مشوهون كالمسوخ، لا ينالون من الوجوه الطيبة والنفوس الطاهرة والأرواح الراقية إلا كما تنال القشة من وجه الماء.. إنهم خفيفون لتجرفهم أرواح الود الواثقة القوية العفية.

وبيّن المتكلفين والمتلونين، أرواح حُرمت درجة الارتقاء من الود، هؤلاء هم الذين يملأون صدورهم بـود لا يود أحدًا: منهم من يود أرواحًا فاجرة ترهب السالكين في دروبهم.

ومنهم من يود أن يغفل المرید عن الارتقاء

ومنهم من يُضل الباحثين عن النور بنار الكراهية

ومنهم من يود خرابًا في العمار ليهلك الحرث والنسل

ومنهم من يود جر الودود إلى دائرته، فيكونوا سواءً في الحرمان من الارتقاء.

والعالم لن ينجو إلا بالتحرر من هؤلاء وهؤلاء، ليمد يده إلى المرتقين بالود، فإنهم إلى النجاة قارب، وإلى السلام أقرب، وهم دار السلام.

ومن مآثر الأرواح المرتقية إلى درجة الود، أن كل من يدور في فلكها من أرواح لا يشقى بها، ولا يخرج حتى الحجر ولا الشجر من دائرة وُدّها، إذ يجني الكون بالود ما لا يجنيه غيره، ففي حضرة الود:

تبرأ القلوب من الجروح القديمة
وتتحرر الصخور من ندبات التدوين
ولا تدوس الأقدام أطلال الورد تقديسًا لما كان منه من عطر
ولا تروق الأنات والمواقع للأرواح
إن الودقرين الرحمة، وهما درجتان متزاوجتان في الارتقاء
الروحي (وجعل بينكم مودة ورحمة)، حتى إذا بلغت الروح
ودها، فهي على عتبة الدرجة الرحمانية.

قيل: لا تسبق بعدوان

بينك وبين العابرين طريق

إن افترقت فترفق

لا تجمع أثقالا ترهق الرحلة

نفسك قصير وأنفاسها لهب

طوقك أن تتخلى

اطلب الوصل قبل الفصل

الوصل وصول

والفصل إكراه

إن أكرهت لا تكره

إن أحببت فاحفظ وجهك بوجه

التقلب نار

الدرجة

العاشرة

الرحمة

الرحمة مكتوبة، وليس كل مكتوب يقرأ، فمن قرأ الرحمة عمل بها، ومن عمل بها، فله نصيب مما كتب منها ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: 54].

والأرواح المرتقية إلى درجة الرحمة حظها حضان من هذه الفضيلة العلوية التي تليق بارتقائها ولا يجوز غيرها بلوغ الروح مقامها في سلم الارتقاء، فحظها الأول أنها أدركت علة الرحمة وأنه لا نعيم من دون رحمة ولا عذاب كذلك من دون رحمة.. إنها تأشيرة الخلود إلى إحدى الوجهتين: الجنة أو النار.

أما حظها الثاني، فهو بما تسلكه من سلوك رحماني في خطوها، وهو حظ ممتد للحظ الأول، إذ أن الصفات العليا تمتاز بالكمال، والصفات البشرية المشتقة منها مباركة وجاهدة دون اكتمال.

والرحمة للروح دين توفي الأرواح أجره إن سكنها وإن هجرها، فالراحم أول المشمولين برحمته (من رحم يرحم)، إن ترفق بكل كائن، عاودته رحمته إذا استبدلت المواقع ودارت به الأيام في طور طالبي الرحمات، وإن قست جوارحه وهجره اللين واستأسد على الضعيف، فليرتقب دوره وليغتنم من الغلظة حظه، فلا تجوز الرحمة إلا على من كان بالخلائق رحيما.

وفي درجة الارتقاء، فإن الروح تجمع من الرحمة كل صنوفها، وإلا فقدت شرط البقاء في هذه الدرجة.

ومن صنوف الرحمة للمرتقي:

رحمة الذات:

إن الروح لا ترحم أحدا من دون أن ترحم نفسها في الأساس، فكيف يضيء المصباح من دون زيت؟ وكيف تروى المراعي والبئر فقير بالماء؟

ذاتك أول الرحمة والأولى بها، وإذا رغبت في الارتقاء فعليك أن ترحمها:

لا تكلف روحك إلا وسعها، ولا تحملها ما لا طاقة لها به.

وارحم روحك من الاستغراق في الألم - أي ألم - واعلم
أن كل جرح زائل وكل ألم متعاف.. إنها فقط مسألة وقت.

وارحمها من المظلومية الدائمة والتباكي، فإن التجاوز
والمضي من شيم المرتقي.

وارحم روحك من غدر أصابها ومضى، فإن الطريق طويل
والأمل مازال باقيا.

وارحمها من قوم أرادوا لها الوقوف، فإن تذكرت ما أرادوا
ووقفت فقدت تذكرة العبور.

وكن بروحك رحيما في مصاب الفقد، فلكل أجل كتاب،
ولكل مقبوض رحمة.. ارحم نفسك.

وإذا مس القلب خوف من فراق، فارحمه بالصبر والثبات،
فلا مفارق إلا خير، ولا باق إلا خير، ولا لقاء إلا لخير.

ارحم روحك ترحمك.. متى صرت مرحوما فأنت أقرب
إلى أن تمنح الرحمة لغيرك.

رحمة الأغيار:

لكل غير في عصمتك رحمة، وله من رقتك حظ فلا تحرمه.

المرتقي كالنور يشع رحمة للناس في كل مقام:
ارحم من أمسك بطرف ثيابك، ولا تعطه ظهره
ارحم من لجأ إلى عطائك في الشدة، وكن له يدا حانية
ارحم من استوقفك في الطريق لتعينه على حمل ما أثقله
وارحم من كان حمله ثقيلا وتعفف أن يسألك العون
ارحم صاحب الجود إن عز ما كان به يجود.. لا تذله
وارحم من فقد جواده، لا تجر بحصانك في أرضه
ارحم أصحاب المدامع، لا تطلق في سرادقهم الضحكات
وارحم من فقد أباه، لا تخاطب ابنك في مقام فقد
ارحم من جف زرعه، لا تجمع حصادك في حضرته
وارحم من ضاعت صحته، لا تشد على يديه في سلام، ولا
تقرعه في كلام

ارحم من في أرضك، ترحمك السماء
ارحم كل من دونك، يرحمك من فوقك

ارحم لترتقي

رحمة الخاطر:

في درجة الارتقاء الروحاني، فإن أهل الفضل من الأرواح يقرأون ما لا يقرأه غيرهم، والخطر هو الحبر السري للرحمة فإذا قرأته الروح المرتقية صارت به رحيمة.

كيف ترحم الخاطر؟

إن في دواخل الخلائق ممرات كثيرة منها المظلم وما أكثره، ومنها المضيء وما أعزه، والخطر هو الشراع التائه في بحور الروح إذا تلاطمت أمواجها.

لكن ليس كل قارئ يفك شفرات الخاطر، إلا الروح الرحيمة تصل إليه وصول الحبة السائحة إلى جوف الطائر الضعيف.

ورحمة الخاطر هي جبره، وأعظم الرحمة ما كان للصامتين الذين لا يبدون إلى أحد طلبا ولا جبيرا.

إنك يا صاحب الروح المرتقية:

ترحم خاطر من اشتهى الأمان فلا تفزع

وترحم خاطر من طلب السند فلا تفلت يده
وترحم خاطر الصغير إذا تاقت نفسه ثمرة فلا تمنعه
وترحم خاطر اليتيم إذا طلب الرحمة فلا تقهره
وترحم التائه إذا زلت قدمه فلا تنهره
ترحم ممرات الأرواح المعتمدة بمصباح روحك، إنها إذا
أضاءت بك ارتقيت سلم الرحمات.
رحمة العابر:

وفيها من الارتقاء جهاد كبير، فالمرتقي بالرحمة له شروط
إذا ما اجتاز أرضه عابر وإذا ما عبر هو أرض الغريب.
إذا عبر الغريب أرضك، فارحم منه القدم إذ لم تقدر صحيح
موضعها من الخطى

وارحم منه القلب إذا ارتجف من الشواهد الغريبة
وارحم منه الروح إذا خشيت بطش المقيمين
وارحم منه العين إذا هجرها النوم في فراش غريب
وارحم به عينك، لا تنظر إليه كغريب، فإن الغريب لا يبصر
إلا الخوف

وارحم منه يده، لا تراقب حركتها إذا امتدت أو انبسطت أو انقبضت، إنها تخجل.. فاخفض جناحك بالرحمة

وارحم منه اسمه إن كان غريبا عن أسماء بني قومك

وارحم منه جسمه إن في هيئته غير هيئتكم

وارحم منه رأيه إن خالف رأيكم، وصوته إن كان خفيا، ورأسه إن أحناه، وشعره إن بان عليه أثر السفر.

رحمة الأمر:

ولا ترتقي الروح إلى درجة الرحمة إذا ما تولت أمر الخلائق إلا بشروط:

أن ترحم من تأمر فتختار وقت الأمر بما يوافق ظرف الأمور، لا بما يوافق هواها، فالارتقاء لا يعرف للروح هوى غير الرحمة بما دونها من أرواح.

وأن تكلف بما الأمر من يطيق احتماله وما لروحه به طاقة.

وأن تتجنب في أمرها ما لا يخالف كرامة الأمور ويحفظ هيئته.

وإن كان في أمرها ما يذني الأمور عن إحدى رتب الإنسانية وفيه تشبه بأوصاف الحيوان فلا تأمره.

وإن أصدرت إليه أمرا آخره عن فضيلة أو دفعه إلى رذيلة،
فلتحجب أمرها.

وإن عاقبته بذنب اقترفه فالتمس عذرا لحسن نية، عذرتة.

وإن استرحمها في مكروه وأذى أصابه، رحمته.

ويحذر المرتقي دوما من الدائرة إذا دارت، فيعمل برحمته
ما يكفيه قسوة المأمور إذا ارتقى إلى أمره فيحجب عنه الرحمة
بما سبق له من حجب.

رحمة المؤتمن:

والروح الراحمة إذا أؤتمنت على الأغراض والأعراض
صارت رحيمة بأصحابها.

فإذا كان في عهدتك مالا للغير، ارحمه ولا تغر عليه، ولا
تغفل عيناك عنه.

واحفظ من عرضه ما تحفظ من عرضك، فكل عورة
مكشوفة إلا من حفظ أولى الرحمة من الأرواح.

وخذ من أرض أؤتمنت عليها قد ما تمدد جسدك، وليس
قد ما يدخل في حيازتك.

وإن أوكلك إليك مفتاح، فلا تضعه في باب ولا تفض به قفل.. علقه في رقبتك ولا تطعن به رقبته.

وإذا رفع لك أحدهم ستارا، فاجعل الأرض ستارك، إنك إذا غضضت بصرك رحمة ارتقت روحك درجة.

ولا تفتح دفتي كتاب في عصمتك، فإن فتحه غلق الروح وحجاب الرحمة.

ولا تقم صلاتك على سجادة من ائتمنك عليها، فترفع الرحمة عنك

واملاً عينيك بحضور الغائب، واحفظ الغياب بأمانة الرحمة، تكن من المرتقين.

رحمة من لا يطلب الرحمة:

وفي هذا مقام لمن خاف أن يخلو به حيوان فيفتسه من دون رحمة.

ومقام الرحمة في الارتقاء لا يكتمل إلا برحمة الحيوان.

فلا تقنص طيرا في كبد السماء لتكون صيادا.

ولا تدهس زاحفا في الأرض لتكون عملاقا.
ولا تعذب ضعيفا من الحيوان لتكون بهلوانا.
ولا تزر وازرة نحلة لدغتك بحرق بيوت النحل.
ولا تتبع أثر النمل إلى الجحور لتبدد ما جمعت من قوت.
ولا تكن حيث تجتمع الأسراب، ل تمنع تغريدها وتشق صفوفها.
لا تضرب كلبا، ولا تحبس قطا، ولا تركل قصعة يأكل منها
حيوان.

لا تحفز طيرا على التحليق من دون جناح.
والنبات خضرته من الرحمة فخذ منها حظك:
لا تطأ قدمك رأس عود أخضر
لا تقطف ثمرة قبل أوانها، ولا تسقط رطبا دون تناول.
لا تقطع غصنا في مهده.
لا تقض حاجتك في جذر مزروع، فإن النبات يتأذى.
هذه مدونة الرحمة، وأنت القائم على العهد، وهذا سلم
الأرواح.. فارتق

الدرجة

العاوية

عشرة

الحكمة

إن فكرت في الحديث.. هل تعرف ماذا تقول؟ وأين تقول؟
ومتى تقول؟

وإن هممت بفعل شيء.. هل تعرف ماذا تفعل، وأين تفعل؟
ومتى تفعل؟

هذه الأسئلة جواباتها تفضي إلى قرار، والقرار أنت سيده
وحاكمه، ومتى انتهيت إليه فهو مصرف إلى التعريف بأن
يكون قرارا حكيما أو غير ذلك.

الأمر مرهون بارتقاء روحك، والارتقاء مشروط بدرجة
الحكمة الارتقائية.. فهل وصلت إليها؟

إن الذي يستطيع الانتصار على نفسه يمكنه هزيمة العالم،
ولا ينتصر المرء على نفسه إلا إذا وجد ما ضلت روحه،
والحكمة ضالة الروح.

وللحكمة روافد وبابان تبلغ بها الروح درجة الارتقاء.

أما عن روافد الحكمة فهي:

العقل:

يقال إن الحكمة تبدأ عند المرء عندما يتأمل عقله، والحكمة أصلاً من إفرازات العقل إذا نضج، فمتى نضج عقلك جرت على لسانك الحكمة وصارت تصرفاتك حكيمة.

باختصار فإن العقل هو بيت الحكمة، فيه تنشأ ومنه تنطلق إلى روح المرتقي.

الإدراك:

إذا أُوتي العقل أول الحكمة، دخل في طور إدراكها لتكون الروح مهيةً لالتقاط ما ينبه العقل إلى مواطن الحكمة في الأشياء، وهنا تتحدد أجوبة لأسئلة من؟ وأين؟ ومتى؟ وهذه ميكانيكية عملية الحكمة التي تقوم بها الروح انطلاقاً من أرضية العقل واستجابة لرافد «الإدراك».

التجربة:

والإدراك ينزل الروح ميدان التجربة، والتجربة ميدان الإلهام والإقدام والخطأ.. إنك لن تدرك الحقيقة إلا بالخطأ ولن تبلغ الحكمة إلا بالتجريب، فالحكمة لا يحملها الهواء إلى رئتيك ولا يجري بها الماء إلى فاهك.

وانظر إلى الصياد.. هل يتعلم الصبر في فراشه أم على الشاطئ؟

إنه لا ينام ليحلم السمك، ولا يرى العواصف والنوات وهو في رحاب الوسادة.

إنه يرمي شبابه وينتظر ويتحمل ويرمي ويلم ويخيب وينجح، وفي كل مراحل التجربة هو يصل بحكمة صبره إلى وافر صيده. التجربة درسك إلى الحكمة دائماً: «ولا ينبئك مثل خبير».

النموذج:

التجربة الروحانية في الوصول إلى الحكمة يلزمها نموذج، والنموذج فيه علة التعلم ودرجة من درجات البلوغ إلى الأهداف.

والذين سبقونا إلى كل شيء، حملوا مشاعل للطريق الذي سلكناه خلفهم، ذلك النور الذي يجعلنا نبصر الخطأ والصواب، والحكمة من كل شيء إذ إن في كل شيء آية، والآية لا يقرأها إلا من تعقل وأدرك وجرب.

التخلي:

أن تدع شيئاً، فقد أدركت الحكمة من تركه، وأنت لن تنتفع ببقائه، وتلك حكمة التخلي.

لماذا يجب أن تتخلى لتصل إلى درجة الحكمة الارتقائية؟
العلة من التخلي، أن هناك من الأشياء ما يكون بقاءها أذى والتعلق بها باب للشهوة، والشهوة من علل الروح وعقباتها وموانعها ضد بلوغ الارتقاء.

والتخلي يعني أنك امتلكت القوة لتمنع نفسك من التمسك، والقوة هي سلاح الروح للترقي إلى الحكمة، فلا حكمة من دون قوة ولا قوة من دون تخلي.

وتتخلى الروح المرتقية عن الدابة إذا لم تصل بها إلى الطريق الصحيح

وعن الكلمة إذا فرقت، وعن المال إذا جلب الدم،
وعن الكتاب إذا أثار فتنة، وعن الهواء إذا تنفسته في فضاء
الانشغال.. وتلك حكمة التخلي.

وإذا امتلكت الروح المرتقية روافد الحكمة، تكون قد تزودت
من منابعها، وتكون قد وقفت على بابين ليكون مسلكها حكيماً:

باب القول:

وهو ما يجري على اللسان من فيض الحكمة التي وصلت
إليها الروح، وكلمات الحكيم ليست من غشاء القول، وإنما
هي سنوات تقولها لحظة، وخبرات يحكيها موقف، وأحداث
يرونها سطر.

ومن فضائل درجة الحكمة أن الذين صاغوا الحكم لم يموتوا
أبداً، إنهم يُذكرون على كل لسان، ويحمدون في كل مقام،
وكلما أضيئ بحكمتهم طريق، قالت خُطى السالكين: الرحمة
لمن جعلونا نمر هنا ونعبر في سلام.. لأرواحهم كل السلام.

وتبقى الحكمة في درر القول ما بقيت الروح تنتقي ما تقول،
فالحكيم كمثل صانع المسبحة.. إنه يقطع من الخشب الكثير،

ويخلف وراءه النشرات ويزيل التواءات، ويقطع جيدها ويهذبها ويرسم نقوشها، ثم ينظمها في عقد تزدان به الأيادي، ولولا حكمة الصانع لكانت تلك الحبات المنمقة جافة في طريق موحش تدوسه الأقدام.

والروح الحكيمة لا تقول إلا ما كان له من القول دلالة:

ففي جمع الناس، هناك من يثرثر ومن يصرخ ومن يتعارك، وفي زاوية من هذا الزحام، ثمة روح حكيمة تنتظر لترى ما تنتهي إليه الأمور، فإذا أدركت أنه لا أحد يوقف هذا اللغط، وأن من قال لم ينطق حكمة، فإنها تفيض بما تعلمته من منابع الحكمة، فمن رافد العقل أدركت أين الخطأ، ومن رافد التجربة تعلمت كيف تتصرف، ومن رافد التخلي صارت على بصيرة كيف تنتقي ما يضع حدًا لما يجري، وهنا تقول الحكمة كلمتها.

إن اللسان ميزان الحكمة دومًا، ولا خاب من وزن كلماته بميزان العقل، ولا يخوض الحكيم مع الخائضين في قول لا ينفع الناس لأنه في ارتقائه يعلم جواب الأسئلة الثلاثة:

ماذا يقول؟

متى يقول؟

أين يقول؟

وهو يعلم كذلك أن الأقوال الحكيمة التي خلدها الزمن لهؤلاء الذين تركوا إرثاً من النور لكل العابرين عبر العصور والأزمان، لم تكن لتبقى لو أنها لم تلتزم بهذه القاعدة في القول وضبط اللسان بالحكمة.

باب الفعل:

والفعل أرقى من القول، فهو مطابقة ما يقال بما يكون من سلوك.

وفعل الحكيم أفضل من قوله، ذلك أنه باب الاعتقاد ودرء النفاق وبلوغ الصفاء والسلام الروحاني.

فالطفل يتعلم الحكمة منذ نعومة أظافره في البيت، والوالد يعمل على تربيته وفقاً لحكمته وخبرته، وفي تفاصيل اليوم يراقب كل منهما الآخر:

ينهى الكبير ولده عن اقتراب النار، ويحذره من خطر الاحتراق باللهب، ويخاف الطفل لأن «النموذج» الذي ينهاه

موضع ثقة.. هذا أمر جيد، فالطفل قد تعلم الحكمة من حذر الاقتراب من النار.

ذات مرة، يراقب الطفل -وقد كبر قليلا- والده وهو يشعل سيجارة، فجأة يسقط «النموذج» في اختبار الفعل، إنه لم يقترب فقط من النار التي حذر منها الصغير، ولكنه يضع النار ذاتها في فمه.. إذن فأين الحكمة من الابتعاد عن النار، لقد أصبحت النار في مخيلته مصدرًا للانتشاء والمزاج الجيد.. لقد سقطت الحكمة.

إننا لا نتعلم الحكمة إلا من أظهر لنا منها ما يبطنه وما يقوله في أفعال نحاكها، وهذا شرط الروح للارتقاء إلى درجة الحكمة، فالحكمة في درجات الارتقاء الروحاني إيمانك بما تقول وتصديقك بالفعل لتكون نموذجًا للأرواح التي تريد أن تسير على خطاك، وتذكر أن «خير القول ما صدقه الفعل والحكمة لا تسري إلى الناس إلا إذا سكنت الروح عقيدة ورآها الناس سلوكًا واحترموها إكبارًا ورفعوا صاحبها إلى مقام الارتقاء».

ماذا تعجني الروح من الحكمة؟

الناس يتساءلون عن فوائد كل فضيلة، وطبيعة النفس أنها
ترغب في جني ما تلمسه من تلك الفوائد.. حسناً فلنأخذ كل
نفس على هواها، ونجيبها فيما تسعى لجوابه:

إن الإنسان يحب من المال زهوته وما يرفعه به من قدر لدى
الناس، فهل تستطيع الحكمة أن تبلغك هذا المقام؟

الحكمة هي ثروتك الحقيقية، فهي تمنحك الوقار الذي
يرفعك فوق الرؤوس، وهي درجة ارتقائية لا يمنحها المال،
فقد تكون غنياً تستلب الاحترام من الناس في حضرتك، فإذا
غبت لعنوا حضورك في الغياب، لكن وقار الحكمة يقوم
مقامك إن غبت أو حضرت.

والإنسان يحب السُلطة.. فهل تمنحه الحكمة السُلطة؟

المرء إذا ارتقى إلى درجة الحكمة فإنه يمتلك الذكاء
ونفاذ البصيرة والقدرة على الحل إذا ما وقف الخلق في حيرة
من الأمر، أليست هذه هي كينونة السُلطة؟ ألا يبدو الحكيم
والناس يتطلعون إليه لينطق بالحكمة ما يثلج صدورهم، في
ثوب الحاكم وهم يترقبون قراره وفرماناته؟

والإنسان يهوى الشهرة.. فهل تمنحه الحكمة هذه الرغبة؟

إن الحكيم صاحب سيرة حسنة، وعلى ألسنة الخلائق يطيب ذكره ما أوتي من راحة القول والفعل الحسن، ويكفيه شهرة أنه في أوقات الأزمات واعتلال الهمم وغياب الحلول الناجعة، يقول الناس: اذهبوا إلى فلان فإنه أهل لذلك.

بالحكمة ستبلغ الروح درجة من سلم الارتقاء، وسيبلغ الناس بالحكيم درجة من السلام الذي يكون إلا بمن أوتي الحكمة وفصل الخطاب.

الدرجة

الثانية

عشرة

الإقضاء

الذين اهتدوا إلى نور الروح قبلك
الذين تحرروا من قيود الخطي
الذين تطهروا من خطايا الأرواح العالقة بهم
والذين تعافوا من أمراض الروح السبعة
والذين سبقوك بدرجات على سلم الارتقاء
هؤلاء هم الشمس والأقمار والمشاعل والأنوار
اقصد أبوابهم، واطرق نوافذهم، وادخل عليهم من كل فتح
أنى وصلت إليه.. إنهم السبيل والدليل وقبلة الروح.
لترتقي، يجب أن يكون لديك مثال وقدوة من مسيرته تأخذ
عطرين: دليل وثقة.
الدليل:

الدليل هو الراية التي يرفعها في كل طريق ليرشدك، إن شئت فقل هو مرشد روحك في رحلتك، إن كانت طويلة كانت استدامة الهداية به، صار هو صورة منك فيه، وأنت مرآة تراه فيها، وإن كانت رحلتك بهذا الدليل قصيرة، فهو كالماء والطعام حتى تصل إلى وجهتك، إنه سيكون زادًا مؤقتًا لكنه من ضروريات الرحلة.

والدليل هو سداد الخطوة هديًا لطريق من دون اعوجاج، أو نورًا تشق به الظلمات.

إنك غريب في الرحلة على أي حال، وإن الطريق ليست ممهدة دائمًا، والزاد كذلك ليس كله معين على الوصول.. فاختر دليلك.

ستسأل: من أختار؟

كل روح لها دليل، وكل نموذج للروح محل اقتداء يتحدد بقرب هذا الدليل أو بعده ومدى تأثرها به.. وهناك من الأدلة ما ينير ظلام روحك ويقودك إلى طريق السلام.

في ذاكرتك دليل

ثمة نماذج عدة مررت بها أو مرتبك، ليس مطلوباً منك سوى التفتيش عنها في دفاتر الذكريات، فهناك من قابلت يوماً وتمنيت أن تصير مثله، ربما كنت صغيراً لا تدرك، لكن الروح آنذاك طبعت صورته على جدارها، وأنت الآن فقط تعيد البحث عن تلك الصورة.

وفي داخلك أيضاً دليل

صورة حالمة لنموذج تشاق إليه النفس، ربما لم تحظ بفرصة للقاء هذا النموذج في الواقع، لكنه مرسوم بصفات حسنى يريد لها الباطن أن تظهر في العلن، وقد تسأل هل هناك نموذج من الخيال.. كيف أقتدي بخيال؟

والجواب، أن الروح التي تريد الارتقاء لا تؤمن بالموانع، لأنها قد قطعت من الدرجات أصعبها على سلم الوصول إلى سلامتها وتطهرها، ولأنه إذا كان منطق العقل يقول إن من كان غائباً في الواقع فلا سبيل للاقتداء به إذ هو من الوهم والخيال، والإنسان في الاعتبار مرهون بالمادة.. فأين الوجود المادي لهذه القدوة؟

إن المنطق يقول، والروح لها قول آخر، ففيما سبق ذكره من ذاكرة الروح، هناك نماذج لا نراها ولكننا نلمسها، باعدت بيننا وبينها بلاد وأزمنة، لكنها أشباه لنا، هذه الأشباه هي القدوة الحاضرة الغائبة، وعلى الرغم من ارتسامها في الخيال، فإن أثرها واقع وتأثيرها ملحوظ، وليس على الروح سوى أن تدركها، فإن أدركتها اقتدت به، وبصفائها اهتدت.

وحولك دليل:

في الجوار هناك أرواح ملهمة تحمل مشاعل النور، هي لن تأتي إليك قبل أن تهتم بالبحث عن واكتشافها والنهل من عطائها، وعزيمة البحث متوفرة فيك لأنك ترغب في الارتقاء ولديك من المهارات الارتقائية والدرجات التي أحرزتها ما يؤهلك للوصول إليها، فلا تمل من البحث عنهم مهما استطعت إليهم سبيلا لأنهم وسيلتك إلى غاية السبيل القويم.

الثقة:

إذا وصلت إلى الدليل الذي سيكون قدوتك في رحلة الارتقاء الروحاني، فإن هناك معايير لتتأكد أن دليلك موضع ثقة.

وأول معيار لاكتساب الثقة في الدليل القدوة، أن يكون هو محل ثقة بنفسه، فالقبطان لا يقود السفينة إذا كان يهاب الموج ويعاني من «فوبيا البحر»، وما دام واثقا بنفسه فإنك ومن على ظهر السفينة ستنامون واثقين أنكم في عصمة الواصل بنفسه معصومين من أخطاء القيادة.

والمعيار الثاني لثقة الروح في دليلها، هو قدرته على تجاوز الأزمات وابتكار الحلول، وهي صفة لا تنبع إلا من صاحب رؤية وبصيرة وسابق تجربة، فلا تركب سفينة يقودها مبتدئ، ولا تسلم روحك لرجل لم يسبق له إنقاذ الأرواح من غدر الأمواج. والعدل هو المعيار الثالث لكسب ثقة المقتدى به، فإذا علا الموج وعز الطعام، كان في توزيع الفتات عادلا من دون ميل إلى أحد، لا يؤثر قريبا، ولا يدهن عزيزا ولا يفرط في المنح لذي مصلحة لديه.

والتضحية هي المعيار الرابع، فأن لا تمنح الثقة في من تقتدي به، إلا إذا لمست فيه إثارا للآخرين، وإلقاء بنفسه

حيثما يكون الخطر رغبة في أن يدرأ شره عمن حوله، فإذا غرقت السفينة وصار الموت هو المصير المحتوم، فإن قائدها سيموت قابضاً على المقود بحثاً عن أمل في النجاة لمن هم على ظهر السفينة حتى آخر لحظة.

إنك تتبع قدوتك إلى الارتقاء على هذه الدرجة ما دامت شروط القدوة قد توفرت في شخصه، وما دام لم يخل بأحد المعايير التي تجعل منه نموذجاً للاقتداء.

إنك في اللحظة التي ترتقي فيها إلى درجة الارتقاء، فإنك تحمل رسالة روحية لتكون أنت قدوة ونموذج لمن يرغبون في الارتقاء من الأرواح، وهذه مهمة الواقف على هذه الدرجة، وهذا هم صاحب كل رسالة وهمة راغب كل إصلاح.

وسل نفسك: لماذا يجب على المرتقي بالروح أن يكون قدوة؟ إنك إذا أردت الإجابة، فانظر إلى العالم من حولك، إنه مختل في عاداته وأخلاقه وسلوكياته، إنه يتحول بسرعة شديدة إلى غابة كبيرة يتغول فيها البشر وتتحوّر فيها الطباع ويلوذ فيها الضعفاء بأستار الخوف.

والقاعدة تقول: كلما اشتد الظلام اقترب النور

والمرتقي هو مرسال النور إلى ظلام العالم المخيف، وهو القبضة التي يستقوي بها الضعفاء على المتغولين، وهو الرحمة التي ترقق قلوب القساة ليتخلوا عن قسوتهم، وأمراء الحرب ليجلسوا إلى موائد السلام.

فهل تفعل روحك الصغيرة ذلك؟

نعم إنها قادرة على أن تفعل ما دامت ملكت وسائلها وصارت محل ثقة واقتداء، إنك كنت تبحث عن القدوة في رحلة الارتقاء وقد وصلت، والآن هناك من يبحث عنك ليقتدي بك، وكلاكما في رحلة البحث لا يسلك إلا مسالك الخير والإصلاح والنور، فهل سيتأذى أحد بكما؟ وهل ستدوسان على ضعيف أو ترهبان رقيقاً أو صغيراً؟

إن السالكين لدروب الارتقاء هم الأنقى سريرة، والأنظف يداً، والأمن جواراً، وهم الذين إذا سلكوا طريقاً للنور، قال لهم الظلام سحقاً سحقاً.

ويحذر على من ارتقى من الأرواح إذا صار في مقام الاقتداء أن يضل فيضل قومًا وثقوا به، وأن يقول بغير علم فينشر الجهل، وأن يسلك بغير هدى، وألا ينزلق إلى شهوة أو ظلم أو إثم أو عدوان، لأن روحه تحمل رسالة إلى هذا العالم كي تخلصه من آلامه وتنقذه من صراعاته، وتؤسس لنماذج من القدوة الحسنة والأرواح السليمة التي تنهار على عتبات ارتقائها كل الأرواح الشريرة.

ومن فضائل ارتقاء الروح إلى درجة الاقتداء، أن مشاعل الفهم والإيضاح والإصلاح التي تحملها تصلح ما أفسدته الظروف، وتعمر ما خربته الحروب، وتعيد المياه إلى مجاريها التي تخندق بها المتصارعون.

الاقتداء سلام لمن كان قدوة ومن اقتدى، والسلام نجاة الأرض، وإذا كان للارتقاء من غاية سامية فهي السلام الذي تدعو الروح المرتقية العالم إليه، وتزود عنه، وتهدي إليه كل من ضل واتبع هواه بغير قدوة.

إننا يجب أن نقنطري لنصير قدوة ونرتقي.

الدرجة

الثالثة

عشرة

الصدق

الصدق درجة ارتقائية، لكنها ملازمة لكل درجات الارتقاء منذ تربية الروح، فلا إنسانية ولا قناعة ولا تعريف ولا إنكار للذات ولا صفح ولا علم ولا حلم ولا رحمة ولا ود ولا حكمة ولا اقتداء ولا إشراق ولا منح ولا منع ولا استشراف ولا تطهر ولا تعطر ولا بصيرة ولا إبداع ولا إشباع ولا صفاء ولا حب ولا عشق ولا يقين للروح في منتهى السلم الارتقائي من دون صدق.

الصدق هو الحمض النووي للروح المرتقية، وهو جوهرها الخالص من دون شوائب.

وعلى هذه الدرجة الارتقائية الملازمة للروح، يجب عليك أن تحدد أولاً العلاقة بين الصدق وجوهرك.. هل هي متسقة أم معتلة؟

لمن لم يرتق:

الكذب هو فيروس الروح متى ضربها تختل كل الوظائف الروحية، لأنه يضرب رمانة ميزان الفضائل في مقتل فلا تقدم الروح على فضيلة منها، كيف ترى الفضائل في علتها وهي مرهونة بالصدق دوما؟

والكذب فيروس متحور متلون هلامي التكوين مناور، وعلاقة الصدق بالجواهر هي المصل المضاد والصبغة الحارقة لما تلونت به الروح من أكاذيب.

إن الروح التي ضربها الكذب هجرها الارتقاء، والناس بالكذب يعانون التشوهات الأخلاقية على عدة أوجه متلونة بصبغات الكذب وما أكثرها:

فالشخص الكاذب لا يرد جميلا ولا يشكر فضلا، ومن أمارات كذبه أنك تراه إذا كان في مكروه وكرب ويدها الضعيفتان وعقله المحدود لا يهتدون إلى مخرج، عندما يأتيه الفرج في روح مرتقية تعينه على ما تعثر فيه وتفتح له الباب

في ما أغلق منه، فإن الكذب يباعد بينه وبين الحمد والشكر..
بماذا يشعر من قدم إليه العون وانتفض لمساعدته؟

اعلم أن من ساعد لم يكن ليساعد إلا لأنه مرتقية روحه
ولديه من درجات الارتقاء ما يرسخ فيه عقيدة التعاون ونصرة
المحتاج، وهو كذلك على هذا الارتقاء سيكون قادراً على
استدامة خلقه وفضله في عون الآخر مهما كان الآخر جحوداً
ناكراً كاذباً.. فلو صدق داخله لصدق خارجه ولرأي بعين
الصدق ما قدمه إليه المرتقون.

ومن وجوه التلون بالكذب، الخيانة وهي طرح خبيث لعة
الكذب.

إن الكاذب خائن، وخيانتته تكون على قدر ما تجرأ على
طمس الحقيقة وقلبها ونسفها.. فهل رأيت صادقاً يخون؟
والكاذب لا يحفظ عهداً بالبقاء.. إنه يؤلم كل قلب تعلق به،
وكل روح اشتاقت إليه، وكل راغب في صحبته ولم يكتشف
بعد وجهه الكاذب.

إنك في حياتك لن تنجو من الكاذبين أبدا، ستجدهم حيث ما يكون النكث بالعهد والحنث باليمين والتخلي عن البقاء، فلذ بالارتقاء كي تكون بصيرتك ماسحا ضوئيا لذلك الفيروس، ورافضا قاطعا لكل ارتباط يجمعك بوجه كاذب، فإن الانفصال عنهم واجب لا محالة، والألم برفقتهم حادث لا ريب فيه.

أما الصادقون الذين صدقوا ما قالوا، وحفظوا ما نالوا، فإنهم المتمسكون بالأيدي التي تشبث بهم، وهم العابرون بها إلى بر السكينة والأمان بأشعة المودة والرحمة والفضائل الروحانية. وعجبا للتناقض كم يظهر الفضائل ويرفع درجات الارتقاء، وهذا عهد الأرواح السليمة في رحلة ارتقائها، فالكذب قرين الخيانة، والصدق توأم الأمانة بين الأولين رباط شيطاني، وبين الآخرين ميثاق غليظ، وما كان من الشيطان سوء نيته، وما كان غليظا متينا فمن يقدر على قطعه، لذلك يحفظ الصادقون.. ويخلص الصادقون.. والعهد في عهدتهم باق صادق كما أرواحهم.. وكل حزب بما لديهم فرحون.

والكاذب حرباء بشرية لا تسلم الأرواح من تنكره، وهذا من شرار وجوهه المتعددة، ففيه يحار الناس إلى أي فصيل ينتمي، ففي جمع الآمنين يدعو إلى السلم، وفي مجالس الغاضبين يحرض على الحرب، وفي كل مقام لا مقال له إلا التلون والفرقة والإيذاء، وهو يشهد بما لا يرى، ويقول ما لا يعتقد، ويرشد من دون دليل، ويهلك من اتبعه.

والروح الصادقة ليلها كنهارها لا تزيغ ولا تضلل ولا تشهد في مقام إلا الصدق، ولا وجه لها إلا الحقيقة التي تبذل كل فضائلها وتقض كل مضاجعها وتفقد كل رفقاتها في سبيل هذه الحقيقة، ولو كان القتل نصيبها، فإنها لا ترى فيه إلا انتصارا للحقيقة، إدراكا منها بأن روحا قد تقتل ليحيا الناس في سلام الحقيقة وفي رحاب الصدق.. إنها الروح المرتقية صاحبة الرسالة الإنسانية السمحاء في فطرتها الأولى التي كان فيها الليل صادقا والنهار صادقا والشمس والقمر والنجوم صادقين، لأنهم جميعا يجرون كل في مداره ولم يرتدي أحدهم وجهه ولا قناع الآخر.. وكل في فلك يسبحون.

إذن.. هل أدركت الآن ما ضرك وضر المجتمع من هذه الآفة الخبيثة؟

وهل أنت مضطر في بعض الأوقات أو كلها لتضع مسحوق تجميل على وجهك وتفقد طبيعتك؟

ما الهدف؟ وما المكسب إذا كانت كل توابع الكذب خسارات وانكسارات؟

إنه من الحماقة أن يتصور الإنسان أن الشمس من الممكن أن تتجاوز عن رأسه وهو يقف في وضوح النهار من دون ساتر، أو أن النور لن يكشفه إذا خرج من جحر يلوذ به هاربا من الحقيقة. وإنه لمن الغباء البشري، أن يجاهد الإنسان في جر روحه إلى مستنقع الكذب وعفونته، وقد خلقت روحه لتسمو وترتقي «أستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير».

قبل أن ترغب في الارتقاء، أنت في حاجة لأن تكون صادقا من أجلك في المقام الأول ليس من أجل الآخرين.. لماذا؟

لأن الكذب يجعلك معطوبا كسلعة فاسدة يأنفها الناس ويتضجرون منها. إنه يفسد منك كل اعتقاد ويسقط بداخلك كل

الثواب، حتى يصبح ما يظهر منك منبؤا مكروها.. فهل تتحمل أيها البشري أن يلفظك الناس ويهابون حضورك خوفا من الفيروس الذي تحمله.. أنت معد ولا رغبة لأحد أن تصيبه عدواك.

والحقيقة مرة لكنها دواء، فإن لم تتجرع مرارتها لن تشفى من مرض الكذب، وإذا أعرضت عن الدواء لمرارته، فإن المرارة الكبرى في هجر الناس لك.. فاختر بأي مر تمر؟

لا شك أن العالم قد مل الكاذبين، وأن هناك ملايين البشر يدفعون ثمن كذب ربما شخص كاذب أو بضعة أشخاص، حتى صار القاصي والداني يؤمن أن العالم يحكمه الكاذبون وينعم فيه الكاذبون بكل خيراته، وأنه لا مكان للصادقين إلا بداخلهم حيث يعيشون في عالم اليوتوبيا الذي يناقض الواقع المكذوب.

الحقيقة أن هذه سلبية مفرطة مضادة لتعاليم الارتقاء الروحاني، والشاهد في ذلك أن الاستسلام لكل رذيلة مهما كانت يعين على انتشارها، والثورة الروحية هي الحصن الآمن لتغيير وجه العالم إن كنت تراه قميئا لدرجة تجعلك ترفض البقاء فيه وتستعجل نهايته.

إن النهاية قادمة لا ريب فيها، فكل ما يبدأ ينتهي.. لكن هل يجب أن تكون النهاية بأيدي الأشرار؟

هذا بالطبع ينافي المنطق، كما أن انتظار النهاية أيضا ضد فلسفة الحياة ذاتها.

إن الإنسان ما دام يتنفس، فإن أنفاسه يجب أن تكون صادقة لتخفق كل كاذب، وأن يكون وفيًا ليكشف كل خائن، وأن يكون مصلحا ليقطع يد كل فاسد.

الحياة أصلها طيب، يستقيم فيها الناس بدفع بعضهم بعضا.. والصادقون أولى بالدفع، وهم كذلك أولى بالارتقاء ليكونوا قبلة الباحثين عن الحقيقة التي تبدد كل كذب، وتكشف كل زيف، وترسم طريق السلام لكل ضعيف، وترتقي درجة أخرى على السلم الروحاني.

الدرجة

الرابعة

عشرة

الإشراق

لماذا تشرق الشمس؟

إنك لن تكون موفقا في الإجابة على هذا السؤال إلا إذا أحطت علما بالعلة من إشراق الشمس كظاهرة كونية عظيمة، لا أن تعتبره مجرد ظاهرة اعتيادية تصحو كل يوم لتستمد منها الضوء وتنفض بها غبار فراشك لتنتقل إلى جوف النهار.

فيجب عليك أن تدرك الحكم الربانية من هذه الظاهرة:

إنك ترى الإشراق أول النهار، والمتأمل يراها ولادة النور والأمل وانكشاف الضر ونهايات الأنين والآلام والأوجاع الليلية. وأنت ترى الضوء إنذارا للندى أن يتساقط من على الأوراق، وإيدانا للنبات أن يبدأ عملية البناء، وإشارة للعصافير أن تغادر عشها، والبشر أن يبدأوا السعي في مناكب الأرض..

والمتمأمل يرى الأشعة نور تنجلي به الظلمات، وتدب به الحياة في الأماكن الرطبة بعد موات، وينمو بحكمته النبات، وتستمع الطيور بالنور وتفرح به لأنه منحها فرصة جديدة للطيران.. إنها علة النور وحكمة الإشراق.

وأنت إذا حملت الروح على سلم الارتقاء صارت شمسك الثانية.. نعم أنت الذي ستحمل الشمس وأنت الذي ستشرق وأنت الذي ستنتظر الخلائق صباحك:

الروح تشرق لأن هناك في الجوار من طال ليله الثقيل، وارتجف من الظلام خوفاً، لذلك عندما تشرق روحك فأنت تمد إليه من روحك روح وتكتب له في إشراقك نهار جديد.

وتشرق أيها المرتقي، لأن هناك أجساداً ضعيفة عارية أصابتها زرقة البرد وليس لها من دون روحك غطاء.. إنك تشرق لتمنحها الدفء وتكفيها ارتعاد الأطراف وشر العراء.

وتشرق يا صاحب الروح، لأن ثمة نبات أخضر في أرواح تدور في فلكك أحنى الظلام عودها وأخلف الأشرار عهدهم معها.. أنت تشرق لأنك نورها وقوامها وبك تبني الضوء والعود الذي مال.

إن الروح المرتقية تشرق لأنها الأمل الذي تحمله شمسها إلى اليائسين والبائسين.

إنك لا بد أن تشرق لأنك لأحدهم روحًا خارج جسمه..
إنه بك يحيا وبنورك يهتدي.. فهل تحتمل قتل كل روح حياتها مرهونة بإشراقك إذا انطفأت؟

إن الروح إذا أشرقت في ارتقائها تغار منها الشمس، فالشمس في عليائها بعيدة وشعاعها رسول، أما الروح فهي قريبة حتى أنها تصير بداخلك. انظر إلى روحك إذ تشرق.. إنها تسكن قلوبا من دون استئذان، وتطمئن بها نفوس من دون تعارف، ويأتي إليها الطير من دون فرع، وطريقها بالنور بردا وسلاما.

كيف لا تغار الشمس من الروح المشرقة، وهي ليست مثلها تسود منها الوجوه ويتحاشاها الناس في الظهيرة، وتقسو عليهم فتضربهم؟

ولا تعجب من ارتقاء الروح، فإن تسمو فوق كل سام، وتعلو فوق كل عال إلا العلى.

إن العلة في ذلك، هي ذاتها العلة في منح الروح تكريما
علويا ارتقاءيا فوق كل مخلوق، حتى ظواهر الكون العظيمة
التي سخرها الله للروح.

لذلك فإن الشمس تنام فيذهب نورها ودفئها وأملها إذا
جن الليل، والروح تشرق ليلا ونهارا.. نورها متصل ودفئها
للمرتجف، وسلامها برد للمحرور.

والشمس يحجبها الغمام عن الرؤوس فلا يصل نورها،
والروح إذا ارتقت فإنها تبدد كل الغيوم:

غيمة الكراهية، تبدها بالحب وتمطرها عشقا

غيمة الغضب، تبدها بالحنو وتمطرها صفحا جميلا

غيمة الطمع، تبدها بالكرم وتمطرها عطاء

غيمة الموت، تبدها بالأمل، وتمطرها حياة

غيمة التيه، تبدها بالدليل، وتمطرها هدى ورشادا

غيمة السفور تبدها بالستر، وتمطرها سترا وحجابا

غيمة الوحشة، تبددها بالود وتمطرها أمنا وسلاما
إنها الروح إذا أشرقت، تخبو الشمس لأنه إذا حضر نور
الروح بطل ضوء الشمس.

إن إشراقه الروح هي الدواء الأعظم من الأدوية السبعة التي
تعتل بها الروح، ففي نور الإشراق الروحاني مناعة ذاتية للروح
من كل مرض.. وهل تسلم الروح من الأمراض في ارتقائها؟

الحقيقة أن الروح حتى في سلم الارتقاء لا تسلم من هجوم
العلل وتكالبها، لأن في كل مدار تسلكه الروح هناك ألف
قابل يتربص بها، وألف غول يتحين فرصة للانقضاض عليها،
وألف بقعة موحشة تنتظر مرورها، وآلاف بل ملايين من
الموبقات والمهلكات والهوام والدواب من البشر والحجر
في كل مسلك تسلكه الروح.. إنها تهاجمها ولكن منذ متى
يخترق المرض روحا تحصنت بالارتقاء ومناعتها الإشراق؟

إنك يا صاحب الروح المرتقية معصوم إلى نهاية الدرب، ومن
جاورك معصوم، ومن تحصن بنور روح فهو مشرق أينما أشرقت.

من ارتقى فليشرق بروحه في كل فضاء، وليحمل رسالة
النور إلى كل ظلام، فما أكثر ظلام هذا العالم، وما أبعد النور
عن الوصول في خضم الظلمات.

ومن لم ترتق روحه بعد، فليشد الرحال إلى أهل الارتقاء
من الأرواح، إذا وصل إلى أحدهم فلا يفله حتى لا يعود إلى
الظلام:

وديعة في الوصول

وَرَدَ المسافر متاع

وجه الأرض منام

وَرَدَ المراوي عيون

وشاح الفجر ثريات

وجنة الصبح أشرقت

وَخَزُ الحصى جَبْر

وَصَلَ الخطى جهاد

وصم الأفول وشم

وصّى بها العابر

وعِرَّ طريق السالكين

وقفُ السبيل شواهد

وطنُ الغريب جوار

واثق الوصل مقيم

وعد الثقة حق

وعيد العائد عهد

وهبناك قلبًا

ودّع وانقلب

حياتنا هي النور لأننا لم نخلق للظلام، وحتى قبورنا التي
نظنها بيت الظلام، فإنها لن تكون مظلمة أبداً لأن الروح
المرتقية لا تسكن القبر.. إنها ترتقي بالنور إلى النور وتصعد
إلى السماء لتشرق إذا لم تطلع الشمس من المشرق.. فارتقوا.

الدرجة

الخامسة

عشرة

المنتج

المنح ليس العطاء فقط.. إنه الجود بكل ما تملك.

هكذا سلم الارتقاء الروحاني في درجته الخامسة عشرة.

إن الروح تمنح من غير حساب، لأنها منحت الحياة من غير حساب.. ألم تكن عدما؟ ألم تبدأ من تراب؟ هل منحت الخلائق مثل ما منحت الروح من الأمر العلوي ارتقاء وتكريما وحملا ورزقا وتفضيلا؟

وفي فقه اللغة الروحانية، فالمنح مقصودة ما تهبه الروح لمن دونها من الأرواح ارتقاء، والمنح من سلطة المرتقي لأنه الأقدر عليها والأملك لها.

والمنح في عرف الروح مقرون بما سبق الإشارة إليه من علة المنح الأول والهبة الكبرى التي دبت في الروح ونفخت فيها الحياة.

وأن تمنح الروح روحا أخرى، يعني أنها تعطي هبة لا تقبل عوضا ولا تنتظر غرضا.. إنها تنزه أعطيته عن كل عطية للعامة. والمنح فوقى وارتقائي، لأنه من يد تملك ليد لا تملك، فالسلطان يمنح أحد أفراد رعيته مالا، وهي عطية لا ترد إذ أن اليد العليا ليست بحاجة إلى قليل ما منحت، واليد السفلى ليست قادرة على دفع ما منحت، فمن جاد مستغن عما أعطى، ومن أخذ مفتقر إلى عطاءه.

ومن يسأل معط مالا فيرده إليه، فكلاهما على درجة واحدة، وقد ينقلب الأمر فيصير المقرض هو المقترض.

وأهل الخاصة هم المرتقون بالمنح، وهم في عطاء السلطان للرعية، لكنهم فوق السلطان جودا.. لماذا؟

إن صاحب الجاه يعطي وجاهة، لكن الروح المرتقية تمنح سخاء.

وصاحب الجاه يعطي عن كثرة لا تنضب من كثير، والروح تعطي عن جود بما ليس موجودا.

صاحب الجاه يدفع المادة، وصاحب الروح يمنح النور المشمول بعطاء صاحب الجاه ينفق الأعطية ويفتقر، والمشمول بعطاء الروح قرضه حسن مضاعف.

ومنحة صاحب الجاه لا ترد لكنها لا تنسى بما يعترئها من استعلاء بالعطاء وتبعية وخضوع، ومنحة الروح ترفع الهمم وتسكن القمم وتورث العزة والأنفة والكبرياء لمن وصلته.

وصاحب الجاه يعطي لمن يسأل ويتقرب ويتزلف، وصاحب الروح يعطي لمن لا يسأل ويبحث عن الذين يتعففون عن السؤال فيجزل لهم.

وصاحب الجاه يمنح من يصل إلى بلاطه، وصاحب الروح يمنح من يشاق إلى ارتقائه.

والمشمول بعطاء العامة وأصحاب الجاه يخجل من الناس إذا لقيهم بما أعطي، والمرتقي بمنحة الروح يزهر بأعطيته ويرفع رأسه حتى يظن الناس أنه المعطي.

إنه الفرق بين العطاء والمنح، بين الصدقة والهبة.. والهبات لا تمنحها إلا الروح المرتقية.. فمن أين تمنحها ولمن تمنحها؟

إن عملة الروح المرتقية ليست مالا ولا ذهباً ولا أرضاً، إنها تتعامل بالنور وما أعظمه من منح لا يعطيه سلطان ولا إنسان لم ينل شرف الارتقاء الروحاني.

وما دام العطاء نورا، فإن منح الروح هو زهدا فيما تملك لتهب غيرها ب كله أو بعضه من دون حساب أو تقدير، إذ أن مكيالها في العطاء هو الجود المطلق الذي لا يتقص منها مثقال ذرة، ففلسفتها في المنح «اعط كل ما تملك، تملك كل من أعطيت»، ولا تبغي الروح من امتلاكها لمن أعطت إلا أن يسلمها زمامه فتهديه إلى النور رسالتها وعلة وجودها وطوق نجاتها وارتقائها.

ففي ارتقائها، لا تمنح الروح للعابرين الطريق فقط، إنها تمنحهم الخطوة على كف رقيق كي يأمنوا العثرات.

وفي ارتقائها، لا تطعم الروح العابرين اللقمة فقط، إنها تمنحهم المائدة ولو كانت خاوية.

وفي ارتقائها، لا تفرش الروح للعابرين بساطا للنوم، إنها تمنحهم مفتاح البيت وتبسط لهم أسرته.

وفي ارتقائها، لا تحمل الروح للغريب كوب الماء، إنها تمنحه البئر وما حوى.

إن الروح وهي تمنح كريمة دون تمييز، إنها ترتقي بكرمها فلا ترقى في منحها شخصا دون آخر، ولا فئة دون أخرى.

هي فقط تمنح:

تمنح من يحبها ومن يكرهها

من يريد لها ومن يرفضها

من تعرف ومن لا تعرف

من مهد له الطريق ومن قطع طريقها

من يؤمن بوجودها، ومن يكفر بحقها في الوجود

إنها الروح في درجتها

إنها تمنح وتهب، لأنها مرتقية من الوهاب بهذه الصفة العلوية، وهي ترغب دوما في الارتقاء والتقرب بما تمنح، وكلما أعطت، تقول هل من مريد؟ فيقول المريد: هل من مزيد؟ .. نور على نور.

اعلم أن المنح إرادة لا تمتلكها إلا روح آمنت بأن المرتقي صاحب هذه الإرادة، وهي هبة لأهل الخاصة من الأرواح تمنحهم الولاية الروحية التي توجب العطاء الكريم النوراني:

قليل لي: عد لمن أراد العودة

قل للذي أرهقه الطريق أقبل

قبل أن يبلغ معه السعي

هنا من يسعى إليك

من سعى وعى

من وعى أدرك

من أدرك عاد

من عاد قبل

من قبل نجا

من نجا صار حجة للراغبين

ونورًا للعائدين

من عاد إلى ما قبل العودة

أعدناه.. وعدنا

واعلم كذلك أنك تمنح بارتقائك من دون انتقاص، وأن
من امتلك القدرة على المنح في الفضائل، امتلك القدرة
على المنع في الرذائل وتلك الدرجة السادسة عشرة من سلم
الارتقاء الروحاني.

فاقترب وارتق.

الدرجة

السادسة

عشرة

المنع

المنع هو مناعة الروح في ارتقائها، وهو منع الروح لصاحبها عن إيذاء نفسه والردة عن سلم الارتقاء، ثم منع الروح لغيرها من الأرواح.

والمنع كالمنع درجة ارتقائية من هبات أهل الخاصة من الأرواح.. كيف؟

العطاء بالمنع من صفات الارتقاء، فليس كل عطاء خيرا، وليس كل منع حرمانا.

إن أهل الخاصة يمنعون عن الروح كل عطاء تفجر به، وكل مدد لا يمدّها بخير، وكل بسط تتمدد به في المقام على الأرواح الضعيفة.

وهو في ارتقائهم ينتهجون طريقة روحانية لا يشوبها عوار، ولا يقبلها كل كل روح عرفت طريق النوار واستوت على مقام الارتقاء.

والمنع جهاد للروح إذا أدركها الحق بأن ما يُمنع عنها يُؤَجَل
لوقت يكون فيه ما منعت هو عين عطائها لمن دونها:
وروح المرتقي لمن دونه كمثل القائم والقاعد، وهو عليه
في المنع شاق.

إنك تحرم ابنك الصغير من قطعة الحلوى لأن فيها من
السكر ما يضره، وهو يرى في منعك ما يحلو له من الطعم
أذى، وقد تتضخم في نظره فتصير وحشاً وربما تفزعه في
حلمه بهذه الصورة المتغولة على رغباته الصغيرة.

والإنسان إذا أحب وتعلق به قلب، ثم صار بينهما من
الخلاف ما يفسد هذه العلاقة، فإن أحدهما الأكثر قواماً
وتمسكاً وعقلانية قد يلجأ إلى حل المنع ليبقي شريكه في
عصمته، ويذيقه مر البعاد لا ليؤذيه، وإنما ليفقهه في أدب
البقاء والتمسك بما يصيبه من ألم الفقد، وكلما اشتاقت
روحه إلى غريمه منعها، وكلما اعتصر القلب ألماً أظهر قسوة
وتماسكاً مصطنعين.

وعلى الرغم من أن الماء حياة الجسد، فإنك تضطر لإبعاده
عمن طلبه إذا بذل جهدًا كبيرًا وعلا صدره بالأنفاس، فلا
تسقيه حتى يبرد جسده.

وفي العطاء بالمنع علة ودليل، قد لا يفقههما الممنوع إذا
اشتدت عليه الرغبة، لكنه سائر إلى استيعابها بعد أن يتحقق
الغرض من المنع:

فإذا صح بدن الطفل الصغير، واستوت أسنانه من عدم
الإفراط في تناول الحلوى ونظر إلى أقرانه فوجده أفضلهم
صحة وأقومهم أسنانًا، فإنه يدرك بدليل «التعافي» لماذا منع
عنه أبوه ما يتلذذ بطعمه لعله «الحماية»؟.

والمشتاق إلى المفارق إذا عاد إلى قلبه وانتهى الخصام،
فإنه يعلم بعد انتهاء المحنة أن ابتعاد رفيقه عنه لم يكن إذلالًا
ولا قهراً، وإنما لأنه أراد أن يعيده إليه بقواعد جديدة تحفظ
للعلاقة بقاءها وتحصنها بالصفو من منغصات الحياة، إذن
فإنه يدرك بالدليل «قوة التمسك» أن الفراق المؤقت كان
لعله «التقويم».

وطالب الماء بعد عناء الجهد وحمية الأنفاس إذا هداً، فإنه يستوعب علة «التعطيش والتقتير» ويدرك أن من حجب عنه الماء لم يرد به قتلاً، وإنما أراد له الحياة بما منع عنه من شرب لعة «الحياة».

ومن دون استغراق، هكذا الروح في ارتقائها تعمل في المنع بسلاحين: العلة والدليل.

والروح المرتقية إلى درجة المنع تبدأ فيه بنفسها، فالأصل في كل صاحب فضيلة أن يفضل بها نفسه، وألا يدعو إلى معروف لا يعرفه ولا يُتعرّف به.

فالروح نهمة إلى كل ملذة، والملذات أولها نشوة وآخرها الندم.. ومنع الروح لذاتها عن نشوة البدء يجنبها ألم الانتهاء.

وسلم الارتقاء الروحاني شاق للروح لكنه يبلغ اليقين الذي هو مسعى كل راغب في الارتقاء وغاية كل أمل في النجاة، ولولا أن الروح تمنع نفسها من الانزلاق إلى ما دون الدرجات ما ارتقت ولا صعدت.

وإذا أعطت الروح نفسها المنع بالعلة والدليل كما والد الصغير الراغب في الحلوى، وصاحب الماء، والمفارق الموجع بألم الفراق، فإنها تقوم بالمنع لغيرها من الأرواح باتباع من دون مشقة، كما أدرك الصغير الراغب في الحلوى، والظمان بعد الارتواء، والعائد من الفراق إلى حلاوة اللقاء.

لكن درجة المنع مرهونة بالمنح، فمن أعطى في الدرجة الأولى ملك المنع في الدرجة الثانية:

إن والدك يمنع عنك شر الحلوى، لأنه يغدق عليك من المال ما تشتري به غيرها مما تشتهي نفسك.

والذي كفاك شر الماء أن تشربه فتتوقف أنفاسك، هو الذي يسقيك كلما طلبت الماء.

ورفيقك الذي أذاقك ألم الفراق، هو من منحك مشاعر الود وعواطف القرب وسعادة القلب قبل أن يمنعك عنه بهذا الدرس القاس.

وفي تطبيقها لمنهج المنع، فإن الروح مأمورة بالجهد في سبيل من تمنع عنهم بالعلة والدليل، وجهادها في هذا السبيل

هو الصبر والبصيرة الروحانية التي تؤهلها لأن تملك هذا الزمام فتقول لمن اتبعها: امنع وامتنع.

لماذا؟

إننا نعلم أن هذا العالم مُبتلى بالجدل والسفسطة والتشكيك فيما ثبت عليه الناس ورأوا فيه من الدلائل والقرائن ما يبدد لديهم كل شك، لكنها النفس الإنسانية التي تنزلق إلى كل ما يشوهها ويفسد فطرتها الارتقائية، ولذلك فإن أهل الخاصة من الأرواح لا بد أن يكون لهم سابق بصيرة حتى يدرأوا عن الخلائق ما ارتكنوا إليه من شك وما يرغبون فيه من كل ما مُنع عنهم من باب الفضول والتجريب.

وفي رحلتهم الارتقائية، فإن زاد أهل الروح هو العلة والدليل كما ذكرنا.

وفي الذكر عبرة وارتقاء لكل عابر ومقيم.

إن بصيرة الخضر وعلمه وحكمته هي التي منعت سفينة المساكين الذين يعملون في البحر من الهلاك.. فهل كان

أحدهم يدرك أن هذا الرجل وهو يخرق خرقاً في السفينة ويسده بوتد يريد لهم إلا الهلاك؟

إنها البصيرة الخضرية وسابقة ما عرف عنه من العلم والحكمة والصلاح، وهو إن كان لم يستطع النبي موسى معه الصبر على ما يفعله من «علة» يراها رفيق رحلته «ضرراً»، فإن الوصول إلى الشاطئ برر هذه العلة بامتناع الملك الغاصب أن يأخذ سفينة المساكين لأنها «معطوبة» بالخرق الذي أحدثه صاحب البصيرة، فكانت النجاة للجميع بحكمة فرد واحد فقط. إنها العلة التي قُتل بها الغلام وهو يلعب بين أقرانه، فلولا قتله لأذاق والديه الصالحين سوء العذاب، فكان منع الحياة عن هذا الغلام أخف وطأة وأقل مفسدة من أن يبقى في حوزة أبويه اللذين رزقا بخير منه.

وفي قصة الجدار، وكل جدار.. هناك روح تمنع عنا ما يضرنا، ولولا أننا أبصرنا منها سابق صلاح وفضل ارتقاء ما أدركنا على ما منعنا عنه.

إنك يا صاحب الروح تسير ببصيرة الارتقاء وعلة المنع:

فامنع روحك عن كل المسالك التي لا تنفع الناس وتثير
الرحلة.. امنع بضعفها قهرها، وامنع هياج بحرها بسكون
برها، واضرب على كل يد تقهر الضعيف.

إنك روح صاحبة رسالة، وكل روح تستقوي بأصحاب
الرسالات.

لست نبيا، ولست بشرا، ولست ملاكا، لكنك إنسان بالروح
ارتقى، وبمنح الفضائل معروف، وبالمنع موقوف:

جسدك عابر، وروحك باقية، فامنع عن العابرين ما يكفل
لروحك البقاء في رحلتهم.

امنع قدم البطش عن رأس الضعيف، تحملك رأس
الضعيف إلى سلم الارتقاء.

أنت الغريب، إذا مر بك غريب فأكرم غربته بمنع المقيمين عن
زاده.. زاد الغريب زادك، ومنعك الأغيار عنه منعك لهم عنك.

امنع خطوك عن الخطأ، وامنع الخطأ عن خطو غيرك، ولا
تمشي في الأرض خطأ.

واذكر ما ذكر لك في الذكر الأول:

في موضعك وضعناك

ضعيف تقويه روح

ريشة تحملها ريح

بخار يهرب به سحب

أنت ندبة هذه الأرض

أنت نهضتها ونكبتها

أسلم وجهك للبر

تسلم ألم البحر

وغضبة الحيتان

أدخل يدك في قلبك

سلم بنور الصبح وتنفس

.....

قيل: انهض من موضعك

تشبث بأصل الروح

تشوك ريشتك الريح

تتزود السحابة من شلالك

تفترشك الأرض نعيمًا

خذ يدك بيدك إلى الصرح

خذ يدك إلى ما تعطيه، وامنع يدك عن كل ما لا تطيق حمله..

إنك روح ترتقي بالمنع إلى السلم الكبير.

إنك ترتقي لأنك أهل للارتقاء.. وإن هذا العالم لا يحفظ

في ذاكرته من الأرواح العابرة إلا من امتنع وتمنع ومنع وارتقى.

الدرجة

السابعة

عشرة

الإشراف

أن ترتقي الروح إلى الدرجة السابعة عشرة من سلم الارتقاء، فهذا مقام سمو يمكنها من الارتفاع فوق مستوى الرؤية البشرية الضيقة، وقراءة مستقبلية للطريق قبل أن تسلكه.. إنها ستصبح الآن قادرة على الاستشراق.. فأى مقام أرفع من ذلك المقام؟

إن هذه الدرجة الارتقائية التي تصل إليها الروح ترفعها إلى نواصي الأمور الحياتية، وتجعلها منارة روحانية تهدي بها أشعة الملاحين في بحر الحياة الهائج، إذ تستشرف الخطر وتنذر به، وتكفل لمن يسير على نورها النجاة من العواصف والأنواء والقراصنة والغرق.

من الغرق إلى الارتقاء، تستشرف الروح السليمة ما لا يستشرفه غيرها برؤية العارف وفراصة المرتقي.

والروح إذا صفت ترى في الاستشراف ما لا يراه غيرها، تلك الرؤية التي تقرأ عن علم في ما يغيب عن عقل غير المرتقي، ولا يتعارض استشراف الروح ورؤيتها مع الغيب، فإن الغيب سر الأسرار العلوية، لكن شواهد مقصورة على أهل الخاصة من المرتقين.

ومن شواهد أهل الخاصة من الأرواح في درجة الاستشراف:

العلو:

الروح تسمو وفي سموها ترتفع، وبعلوها تتسع دائرة الرؤية وتستبين معالم الطريق.

فالحارس يقوم على مراقبة الحصن من أعلاه، وهو تكليف لا يرتفع إليه إلا من ارتأى فيه قائد الحصن يقظة وانتباهاً وسرعة بديهية، وفي نوبة الحراسة وقد اعتلى ظهر الحصن، فإنه يستطيع كشف واستشعار ما لا يراه المقيمون في الداخل، وقبل أن يقترب الخطر فإنه يحفز أهل الحصن على الاستنفار واستباق العدو.

وروح المرتقي هي الحارس الأمين للأرواح التي تدور في فلكها.

فصاحب الارتقاء عزيز قومه وحصنهم الأمين، في جواره
ينامون ملء العين بلا خوف من خطر، لأنه إذا حاق بهم مكر،
فإنه يكون قد استشعره في مهده وحصنهم ضده.

الصواب:

ومن الاستشراف تمتلك الروح الصواب في الرؤية فلا
تخطئ في هدف ولا تُخدع في خطر.

إن الإنسان المرتقي يستطيع أن يحدد هدفه جيداً قبل أن
يقترّب، وهو لا يصيبه الوهم ولا خداع الرؤية ولا سراب
الطريق، لأن مد بصره هو النور الذي لا تضلله الظلمات ولا
تخدعه المخلوقات.

التيقّظ:

في علوها الارتقائي، لا تركن الروح إلى نوم ولا غفلة،
لأنها تدرك أنها مأمورة وذات تكليف، وأن في الداخل أرواح
تتعلق مصائرهما بحذرهما وتيقظهما، وكلما نال منها السهر وطول
النصب، تذكرت أنها صاحبة رسالة وأنها رسول الحاضرين
إلى المستقبل.

إن الحذر ميثاق شرف الارتقاء في الحراسة والاستشراق.
القنص:

كقناص محترف، تكون الروح في مقام الاستشراق راصدة
هدفها فترميها بقنص لا يخيب، وتحمله إلى من أوكلوها بهذا
المقام.

إن الإنسان المرتقي صياد ماهر يجيد قراءة الواقع ويحدد
بمهارة نقاط ضعفه ثم ينطلق إلى المستقبل فيصطاد من آفاقه
ما يقدر على جمعه عائداً بما يسد الجوع ويشفي الصدور
ويرفع قدر العباد.

واعلم أن قدرتك على بلوغ هذه الدرجة الروحانية مشروطة
بما تقدمه لمن حولك، وتستطيع أن تحدد ارتقاءك إذا كان
لديك ما ترد به على هذه الأسئلة من إجابات:

ما هي الزاوية التي ترى منها المستقبل؟

هل تستطيع المداومة على القيام بهذه المهمة دون تراخٍ؟

هل تستشرف المستقبل جيداً؟

هل يثق الآخرون بهذا الاستشراق؟
ماذا أعددت لما ترقبه من أخطار مستقبلية؟
ما هي درجة استعدادك لتجنب الآخر شر هذه المخاطر؟
إن إجاباتك على هذه الأسئلة هي التي ستحدد: هل بلغت
درجة الارتقاء في السلم الروحاني.
- السلام:

لا شك أن بلوغ شواهد الاستشراق التي سبق ذكرها يبلغ الروح
درجة الارتقاء، وهي الدرجة التي يحل معها السلام للمقيمين في
حضرة الروح، ذلك أن السلام هو رسالة الروح وغاية الإنسان،
ولا يريد المرء من حياته سوى أن يحيا في هذا السلام.
والسؤال: هل يستطيع صاحب كل روح أن يبلغ درجة
الارتقاء؟

الحقيقة أن هذه الدرجة منفردة لا يبلغها أحد ما لم ينل ما
دونها من درجات.

وسؤال آخر: هل يمكن أن تزل قدم المرتقي من هذه الدرجة؟

إن كل فضيلة روحانية تبقى قائمة بنفعها ما لم يشبها عوار:

فالصدق جميل حتى يفسده الكذب

والصبر جميل حتى ينال منه اليأس

والصفح جميل حتى ينزلق إلى الانتقام

والإيثار حتى يأسره الطمع والاستثثار

والروح صافية نقية حتى تصاب بالدناءة والشهوة

وكذلك روح المرتقي المستشرف، فإنه يبقى رسولا إلى

المستقبل حتى تنال منه الخيانة وهي قاصمة ظهر المرتقي
ورדתه عن درجة الاستشراف.

وانظر إلى حال الحارس أعلى الحصن:

إنه يكفل الأمن لمن أوكلوه حراستهم ما دام على يقظته
وحفظه لهذا العهد وتقديسه لميثاق الحراسة واستشراف
الخطر، فإذا مال إلى من يهاجمون الحصن ويسعون
لإسقاطه فقد أسلم من في حوزته إلى مذابح الخصوم من
دون رحمة.

وكم من أقدام زلت من على هذه الدرجة لأنها لم تؤمن
بأنها صاحبة رسالة.

إننا في هذا العالم نقدم أرواحا علينا، لأننا آمنة أنهم الأقدر
على أن يقرأوا لنا المستقبل ليحملوا إلى أيامنا المعتلة باليأس ما
يبدد مخاوفنا، هذا الإيمان شرطة الأمانة في حمل هذه الرسالة..
فكيف يسلمون أشرعتنا للأنواء، ويشمتون بنا الأعداء؟

إنها درجة ارتقاء روحانية وصفها السمو، لكنها لا تسلم من
زلات:

تزل قدم المرتقي إلى درجة الاستشراق، إذا استعلى على من
رفعوه إلى مقام العلا، ليريهم ما يراه بعين الواصل ورؤية المخلص،
حتى إذا طاب له المقام في علاه، أضلهم واستكبر عليهم.

وتزل قدم المرتقي، إذا لم يسترشد بنور الروح وفقد صواب
العقل وفراصة الاستشعار.

وتزل قدم المرتقي عن درجة الاستشراق، إذا اعتلت روحه
بالدعة والكسل والغفلة عن مهمته المقدسة، وانتصرت فيه
الشهوة على الضمير، والنوم على النفير.

وتزل كل قدم بعد ثبوتها إذا مالت الروح إلى الهوى، فالهوى باب السقوط من السلم الروحاني، ومن أهواه الهوى هوى.

إن الحاضر محصن بالروح السليمة الصحيحة المستشرفة، وحصن المتحصن بالروح بين السماء والأرض.. سوره فوق الزمان والمكان، من أراد حصاره فليقبض على الكون، ومن ابتغى كسره فليجمع سلاسل الجبال، ومن أراد دك الحصن فليدفع بمدد.. لذا يبقى حصن الروح آمناً من الغارات.

والمستقبل كتاب الروح، لا يقرأه إلا الأرواح المنزهة عن علاتها الزاهدة في شهواتها المخلصة لما تعلق بها من أرواح.. والروح حسية على كتابها، حدسها البصيرة، ورؤيتها الحكمة، ودينها الإيثار، وغايتها الارتقاء.

إن عار أيها المرتقي أن تزل، لأنك بلغت من سلم الارتقاء ما جاهدت به روحه وعلا به شأنك.. فكيف تستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير.. وكيف:

تخلي ساحتك للمغير

تطوي حصيرك للمريد

تنوء بأحمال ثقال

ترشف عسلها

تنفث السم في مناكبها

تقطع ظلها طمعا

تحجب نورها رغدا

تضرم نارها كرها

تَخْطُو فِي فَنَاءٍ

تَعْلَمُ فِي جَهْلٍ

تَرْكُضُ فِي بَرِيَّةٍ

تَجُوعُ وَتَعْرِى

تَقْبِضُ وَتَبْسِطُ

تُدْبِرُ وَتُقْبِلُ

فأقبل بدرجتك إلى درجة أرقى.. وارفع روحك إلى حيث

ترفعك.. وارتيق.

الدرجة

الثامنة

عشرة

النظر

منذ خطوات الخطوة الأولى، أنت تعبر في أرض فيها من
الأكدار والأطيان والأدناس والأحقاد والأرجاس والآلام ما لم
تسلم منه روحك.. روحك التي باتت مطموسة بهذا الدنس.

إننا محملون بالكثير الذي يجعل من أرواحنا ثقيلة ضجرة
من أوساخ الرحلة وما بها من غبارات.

إنك تمشي في أرض بتياب كان في الأصل أبيض.. فهل
ظل الثوب الروحي على بياضه؟

على طول الطريق كم أذيت؟ وكم أوذيت؟

كم جارت نفسك على نفسها ظلمًا وعدوان، فاحتملت من
إحجامها عن الحق، وإقدامها على الباطل ما لوث بياض روحك؟

وكم جارت نفسك على غيرها، فدبرت بالمكر ما أذهب
سكيتته، وأصابه في ماله وأهله.

وكم من فرصة للارتقاء أضعتها استسلامًا لنزوات نفسك،
وشطحات عقلك؟

وكم تناسيت أنك تحمل أثرًا سيبقى.. فهل أبقيت من أثرك
ما ترقى به روحك؟

إننا جميعًا محملون بالأدناس.. كل في فلكه، وكل على
قدر جرائم نفسه، ونحن في عدم احتمالنا لصدمات نهيج كما
الدواب: نرفس ونركل وننطح بلا عقل، وفي عنفوان تلك الأفعال
الحيوانية نتصرف كشياطين لا يراعون حرمة ولا يشفقون على
ضعف ولا يجمعون شمالًا.. إننا نفرق بين المرء وقلبه، وبين
الروح وجسدها، وبين المرء وزوجه، وبين كل زوجين كانت
العلة من جمعهما في المقام الأول هي النجاة والسلامة.

والإنسان مركوب بشيطان ما دام يسعى، فلماذا يستسلم
لشيطانه؟

إن العابر في الأرض لن يصل بثوبه إلى درجة البياض
الذي ارتداه بها وقد اختار أن يمشي وسط الركام يتنفس الغبار
ويلفحه الغبار.

وما الوجوه الغابرة التي تتسكع في طرقات هذا العالم إلا
أرواح طمسها الغبار وسودتها أدخنة النيران التي تاكل فضائل
الروح وتضرم فيها العلة والاعتلال.

ظلك أسود.. لأنه يعكس صورة أصل أسود
غبارك ثقیل.. لأن رياحك عاصفة، وغضبك أقرب من
حبل الوريد

صوتك بلا صدى.. لأنك لا تنادي في الظلمات باسم النور
جراحك متقيحة.. لأنك وسخك مكشوف للذباب دائماً
ضميرك مستتر.. لأن لك وجهين وقلبين ومن دون قبلة
ثوبك ملطخ.. لأن لا تمل من السكره بأكواب الدم
أنيابك زرقاء.. لأنك تنهش بنهم، وتعشق استواء الجثث
على مائدتك

رأسك في التراب.. لأن هناك رؤوساً أحنيتها لك وقامات
كسرتها على عتبتك
وجهك غابر.. لأن هناك وجوهاً طمسها غبارك.

دعاؤك مردود.. لأن روحك دومًا على جنابة، وخطوك على جنابة، وشهادتك قذف للمحصنات من الأرواح.

وسل نفسك: هل لا يزال ثوبك أبيض؟

هل لا تزال روحك تحلم بالتطهر؟

إنك لا يمكن أن تصل إلى نهاية الطريق بهذه الأوساخ، وروحك لن تحتمل أن يفوح منها هذا العفن وينال منها الدود قبل أن تنزل إلى منازل الدود.

واعلم أنك لن ترتقي قبل أن تتطهر روحك من خطايا الطريق، فعلى سلم الارتقاء لا تصعد إلا أرواح ذوي الرداء الأبيض الذي لا بقعة فيه لخطيئة، ولا رائحة فيه لدم مغلوب أو أنفاس مكلوم، ولا أثر فيه لصرخة..

إنك لن تصعد إلى درجة التطهر وأنت مشدود بأيدي كثيرة أشد وطأة من رغبتك في الارتقاء الروحي:

يدُ أشارت إليك باستغاثة، فضربتها

ويدُ تعلقت بثوبك، فخشيت من شقوقها أن تهتك خيوطه وتلوّثه

ويُدُّ كُتبت إِيْلِك لِترحمها، فكتبت إِيْلها لِتوثقها
ويُدُّ حملت إِيْلِك جرّحها لِتطببه، فغرسَتْ فيها شوكة تدميها
ويُدُّ بُسُطت إِيْلِك في كربك، فبصقت عليها في سعتك
ويُدُّ امتدت إِيْلِك بالسلام، فضربتها بالخصام
ويُدُّ كانت فوق يدك رحيمة، فلما صرت فوقها كنت سوط
عذاب

ويُدُّ جففت عرقك في سُقمِك، فتعرقَتْ في استجداء عونك
إنها أيدٍ كثيرة لن تجعل روحك ترتقي، ستشدك إِيْل حيث
تسقط وتنكسر، وستشكو إِيْل الدرجات أنك لا تستحق
الارتقاء لأن ثوبك مدنس وروحك من دون طهارة.

لقد حملت روحك من الخطايا ما يوجب الاغتسال
والتطهر، فأنت لا تقوى على حمل ما أزهقت به الأرواح إلا
إذا تطهرت بماء النور:

قِيلَ: كُنْ

اركض برجلك

واغتسل

بيضاء لَذَّةٌ

طُف بالكأس

لا يأس

.....

قِيلَ:

اقْبِضْ واقْطِفْ

لا مقطوعة

ولا ممنوعة

اتصل تَصِلْ

أَقْبِلْ تُقْبَلْ

.....

قِيلَ: اصْدَعْ

ارقب عاليًا وتصدّع

ارتقِ روحًا

اسلك مدارًا

تشبث بالخيط

أنت ثابتٌ لا تجزعُ

.....

قِيلَ:

أعرضْ

ذرّها تشقُّ رحيقها

اتبعْ أثرها

لا تُعكرِ صفوها

اخلعْ نعليكِ مُهدَّبًا

لا تزر

....

قِيلَ:

أَزْهَرِ

حَرِّ مَأْقِيكَ الْخِيَانَةَ

اسْقِ مَدَامِعَكَ الْمَهَابَةَ

ابْقِ وَجْهَكَ مَخْمُورًا

أَسِلْ الْأَخْضَرَ بَيْنَ ضُلُوعِكَ

لَا تَصْفُرْ

إن التطهر الروحي هو الدرجة التي تحرر فيها الروح من كل دنس ورجس ونجس، فسلم الارتقاء لا يرتقيه إلا المطهرون.

ولطهارة الروح آداب وشروط لبلوغ درجة الارتقاء:

فشرطها الأول: النية

فلا طهر من دون نية في الطهارة، ولا تغتسل الروح قبل أن ينوي صاحبها أن يقدم على الاغتسال والتطهر من خطاياها.

ونية التطهر ذاتية من الروح، إذ إنها إن لم تدرك أنها طغت وأفسدت وتدنست من هول ما ارتكبت من خطايا، وتهتدي

إلى قرار التطهر فلن يكون طهرها صالحا لارتقائها وإن اغتسلت بماء الأرض، وهي في هذا المقام كمثل من تأنق في مظهره وصفف شعره من دون استحمام.

فإذا انتويت الارتقاء.. فاسبقه بنية التطهر

والشرط الثاني هو الوقت:

وهو اللحظة التي تدرك عندها أن خطايا روحك قد جاوزت المدى لك ولغيرك.

لك.. إذا امتلأت صحيفتك بسوابق الاعتداء والبطش والغدر والميل والأذى، فلم يعد في محيط روحك روح إلا وأنت لها مدين بما قدمت يداك.

إنه قرار ذاتي أيضًا أن تحدد هذا التوقيت لتتطهر.

الشرط الثالث: اخلع نعليك

فالخطوة طريق الوصول إلى أي الوجهتين: الخير والشر، والروح بخطاياها تكون قد سلكت طريق الغافلين على خطى الشيطان.

وإذا أراد صاحب الروح لها طهرًا فليخلع نعليه، فإن النعل السالك بالقدم في الطريق المظلم لا يخلو من دماء الذين أذاقتهم الروح كؤوس المرارة والظلمات.

اخلع نعليك هذا مغتسل بارد لكل حرارات الأنفاس التي صرخت من آلام العذاب

اخلع نعليك واركض برجلك لتطهرها من العبث التي سارت فيه وإليه، إنها متسخة بما علق بها من طين الغير، ومتعفنة بما وطأته من زرع الغير، وثقيلة بما تعلق بها من لحم الغير.

اركض برجلك لتنفض عنها غبار المعارك التي أشعلتها في ديار الآمنين، وغبار الغنائم التي استلبها القاهر بك من المقهور بك.

اركض برجلك، لتطهرها من التراب الذي أهالته على رؤوسهن الشكالي والأرامل والمسلوبات والأسيرات والإماء اللاتي سُقن إلى الخيام في العراء.

واضرب صدرك بالماء ضرب الندم، عساه ينفض غبار النفوس التي أوقعت بينها في دوائر الصراع والفتنة.

وَزِدْ من الماء على روحك قدر ما غرقت بك الخلائق
وطُمست بك الحقائق وظهر بك الفساد في البر والبحر.

وطف بكأس النور واشرب حتى تشمل، فإن النور يُنسي،
والتطهر من الخطايا يلزمه نسيان.

اشرب من الكأس ولا تشبع.. فراغب الطهر لا يشبع من
النور، وكل الخطايا ظاهرة بالنور.

ولا تيأس من التطهر، إنه يفتت الجبل إلى ذرات، وإن
الريح تجري عاصفة بأمر النور تنسف الجبال وتنفض عن
ثوبك غبارها.

اتصل.. تصل

إذا تطهرت.. فعد إلى الأرض التي أحرقتها، والأرواح التي
أزهقتها، والإماء التي رملتها، والحروب التي أضرمتها، والزروع
التي أغرقتها، والدموع التي أجريتها، والنفوس التي أوغرتها..

عُد إليهم، وأعلن تطهرك، وقل للعابرين والمقيمين، إني
سلكت طريق المطهرين.

إذا تطهرت، فاضرب روحك بسوط النور، واشرب من
كأس لا تظماً روحك بعدها، وتطهر من جديد.
إذا وجب الطُّهر، فتطهر، وإذا صار الخَلْقُ في عصمة من
خطايا روحك، فتعطر.
وارتق درجة.

الدرجة

التاسعة

عشرة

النَّعْطِر

إذا اغتسلت الروح تطهرت، وإذا تطهرت تعطرت، وإذا تعطرت بلغت العلة بالتركية، والغاية بدرجة الارتقاء.

والأصل في تعطر الروح ميتافيزيقي بما سكن فيها من خواص، والظاهر منها هو الكيمياء الروحية وما هو ملموس من الفضائل.

والحكم في تعطر الروح لصاحبها، فإن استراح لعطره، كان لروحه بين الناس رضا من دون نفور ولا إقصاء.

إنك إذا انتويت الخروج، تغتسل وترتدي فاخر الثياب وتتعطر، وتختار من العطر ما كنت قد اخترته عن سابق اقتناع، ولذا فإن ما راق لك من رائحته هو ما يجعلك على يقين أنه سيروق لمن يشتم هذا العطر.. هذه قناعتك أولا وهي موقوفة على نوع العطر وجودة زيتته ودرجة ثباته.

والعطر للجسد عنصر من عناصر الصورة الجمالية للإنسان، فهو مع الطلة والجيد من الثياب يشكل قبول الظاهر لدى الناس ويحدد انطباعاتهم تجاه صاحبه.

أما الروح فلها شأن آخر، ولتعطرها فوق العطر درجات.

إن عطر الجسد ظاهري، وعطر الروح باطني.

وعطر الجسد يثقل الصدور.. وعطر الروح يثلجها.

وعطر الجسد زاعق، وعطر الروح زكي رائق.

وعطر الجسد يفنى، وعطر الروح باق.

وعطر الجسد زيته مخلوط شائب، وعطر الروح ذاتي الهالة
زيته مضيء يسري ولا ينتشر، يسكر من دون دوار، وينعش من
ضرر، ويزكم الأنوف.

إن النور هو علة الاستدامة في العطر الروحي، وهو دليل
التطهر.. إذ لا عطر يسبق الاغتسال.

فعطر الجسد باق للزوال، وعطر الروح حي في الفناء.

الأول مصنوع من فان، والثاني من متفان

الأول للإثارة، والثاني للإيثار

وشتان بين العطرين.. إنه الفارق بين المطر والاستمطار،
وبين الأصل والفرع، وبين الشجرة وما جف وطار من
ورقها.

وهو الفارق بين الشعر الكثيف المنسدل، وبين الشعر المستعار.
هذان عطران اشتركا في الاسم واختلفا في النسب.
فكيف ترتقي بالتعطر إلى سلم المجد الروحي؟
في البدء..

اعلم أن عطر الروح هو أثرها، والأثر الخفيف عطره ثقيل دائم
أما الأثر الثقيل فلا عطر للروح فيه.
والأثر العطري للروح له هالات روحانية ما أصابت بشرا
إلا سكر بها وهام.

وكل فضيلة تتعطر بها الروح هالتها ذات عبير مختلف،
وتأثيرها متصل بقوة ما بلغته الروح من درجات في هذه الفضيلة.

وإذا كان هناك من تقسيم ظاهر لهالات العطر الروحي وهي كثيرة، فإني رأيت من بواطنها وقوة تأثيرها ما اجتهدت في رصده على هذا النحو:

هالات الانحناء

وهي دوائر العطر التي تصحب حضور الروح إذا لان صاحبها للناس ونزل إلى منازلهم، وهو في هذه الهيئة ينحني كعنق الزهرة إلى من هو دونه من الخلائق، وفي انحنائه يفوح عطر للروح في هالة كبيرة تحيط به كأنه أشرق عليهم.

وفي هذا المقام ذكر لكل من كان في قلبه للناس منزلة مهما اختلفت رتبهم، فإن صاحب الروح المرتقية لا ترتيب للناس عنده إلا في درجات الإنسانية، وهو لا يعامل بما يعامل، إنه يؤثر الانحناء لينشر هالة عطره بالنور.

ينحني صاحب الروح بالود فيجبر الخواطر المكسورة ويطيب النفوس فتطيب، وتمتلئ من هالة عطره صدورها، حتى إذا تنهدت تتراقص الأجواء من فرط سعادتها.

وأعظم هالات العطر التي تفوح من الروح، هو ما كان من الأنسنة.

والأنسنة خام العطر الروحي، لا يعتقد أنها إنسان إلا سما، ولا ينتهجها إلا أشرق.

وعطر الأنسنة من الروح خير من عطر الإنسان ولو كان قطرة فإن لها من السحر ما لا يفعله مداد بحر من العطور المصطنعة. كيف يرتقي الراغب في الارتقاء دون أن يمد يده بالعطر المؤنسن؟

إن هذه الهالة العطرية ينتفح منها الضعفاء والمعدمين والكادحين والعاجزين وأبناء السبل المقطوعة من الوصل.. إنهم فقط يحتاجون أن تشملهم هذه الهالة لتمتليء صدورهم بالعطر الروحاني وتحملهم هالة الانحناء ما فوق السحاب.

هذه الهالة أينما ارتسمت في فضاءات وخلوات وتجمعات البشر فإنها تجعل لك عطرا مميزا يسبق حضورك ويستشعر الناس بها خطوتك قبل أن يحضر جسدك، حتى إذا أدركتهم الهالة الروحانية تنهدوا قائلين: هلت عطور الأنسنة.

هالة الانحناء هي الحُضن الذي يضم من دون اعتصار،
وهي الحصن الذي يحمي من دون انكسار. الحُضن الذي
يعوض كل محروم الإنسانية المفقودة، ويطيبه بعطر الروح
بعد أن آذته العطور المغشوشة والروائح المنفرة.

وأنت يا صاحب العطر.. كيف لا ترتقي ومن ارتقيت بهم
ارتقوا إلى العنان؟

ارسم الهالة وانشر العطر وانحني للنور يا ابن النور.

هالات الاستواء:

في الاستواء عطر من دون ميل.

تتعطر الروح باستوائها إذا تطيبت بالصفح الجميل، وعطره
كما الرحيق يجود على الناس.

انظر إلى صاحب الحق إذا عفا، كيف تطيب المجالس به
مقاما وقياما؟

وتتعطر الروح بالصبر، من مرارة احتمالها تصنع عطرها،
وعلى قدر صبرها يكون فواحها.

وانظر إلى الصابرين في أعين الناس إن في عطريهم قوة
وفي أرواحهم إلهام وفي هالتهم استواء.

هالات الارتقاء:

العطر في مقام الارتقاء نفحة علوية، وأصحاب الأرواح
المرتقية في هالات السمو يحملون ريح الجنة.. فهل شممت
عطر الجنة؟

إنك حقا تشتم عطر الجنة في الرجل الذي قال قولاً حكيماً
فيه الفصل بين جميعين متقاتلين.

وأنت تشم ريح الجنة في الأرواح التي تشرق بحضورها،
كأنهم أزهار الفردوس تفتحت على أرض البشر.

وأنت تجد ريح الجنة في ريح سكنت بخطو الأرواح
الطاهرة التي اغتسلت من الأدناس والأحقاد والأغلال.

في قلب أولئك الذين انشرفت صدورهم بالتخلي عن
الرغبات والشهوات فلم تدس أقدامهم نائماً ولا زاحفاً ولا
أرض غريب.

من أولئك الذين يتسامون فوق كل كيد، ويفكون كل قيد،
ويطلقون النور في كل بيد.

إنك إن طالتك هالات العطر الارتقائي، فلا سعة لصدرك
إلا الفضاء، ولا مد لأنفاسك إلا الخلاء، ولا حضر في
حضرته عطر، ولا قامت في مقامهم قوارير.

قِيلَ لي:

الليل يغفو ليتنفس الصبح

الموج يسمو لتطفو السفينة

العود يشتد ليفوح العطر

صنعناك لتصنع الفلك

سويناك لنقوم عوجك

أعطيناك لتُنكر

تقبض ونبسط

تمنع ونعطي

تبطش ونعفو

تَغوي ونأوي

تضل ونهدي

تعود ونعود

هذه سيرتك الأولى

إِنَّا لَمُنْجُوكَ

.....

لماذا نداوم على تعطر الروح؟

أنت تشقى بالأرواح الشريرة في كل خطو، إنهم أقدار
محتومة لا مفر منها، أنفاسها كريهة، وروائحها كريهة مهما
تعطرت من عطرها المصطنع، ولن يبدد ريحها إلا ريحان
الروح المرتقية ففي عطرها هالات نورانية تفعل بالأشعار كما
تفعل الشمس بالسحاب المشتت في جوف السماء، وكما
تذرو الريح الرماد في يوم عاصف.

إننا يجب أن نتعطر عطرا حقيقيا، لأن صدورنا خلقت
لتتنفس طيبا، وأرواحنا خلقت لتنشر الطيب وترتقي.
فتعطر وارتق.

الدرجة

العشرون

الوصف

خلقت وحيدا ثم جمعتك.. لو شاء لطرحتك وحيدا من دون جمع.

خلقت موصولا إلى الواصلين بالخطو.. سعيت فيها لأجل الوصل، فإن لم تصل، كنت وحيدا مطروحا من كل جمع.. وما لذلك خلقت.

الوصل كرم، والروح أصلها كريم.

الإنسان مكرم في أصله، والروح وصله إلى التكريم.

إن روحك بالوصل تبلغ منزلة الارتقاء الأولى والأخيرة، وأنت من دون الوصل مفصول ومنفصل.

والوصل دوائر أولها عندك، وآخرها عند الواصلين، وبين النقطتين دروب النور.. فكيف تقطع روحك من شجرتها؟ وكيف لا تخشى الجفاف وأنت عالق في فراغ السعي؟

تقول القاعدة الروحية: اتصل تصل

فكيف تصل بما اتصل به أصلك؟

في دائرتك الأولى:

كانت الرحمة أصل الاتصال.

هل تذكر الحبل السري.. ألم تكن به علة أولى؟

إن المرأة التي أمدتك برحمة متصلة بمنبع الرحمات،
أرضعتك من الجوع، وأنامتك من السهر، وطببتك من المرض،
وأطلقتك لتكون رسولا لرحمتها ورسالة من رحمها.

وفي دائرتك الثانية:

أنت متصل بكل أم أخرى.

كل يد ساعدت قدميك الضعيفتين على النهوض.

كل يد أخذت بيدك الصغيرة تعلمها كيف تقبض على الأشياء.

كل يد نفضت التراب عن لقمته لتدراً عنك العلة.

وكل يد أحاطت بك لتقيك شر البكاء والخوف والأذى.

إنها محاولات ثانية لتعليمك فنون الاتصال والارتقاء بك في تلك الدائرة الثانية.. فهل أدركت الآن العلة من الدائرة الثانية؟
والدائرة الثالثة: هي بطن الارتقاء.

فالوصل دائرتيك الأولى والثانية يكون باللقاء الظاهر وتفاعله يأتي بالمواجهة والمكاشفة بالعواطف، وهو مرهون بالوقت والمكان إذا ما توفرا كان الوصل الذي نميل إلى تسميته بالاتصال في فترة ما قبل بلوغ الدرجة الارتقائية.

أما الوصل في دائرة الارتقاء، فباطنه الروح ودلالته النفس وأدواته الأعضاء.

ففي هذه الدائرة الروحانية، تستقر صورة الموصول في روح الواصل فتصير منه وإليه بعد إدراكه لعلة الاتصال وضرورته.

ومن هذا الباطن، يكتب العهد الأول بين الواصل والموصول وشاهده التلاقي من دون جسد، والتناجي من دون صوت، والمودة من دون لقاء.

إنهما يلتقيان في طريق الوصل النوراني وفي رحاب الروح وما أوسعها.

ففي ليله، يصحو الواصل فلا تنام عين الموصول، ويسهر الموصول فلا تنام عين الواصل، ولو سألت أحدهما: لماذا أصابك السهر؟ سيقول إن السهر في ليل الوصل سكينه، وإن العين إذا نامت بعد أن اطمأنت إلى سريرة موصولها ولو ساعة من الليل باتت قريرة كأن اليوم كله ليل.

وفي نهاره، يهم الواصل بالخطوة، فتتراسل الروحان (الواصل والموصول) فإن زلت خطوته، سددها خطوة الموصول، وبين الواصل والموصول درب من النور إذا زلت أقدامهما أوصلهما النور على بساط الارتقاء.

وفي تلهف المتعاهدين على الوصل، فإن الخط بين القلبين مفتوح على النور دائما، إن تألم أحدهما تأوه الآخر، وإن اشتاق أحدهما بادلته الآخر الاشتياق، وإن استشعر قلب الواصل رغبة في لقاء روعي، لم ينته من استشعاره حتى يأتيه قلب الموصول بردا وسلاما.

إنها علة الوصل وفضله، ولولا رقيه في بواطن الأرواح ما استحق أن يكون درجة عليا للارتقاء.

ولا يصل إلى مرتبة الوصل في هذه الدائرة إلا من كانت روحه صحيحة من أمراض الروح وفي عافية من انتكاساتها، ومتمرس على فنون الارتقاء بقلب سليم ونفس راضية ووجه مشرق.

والوصل مرهون بالسكون، فالصخب ملهاة للروح عن الاتصال بروحها، والسكون حبيب الليل:

أوله لهفة

وأوسطه اقتراب

وأخره سحر وتجل

وفي الليل.. الوصل بركة ما راق الطريق لنور الروح، فالمسافات مطوية، والشوائب مجلية، والأرواح واصلة ببركة النور وهمة الارتقاء.

ويحذر الواصل والموصول من الأرواح مما يعكر صفو الوصال وهو القطع.

والقطع بين الواصلين هو كل شيطان يظأ الرأس فينشغل، ويتسلل إلى القلب فيرتجف، ويقيد الأعضاء فلا يسعى

واصل إلى موصول، ويذهب الروح إلى طريق غير الطريق
فلا تصل.

وحصن الوصل هو التحصن من كل شيطان ينقض عهد
الواصلين، والتحصن سبق ذكره في باب الأدوية الروحية
وعلاجها، وشيطان الروح سبق ترويضه فيما سلف من
درجات الارتقاء..

وفي مقام الوصل العلوي، فلا نور إلا النور، ولا حجاب
فوق الحجب.

المتصل بالموصول في حصن الحصون.

كل رغبة في العلا حق بالأمر، وكل خطوة تطوي بين
المشرقين.

كل ليل منير بالعناقيد النورانية.. وكل النجوم في قبضة
الساھر.

من وصل وصله، ومن وصله أوصل به كل منقطع.

في الدائرة العلوية:

كل حركة صلاة. وكل سكون صلاة.. وكل قيام صلاة.. وكل قعود صلاة.

في مقام الوصل العلوي.. أنت تهم، والواصل قائم بالتلبية.
أنت تقترب، والواصل يطويك في دائرة القرب.
أنت تصمت، والواصل يسمع صمتك.
أنت تتمنى، والواصل يرضيك ببره.

في المقام العلي أنت ترغب في الارتقاء، والواصل يبسط لك المقام رقيا.

فاذكر من قطعك في هذا المقام يصل إليك.

واقطع من قطع عنك وصلك بالمقام يدوم وصلك.

في المقام العلوي لا شيطان يقطع الوصل، لا إنس ولا جان.. تلك الدائرة جوازها المرتقي وقطرها الفناء في الوصل والمشاهدة بلا احتجاب.. تلك دائرة النور من اقترب من غير النور احترق.. الشياطين نار والقاطعون نار.. والنور يحرق النار.

في الدائرة العلوية اتصل وقل إنني أريد، يقول الواصل: كن،
تقوم الإرادة فتكون.

لا تخش هجرا.. الهجر قطع.. أنت في مقام الوصل
الأبدي.

لا تقم في خوف.. الدائرة محمية برموز.. الواصل كلمة
السر العلوية.

في المقام العلوي.. أنت متصل الآن
عد إلى دائرتك الأولى واتصل برحمك الأول ورد الرحمة
بالوصل العلوي.

وعد إلى دائرتك الثانية:

صل اليد باليد، وترفق بكل يد أنهضتك ونفضت عنك
التراب وأحاطت بك.. الوصل بالوصل.

واتصل بدائرتك الثالثة.. صل منها كل ما اتصل بك من
وحي الارتقاء إلى المقام العلي واطو الخطى بالخطى، وبدد
الظلام بينك وبين الموصول بالنور.

لا تخش ليلاً.. فلا ليل

ولا تخش سهراً.. فلا سهر

ولا تحذر من يتربص بدوائرك.. فأنت العائد برسالة

الوصل.. وأنت العائد بالواصل.. وأنت المرتقي بالدرجة

العلوية.. وأنت الموصول بالاسم والحرف.

ولك في الوصل حياة.

الدرجة

العاوية

والعشرون

الحياة

من وصلها وصلته، ومن وصلته كانت له حياة.
الفرق بين الحياة والموت شعرة.. إنها الروح، متى هامت
بالوصل، عادت إلى الحياة بمعجزاتها.
والروح تحيا وتموت قبل القبض الكبير، والارتقاء هو
حياتها إلى الارتقاء الكبير، وما دونه الموت للروح.
كيف ترتقي بروحك إلى الحياة؟
بداية.. الحياة ليست أن تتنفس وتأكل وتشرب.. هذه فقط
بعض أعراض الحياة.
الحياة لها معنى آخر يكمن في علة بدايتها.
الروح أول الحياة.. فكيف لا تحيا من دبت في الجسد الحياة؟

إن حياة الارتقاء هي صراع مستعر بين الروح والجسد، والذي ينتصر في هذه المعركة هو من يمتلك تحديد مصير الإنسان ونصيبه من البقاء والفناء.

وهذا الصراع هو جهاد الروح في حربها من أجل الحياة، فكلما أحرزت انتصارًا ارتقت درجة، وكلما غنمت من أرواح واغتنت منها أرواح طال ذكرها وعظم مجدها.

إنك تحارب بأحد السلاحين: الجسد أو الروح
إذا اخترت السلاح الأول، فأنت حتمًا خارج دائرة الارتقاء.
في حربك بسلاح الجسد، كل غنيمة من ملذات السقوط،
فالجسد يشعل الحرب ولا يطفئها.

عقلك يدبر دومًا للحصار، وكل الوسائل مشروعة في
الهجوم من دون ميثاق شرف.

وتسأل: هل تتحلى بأخلاق الفرسان؟

إن العقل وهو مدير الجسد لا يأبه كثيرًا للأخلاق ولا لآداب
الحرب في تلك المرحلة التي تستسلم فيها لأن يقودك الجسد
في معركة الحياة.

غايته هي الحياة، والغاية تبررها كل الوسائل.. تفكر في
الخصم كيف تسحقه، وكل إنسان فيما عداك خصم، إذن فأنت
تفقد شرطاً جوهرياً من شروط الارتقاء.. إنك تتغول على حق
الإنسان في الحياة إلى جوارك.

وتذكر: الكون لم يخلق لك وحدك.

يصدر العقل الأمر بالتغول، وتتسابق الأعضاء إلى ميدان
الحرب.. والجسد يبدو كأنه في مهمة مقدسة.

انتبه: المهمة ربما تكون مقدسة بالنسبة إليك، لكنها في الحقيقة
مهمة دموية لإرضاء غرائز الجسد وتوحشه على الخلائق.

أنت لا ترتقي.. إنك تسقط في فخ إثر فخ

الحرب التي يخوضها الجسد ليحيا حرب فاسدة تمولها
الأنواء، فالنار تشعلها لتحرق ما يقف عثرة في سبيل غايتك
الدنيا، لا لتنير بها الطريق لك ولمن تبعك.

ورغبتك في الاستحواذ على المكاسب هي استجابة
لتوحش الأعضاء:

اليـد الـتي تجـيد الخـطف والامـتلاك
والقـدم الـتي تـمشـي فـي الأـرض مـرحاً
والنفس الأمارـة بإذلال ما دونها من نفوس
والقلب المتعطش إلى الدم
والأنياب الـتي تنهش كل جسد في المعسكر الآخر.
فـي حـرب الجـسد: كل من دونك خصم، وكل ما فوقك
عدو، وأنت العدو الأول لك،
حتى وإن صرت مهزوماً في النهاية، فأنت قاتل محترف ما
دمت أداة لجسدك.
فماذا عن الآخر؟
كل آخر بالنسبة إليك أصبح غنيمة ومستباحاً، فمن الذي
يمكنه أن يقف ضد طمعك في أرض ومال وعرض الغير؟
ومن يستطيع أن يصد هجماتك المستمرة وضحاياك؟
الحرب خدعة، وأنت على الدوام تخادع الخصوم، ترتدي
قناعاً لتوهمهم أنك في صفهم، حتى إذا اشتعلت الحرب برغباتك
كنت السيف في الخاصرة والخنجر في الظهر والسم في العسل.

إلى الغاية تمضي.. خطوك يطوي الأرض وفي كل خطوة
تدهس روحًا ربما إذا نجت من دهسك كانت طوق نجاتك،
لكنه العمى الذي يصيب كل من يشعلون الحروب.

هي إذن شهوة البقاء للأقوى، ربما تبدو قويًا في قرارتك،
لكنك في الأصل تكسب ضعفًا فوق ضعف، لأن منح الحياة
للآخرين قدرة وإرادة، وأنت بما أمرك به جسدك بلا قدرة ولا
إرادة.. أنت في منتهى الضعف.

وأنت تحمل سلاحك الأول تفكر كثيرًا وتخطط أكثر،
لكنك تخطط لفنائك، فالحياة سلسلة أنت مجرد حلقة فيها،
وكونك تفكر في إبادة إحدى الحلقات فهذا يعني أنك ستبقى
عالقًا وحيدًا.

أنت الآن أحرقت كل المدينة وجلست كغراب ينوح على
أطلالها.. هل أعجبك الخراب؟

الآن تستطيع أن تتجول بحرية فالأرض ملكك والفضاء..
لكن انتبه فأنت لست حرًا، صحيح أن الحرب انتهت وأنت تزهو

بنفسك أيها المنتصر، لكنك صرت أسيرًا مقيّدًا لجسدك ونزواتك
ورغباتك العدوانية.. ألهذا أشعلت الحرب أيها المنكسر؟

إن الحروب كل الحروب التي تخوضها من أجلك خاسرة
على أية حال.

خاسرة لأن فيها قتل للحقيقة.. حقيقة الحياة التي لم يهبها
إنسان لإنسان.

وفيها قتل لعدالة المساواة بين الخلائق.. فلا فضل ولا قتل
بين السواسية.

وفيها استعادة لقصة القتل الأول التي طالما بُليت بها
البشرية في تراجيديا أول صراع عرفته الأرض وأول دم سال
على ظهرها.

وفي حرب الجسد قتل لرفقاء الإنسانية، فلا رفيق ولا شقيق
عندما ترفع النفس راية الرغبة وتؤذن باسم الشهوات.

في هذه الحرب المادية: الحياة غاية والموت نتيجة:

أنت تقتلني لأنك ميت، وأنا أقتلك لأنني ميت، لأن هذا أمر الجسد، ولأن روحينا غائبتان، ولأن كلينا لا يملك القدرة على أن يمنح الحياة.

هذه سيكولوجيا القتل الأولى.. ونحن القابليون الذين يفقهون سيرة الدم الأول ويستكملون مسيرة القاتل الأول.

وبدلاً من أن يرتقي المحارب بجسده إلى غايته القصوى (الحياة) فإنه يسقط ميتاً في حياته، ويحيل المشهد إلى عالم قاسٍ جداً، لم تعد فيه رائحة الأشياء باقية.. الفيروس الإلكتروني قتل «روح» الحياة.. العالم تجري فيه أنهار الدم وتصب في المحيطات رؤوساً مقطوعة، وأطرافاً متهالكة من الجوع والحصار، وصقور الحرب يلعبون المصارعة فوق الخلائق ويحشون الحمام قشاً وتبناً.

العالم قاسٍ لأنك محارب في سبيل قضية خاسرة، السحابة سوداء لأنك تشعل الموت في كل خطاك، والكون صاخب بخطاياك لأنك تحيا بصخب وترقص بصخب وتشرب بصخب.

الكون ربما يصلح للحياة فهل أنت صالح للحياة؟

إن خيار الحرب بالجسد خيار خاطئ ونتائجه كارثية، ولن يرفعك إلى مقام الارتقاء أبدًا.

والآن أنت سيد قرارك وعليك أن تُقرر: هل ستحيا أم تبقى ميتًا على قيد الحياة؟

.....

طريق الروح ريحان.. من سلكه فاضت من خطوه الحياة

وسلاح الروح لا يرفع إلا للحياة.. من رفعه ارتقى

إن الذين ارتقت أرواحهم إلى درجة الحياة هم جنود كل روح تحب الحياة، لأنهم شغلوا أنفسهم بمنح الحياة لكل من أحبها.

واهتداء الإنسان إلى روحه المرتقية هو انتقال من خندق الباطل إلى خندق الحق، والحق يكفل الحياة لكل الخلائق، لأن حياة الآخرين تبقى مصنونة ما دام كل إنسان يؤمن بحق الآخر في الحياة.. هذه هي القاعدة الأولى في مقام ارتقاء الروح إلى درجة الحياة.

والروح المرتقية دائماً تنتصر ولا تنكسر.

إنها تمتلك بالارتقاء أخلاق الفرسان، فهي إن أسرت أكرمت، وإن تمكنت من رقبة رفعتها، وإن أتاها قيد في يدين كسرتة، لأنها الأقدر على الصفع والمنح.

والروح إن اضطرت إلى حرب فإنها لا تكون أبداً تلبية لرغبة شهوانية ولا سلوك عدواني، إن حربها في الحياة أن تصون الأرواح من القتل والظلم والعدوان، لأنها روح ارتقائية عقيدتها السلام القاتل لكل شهوة في الحرب.

والحرب التي تخوضها الروح لا خصم فيها إلا أعداء الحياة، إنها تقاتلهم بالحسنى وتبادئهم بالسلام حتى يرفعوا راية الحياة ويخلعوا لباس الحرب.

وسلاح الروح في حربها أن تزرع كل طريق للسالكين إلى الحياة، ولا هدنة لها إلا النور، ولا خسائر في حربها.

أنت الآن في مقام الارتقاء.. وروحك بلغت الدرجة الحادية والعشرين.. درجة الحياة التي مُنحت للروح وتمنحها الروح لكل روح.. فماذا بعد المنح؟

إذا استوت الروح في مقامها ارتقت في درجة الحياة إلى
مقام الحي وفيه الخلود والحياة:

الحياة لكل داعٍ للحياة وراغب في النجاة
والحياة لكل من شق الأرض ليبذر، ولكل من شد العزم
ليجبر

الحياة لكل زاهد في طمع، وكل عادل في قسمة، وكل
شاهد في عمار

الحياة الأولى التي منحت للروح بالأمر، فتمنحها بالامثال
للأمر واعتقادها بأن القتل كله ملة واحدة، وأن من يُحيي روحًا
إنما يمد في عمره في الحياة الأبدية حيث لا موت ولا قتل.

في مقام السمو تبلغ الروح من الحياة منزلة من الحياء الذي
يمنعها من التفريط في هذا التكليف العلوي:

إني أنزلتك من الأعالي بارتقاء، فترفعي عن الأرواح
بالتسامح، وابسطي لها جناح الرحمة.

أنا أحيي وأميت ثم أجمع.. فلا ينال حي من حي ولا يجتمع
جمع على أعزل، ولا يرهب حي حيا.
كُن بالحياة مرتقيًا.. امنحها ولا تمنعها.. واقترب وارفق.

الدرجة

الثانية

والعشرون

الحرية

حرية الروح ألا تفعل ما تريد وقتما تريد وأينما تريد.
إن هذا التعريف مقصور على الجسد، وهو تعريف يجبر
الجسد إلى الرغبة أكثر من غيرها.
أما حرية الروح فهي أن تكون أسيرة لكل الفضائل والمكارم
لتكون على هذه الدرجة من الارتقاء.
ومذهب الروح في الارتقاء هو تحريرها لتؤسر بهذه
الفضائل، وهو مذهب قوامه الخلاص.
إن الأرواح العالقة في الفراغ هي التي فقدت الحرية حقاً،
وعلى الرغم من أنها تبدو حرة لكنها مربوطة بسلسلة غليظة
ثقيلة طويلة تروح وتمضي وتتجول لكنها تبقى في النهاية
مربوطة بأول السلسلة، وما هكذا تكون الحرية.
أنت مثلاً تستطيع أن تقول: أنا حر

وإذا سألك أحدهم: ما دليل حريتك؟

ستجيب بأنك تستطيع أن تقرر أن تذهب إلى مكان للتنزه،
فلا يوجد ما يمنعك من الذهاب إلى وجهتك لعدة أسباب:

السبب الأول: لديك رغبة في التنزه

السبب الثاني: أنت صاحب القرار

السبب الثالث: تمتلك الوسيلة التي تمكنك من بلوغ وجهتك

والسبب الرابع: أنه لا أحد سيتضرر من هذه الخطوة لأنها
منك وبك وإليك ولا شأن لغيرك بها.

هذا هو المفهوم التقليدي للحرية، وما ينطبق على قرارك
بالتنزه هو ما ينطبق كذلك على كل قرار يتعلق بأوجه السلوك
البشري المرتبط بالتعريف التقليدي للحرية:

حرية المأكل

حرية الملابس

حرية التنقل

حرية الاعتقاد

حرية الفكر

حرية أن تفعل ما تريد وقتما تريد وأينما تريد من دون أن تتقاطع رغبتك مع رغبات الآخرين، ومن دون أن تمثل حريتك عدواناً على ما يمتلكونه من مساحات مماثلة للخصوصية.

إذن فالحرية في هذا المقام هي التسليم بالكل للرغبة الذاتية، وقصر الأفعال الحرة على زاوية صاحب القرار والقائم بالسلوك.

وهذه الحرية من السلوك البشري السليم ما دامت مقيدة بشرط قليل فيه: أن تنتهي حريتك عندما تبدأ حريات الآخرين.

والسؤال: هل هذه الحرية - المشار إليها مسبقاً - ترفعك إلى الارتقاء الروحاني؟

وهل هذا السلوك من احترامك حريتك ومن ثم حريات الآخرين كفيلاً أن يوفر لروحك حياة سليمة نقية راقية؟

بعد أن هذبت روحك وارتقيت بها إلى هذا المقام الرفيع من السلم الارتقائي، يجب أن تعلم أن حرية الروح غير حرية الجسد.. كيف؟

إن القاموس الروحي للارتقاء يخلو من كلمة الرغبة، والحرية التقليدية التي يمارسها البشر في حياتهم مقترنة أساساً بالرغبة والتحرر المقيد بهذه الرغبة.

وأنت تعلم أن الرغبة باب الشهوة، والشهوة علة النفس وعقبة الروح في طريق الارتقاء، وتبدو الحرية التقليدية في ظاهرها مسئولة بقرار صاحبها واكتفائه بنفسه، لكنها في الحقيقة غير ذلك، فالثابت أن كل ما قام على رغبة انحرف إلى الإضرار بالآخر ولا يسلم طريقه الحر من إغواج سيتقاطع يوماً مع أحد السالكين لطريق مماثل ما دامت الرغبة شاهد هذا الطريق.

إن الحرية الحقيقية لأهل الارتقاء الروحي لا تتحقق إلا بشرط القيد.

فالجسد ينفك ليكون حراً، والروح تتقيد لتتحرر.. فما العلة من تقييدها؟

اعلم أولاً أن كل شيء يرد إلى أصله، وأصل الروح خلاصها.. هذا الخلاص لا يتأتى إلا بتقييد الروح وفيه الحرية كل الحرية.

فما هو قيد الروح؟

النور هو قيد الروح وخلاصها، به تتحرر من دوائر الظلمات
وغيابات النفس.

والنور والحرية متلازمة الروح إلى الخلاص.

ولا تتعجب كيف يكون القيد باب التحرر، وكيف يصبح
الطوق جناح؟

إن عالم الارتقاء الروحي يموج بالأسرار والدلالات، وفيه
من العلل والهمم ما يسمو فوق سلوك البشر وسيكولوجية
الحركة.. إنه عالم الميتافيزيقيا ذو القوانين العلوية لا خطأ فيها
ولا عجب.

ارتق قليلا إلى درجة الخلاص لترى ماهية الحرية في رقيها
الروحاني:

هذا النور الذي بذلت في السعي إليه جهدا مشكورا، هو
الحرية بعينها، فقد ولدت بها منذ خرجت من المهد.

فبهذا الشعاع النوراني كان لك في البدء كل الفضاء وما
أوسع ميدانا كبيرا للحرية المطلقة، من دون عدد للأنفاس.

ولقد بلغت مبلغا عظيما من الحرية الأولى عندما كانت روحك تقودك بالنور من دون رغبة منك ولا قرار.. فماذا تغير؟ إنك عندما أصبحت صاحب القرار لتفعل أو لا تفعل، فقد حددت ملكيتك من هذا الكون، كان كله لك فاخترت الآن قطعة صغيرة لتقيم منزلا، وقطعة للتنزه وطريقا ضيقا لبلوغ غايتك، وقطعا هنا وهناك لتلبي حاجة الجسد إلى ممارسة الحرية بالطريقة التي يفكر بها عقلك وفق قدراته المحدودة، ونفسك وفق رغباتها المكبوتة.

لقد حبست النور في دائرة الرغبة الضيقة، وجعلت منه شعاعا يدخل على استحياء من ثقب ضيق في نفسك المعتلة بالرغبات.

والغاية في مقام الارتقاء الروحي، أن تسلم روحك للنور لكي تفتح لها فضاء الحرية الذي أغلقته عندما سلمت عقلك وجسدك طواعية للأسر المادي وتحديد الملكية من الفضاء الواسع الذي كنت تملكه بعقد أزملي.

إن صاحب الارتقاء حر طليق بما تقيد به من النور المبين:

فالجسد تنتهي حريته عندما تقوده الرغبة، والروح تبدأ حريتها عندما يقودها النور فيبدد الرغبة ويحرر الجسد.

والجسد مقيد ببلوغ حدود المادي، والروح ممددة في فوق محيط كل مادي.

وحرية الجسد مرهونة بالنسبي، وحرية الروح مكفولة بالمطلق.

والخطوة في طريق الجسد إلى الحرية محفوفة بالخطر، والخطوة لصاحب الروح محمولة على أجنحة من النور لا يراها إلا ذوو البصائر وأصحاب الهمم.

وحرية الجسد: تفعل ما تريد وقتما تريد أينما تريد.

وحرية الروح: تفعل ما ينبغي وقتما ينبغي أينما ينبغي.

وحرية الجسد لها هفوات، وحرية الروح لها نفحات.

إننا ننشد الحرية ونسعى لبلوغها ونشعل من أجلها الحروب، لكنها حرية مادية فقيرة أنانية تخلف الجفاف والكفاف والجفاء

والدماء، ذلك لأننا لم ننشد حرية الأرواح التي لا تأتي بالهتاف ولا الحركة ولا التمرد ولا الاستجابة لرغباتنا الضيقة وعلاتنا المستعصية، وإنما سبيلها الارتقاء الروحاني الذي لا يفتح باب الحرية لروح واحدة وإنما لكل روح سلكت دروب المرتقين وحملت النور لها وللآخرين فأضاءت بنورها مشاعل الحرية الحقيقية المقيدة بالنور والسلام والصفاء الروحي.

وأنت يا صاحب الروح المرتقية، ستصير حرا بما يليق بروحك عندما تقيدها بالنور الذي يقوم استواءها على سلم الارتقاء بدرجاته الرفيعة وخصاله الكريمة وأخلاقه الراقية، وستصبح إذا ما صرت حرا تنعم بحرية حقيقية عندما:

تجد الخلائق في حريتك صونا لحريتهم في الترقى
وحصتهم من النور

يأمن الحر في جوارك أن لا تجور عليه يدك وألا تبطش به
قدمك.

تطمئن نفس الباحث عن الحرية إلى نفسك ولا تحرقه
أنفاسك.

تمشي قدم الغريب قدامك فلا تراحمها ولا تعرقلها ولا
تعجل خطوها.

تهتف بحرية، فلا ترهب مسامع السالكين، ولا ترهب
مضاجع النائمين.

تكون سليم الروح، فتسعى الأرواح السليمة في ركابك،
وتشفى الأرواح العليلّة في رحابك.

إنك ترتقي إلى درجة الحرية الروحية، فانظر ماذا ترى؟
افعل ما تؤمر بالنور، واكشف عن المقيدّين بظلام النفوس
وأغلال العقول.

خلق بروحك كالطير في كبد السماء، الأرض ملكك والفضاء.
اضرب بجناحيك النورانيين كل حجاب.. واقتل الرغبة
تل حرية الروح.

طر عاليا في فضاء الملكوت وتحرر.. أنت الآن صاحب
الارتقاء وروحك على درجة الإبداع.

روحك حرة.. فابدع وارتق

الدرجة

الثالثة

والعشرون

الإبداع

مخطيء إذ تظن الإبداع مهارة يد أو نباهة عقل أو شطح خيال.

إن الإبداع حديث الروح وجمال نتاجها.. ولكل روح في الإبداع لغة لا يفقهها إلا أهل الارتقاء.

والإبداع الروحي رسول الحرية، فكلما حلقت الروح في سماء الحرية، أبدعت من وحي ارتقائها واستقائها من الجمال الكوني إنها ترسم بالنور.

الإبداع روح تسكن روحا، وهو من درجات الارتقاء التي يستديم بها الجمال الروحي بما ابتدأت به رحلتها منذ النفخة الأولى أصل الإبداع وجمال البديع.

إنك لا يجب أن تكون رساما ماهرا، أو شاعرا مفوها، أو عازفا ساحرا أو مصمما محترفا لتكون روحك مبدعة، هذه نتاجات إبداعية لكنها ليست شرطا لارتقاء الروح إلى درجة الإبداع.

فقد تقرأ من الشعر ما يطربك، وإذا التقيت الشاعر انقبضت روحك.

وقد تثير أشجانك وتلهب مشاعرك إحدى المعزوفات، فإذا حضرت روح العازف فررت هاربا. وكل تصميم ييوح بالجمال قد يأسرك، حتى إذا أدركت صاحبه صممت على مقاطعته.

إن كل منجز إبداعي لا يبقى إلا باتصال بين روح المبدع ومنجزه، فإن حدث قطع بينهما، فلا دوام للأثر إلا كدوام الفقاعة في سطح الماء، إذ إن الأصل في استمرارية التأثير هو نقاء روح المؤثر، وتلك كينونة الإبداع.

إن الروح إذا ارتقت رأت كل بديع في الملكوت، والإبداع الروحي همة وعزيمة، تلك الهمة التي تنطلق من الروح المرتقية لتخلق روحا في كل شيء، ما دام صاحب الروح يبحث عن خلق الجديد في محيطه.

وفي كل روح بلغت مراتب الارتقاء بذرة إبداع حتما ستقوم على رعايتها كل الدرجات السابقة على درجة الإبداع في سلم الارتقاء.

ولنبداً بعزيمة الإبداع.. ماذا تعني؟

إن العزيمة هي الطاقة التي تتولد داخل أرواحنا فتجعلنا نتمرد على الكلاسيكيات ونتحرر من التابوهات لنكون مؤثرين.

هذه العزيمة الارتقائية هي التي تلهمنا البحث عن مواطن جديدة للجمال نكتشفها ونقيم فيها حياة جديدة ونصنع منها عوالم مغايرة لكل العوالم التي تأبى الروح العيش فيها والتأقلم مع مفرداتها والتماهي مع كلاسيكياتها.

إن عزيمة الإبداع تبدأ بالإلهام، والروح المرتقية محظوظة بهذه الصفة العلوية لأنها حازت نصيباً وفيراً من الاطلاع على مكنونات الجمال في كل شيء.. فهل هناك إلهام أكثر من الجمال النوراني إذا تجلى في الصفات والشواهد والدروب التي تدور في أفلاكها كل روح اهتمت إلى ارتقائها؟

والإلهام يخرج من الروح روحاً لتكون تلك النواة التي ستشكل قوام كل منتج إبداعي روحي.

فكيف يتشكل هذا القوام؟

ما إن تتولد الروح المبدعة عند صاحب الارتقاء، فإن تلك النواة الصغيرة الكبيرة تبدأ التأمل في العلة من ارتقاء الروح، وتدرّك أن الروح الحرة مخلوقة للإبداع لأنها تدور في فلك بديع من السموات والأرض وما بينهما وما ظهر للأرواح وما بطن.

والتأمل هو العبادة الروحية التي تفتح أبواب الصفاء، ومتى فتحت أبواب الصفاء للروح، فإن صاحبها تكشف له كل المكنونات والخبايا والعلل والأسرار، وهذا هو خيط الإبداع الروحي إذا التقطته الروح كان سلوكها الإبداع الذي تسكن روحه كل روح في محيط صاحب الارتقاء.

ومن إبداع الروح المرتقية ما يميزها عن إبداع غيرها من الأرواح التي لم تبلغ سلم الارتقاء:

فالروح المرتقية تنفخ في عرق السم فتحيله خيط عسل، إنها تجيد غزل خيوط السعادة في مختبرها الإبداعي فلا تنتج إلا كل جميل، ومنجزها لا يعرف التراجيديا أبداً، فهذه

الأرواح المرتقية مبدعة في صهر الأوجاع وتشكيلها إلى درر وزينة للناظرين.

والسر الروحي في ذلك، أن الروح المبدعة لا تقرأ إلا الجمال حتى لو كان قبيحا، وهي إذ تقرأ القبح جمالا فهي لا تصوغه إلا حليا وجواهر تبحت عن الصدور المعتلة بالقبح فتزينها، والمعاصم الملتهبة بالقيود فتجبرها.. إنه سر الجمال.

وهي التجربة الذاتية الملهمة للروح في إبداعها، إنها تغترف من بحر النور جمالا كمشكاة فيها مصباح، المصباح في زجاجة من الرحيق الإبداعي الذي يزين المجالس المزدانة بالروح المرتقية فلا تنطق إلا إبداعا في القول تطمئن به القلوب العليلة وتسحر به الخيالات بما ينطوي عليه منجز الروح من إبداع يقول فيه الجمال هل من مزيد؟

والروح المبدعة خيالها واقع وتصورها جميل دوما:

إنها تلتقط الريشة فترسم سلم الارتقاء لكل روح، وتشيد قصورا لمن يلتحفون العراء، وتحفر آبارا لمن أرهقهم الظمأ

في الدروب المقفرة، وثمار البساتين التي تخطها حية مشبعة،
ومن حاز لوحة الروح المبدعة استشعر لذة الثمرة في جوفه
كما يستشعر دغدغة الريشة لفؤاده.

الإلهام سر الارتقاء، والروح المبدعة إلهامها علوي
ومنتجها بروح علوية ومتلقيه على وعد بالارتقاء، فمن جاور
المرتقين ارتقى.

والروح المرتقية لا تنشد شعرا، إنها تصنع سحرا بالكلمات
وعناقيد من اللاإلهي الحكيمة.

أنت يا صاحب الارتقاء في جمع الناس إذا تحدثت إليهم
تقرأ من صحيفة النور ذات المفردات الكاشفة والعلل الباطنية
التي تصل إلى أعماق الروح بقوة الشعاع النوراني وسلاح
الجمال العلوي الذي تنحني أمامه كل القامات فلا تبدي له إلا
استحسانا ولا تملك معه إلا تذوقا وامتنانا.. إنها ذائقة الأرواح
المبدعة التي يقصدها كل صاحب ذائقة ليتزود بالنور.. ومن
منا ليس بحاجة إلى النور والإلهام؟

ومداد الجمال الذي تغترف منه الروح المبدعة لا يخضع للقواعد النظرية أبداً، ولذلك فإن المنجز الإبداعي للأرواح المرتقية لا يقبل النقد لأنه جاوز الحدود النظرية إلى الإبداع العلوي وهو تحصين نوراني لما تنسجه روح المرتقي من خيوط الإبداع.

إن المتلقي لإبداع البشر مرهون بهواه ومزاجه وذائقته في تقييم ما يتلقاه، يقبل هذا ويرفض ذاك، ويكتشف في طرح هذا انتقاصاً، ويرى في إبداع ذلك ميل إلى الاكتمال، أما منجز الروح ففي حضرتها تخر الأذواق ساجدة بالنور صامته بالعزيمة مندهشة بالهمة مسبحة بإبداع التفاصيل.

وسل روحك يا صاحب الارتقاء:

هل تجد عوارا في حركة الشمس أو القمر؟

هل تجد خللا في بناء النظام الكوني؟

هل ترى نقصا في التكوين البديع للأجرام السماوية؟

هل يشوب جمال النور نقصا أو تشوبه ظلمة؟

إنك أمام الظواهر الجمالية المدفوعة بإلهام علوي تقف مبهورا دوما، ذلك الانبهار الذي لا يفسح مجالا للنقد أو التأويل أو التبرير أو الشك أو التنظير.. إنه مقام للتأمل والسروح في خيال الجمال الروحاني المكتمل في الروح المبدعة بأمر الجميل النافخ بأمره في إبداعها من كل جمال.

حتما سترتقي وستكون روحك مبدعة وعندئذ سترسم الصور بريشة النور لتكون أكثر جمالا، وتكتب الشعر بمداد النور ليكون أكثر روعة، وتعزف الموسيقى بأصابع النور لتكون سيمفونيتك روحانية ترتقي بالأرواح، وستصمم كل جديد لا تعرفه الأرواح لأن الجمال الذي تكتشفه دوما بروحك المرتقية فوق خيالات البشر، والحكمة التي تموج بها روحك المبدعة تستحق التدوين في النفوس والاحترام في العقول والسعادة في القلوب.

إننا دوما بحاجة إلى الارتقاء إلى الدرجة الإبداعية على هذا السلم، لأننا نفتقد الجمال الذي يحول الأنياب الناهشة في أرواحنا إلى أنامل مبدعة وملهمة.

ولأننا نحتاج بيوتاً من الحكمة نسكنها في عرائنا الموحش.
ولأن خيالاتنا باتت مريضة، لأنها لم تنل حظاً من الارتقاء
يهذب جموحها ويذهب علتها ويرفعها إلى المنظور العلوي
للجمال وفردوسه.

إننا بحاجة إلى أن نرتقي بأرواحنا لنرسم خطانا على طريق
النور بكل بديع.

إن أرواحنا إذا صارت مبدعة سنجد الحياة لنا ولغيرنا..
لأننا كنا قبل أن نرتقي لا نجد الحياة فغدت أوقاتنا مقبرة.

الدرجة

الرابعة

والعشرون

الإشباع

الإشباع أن تكون وافيا شافيا كافيا لكل روح طرقت باب روحك.

أن تنظر إليك عين فتهناً، وأن تلمسك يد فتكتفي، وأن تشبع من وجودك الخلائق.

لن ترتقي روحك إلى درجة الإشباع إلا ب «كن»:

كن اللقمة التي تنتظرها الأفواه الجائعة في شدة الجفاف

كن الجدار الأملس للظهور المتعبة من قلق التجوال.

كن العزيمة للمثقلين بضعفهم والخائفين من المثقلين بالظلمات.

كن وساما في نهاية الرحلة.. بدد الألم وجدد الأمل.

أشبع الأرواح تشبع.. أشبعها ترتق.

في عرف المرتقي الإشباع فريضة، هذه الفريضة لا تحتمل لديه التخلي عن تحقيق هذه الرغبة لأي إنسان في أي وقت.. إنه فقط يدوام عليها.. ذلك شرطها الذي لا يسقط.

والمرتقي لا يشبع إلا إذا شبع.. فكيف يشبع؟

إنه على سلم الارتقاء قد بلغ الارتواء الروحي من درجات الترقى.

والمتشبع بالفضائل الارتقائية والصفات الحسنى مما اشتملت عليه درجات الارتقاء هو مائدة السماء المبسوطة على وجه الأرض لكل عابر ومقيم، وفلسفته في الإشباع أنه استزاد من كل متعة روحانية وفاضت فضائله:

فهو للعابر يشبع خطوه ويروي روحه بما يتلمسه له من أمان وسكينة وصدق وبسط.

يقول للعابر:

هذه أرضك فاركض برجلك.

هذه بلادك، فتوطن في محاربتها.

هؤلاء أهلك، وصلك بهم روح، وروحك بهم تشبع.
هذا دينك، من بني آدم ولدنا وبالإنسانية وجدنا، وبالروحانية
التقينا.

والمتشبع بالروح للمقيم شريك في كل شيء.
يقول للمقيم:

أنا مقام فرحك، شاطرني فرحي واقتسم ضحكتي.
أنا وسادة حزنك، أفرغ رأسك من الهموم وعينيك من
الدموع، ثم انهض.
إنها شجرة الروح متى نضجت أثمرت.. فهل تقطف
الأرواح ثمارها؟

إن ثمار الروح الناضجة إذا اكتشفها صاحب الارتقاء فإنها
ستكون قادرة على إشباع كل راغب في الظل، وهي كثمار الجنة
لا يصيب آكلها ألم ولا ندم ولا تخرجه من الجنة ولا يشقى.
وإن أصحاب الارتقاء في استوائهم على هذه الدرجة هم
المصلحون لما فسد من أخلاق الناس وما اعوج من أرواحهم
وما اعتل من ضمائرهم.

هذا الإصلاح دليله الإشباع.

ففي كل نفس ثغرة لنزوة وشهوة، وفي كل روح جدار يريد أن يقام، وفي كل قلب ثقب يريد أن يرتق، والروح المشبعة هي دواء كل نقص مما يعانيه الناس.

وأنت ترتقي، لن يكون إشباعك للآخر هو اللقمة التي تزيد عن حاجتك، ولا الرداء الذي أصبح لا يليق بجسدك، ولا الغطاء الذي تتصبب منه عرقاً، ولا العطاءات المادية على اختلافها يمكن أن تشبع الأرواح، فالإشباع الروحي هو عطاء ما لا يراه الناس وإنما يحسونه:

إنك تعطي الآخر لقمة فيشعر بالشبع ثم يمضي، وتمنح غطاءك للمرتجف فيسلم من البرد وينقضي ليله، وهو حال عطائك للماء والملبس والمال وما تعارف الناس عليه من العطاءات المادية التي ترضي رغبات الجسد.

فماذا أعطيت إذن للأرواح؟

إن الروح تتغذى على الفضائل والمكارم والسكينة، فإذا ما أشبعت صاحب الروح استزاد، ولم ينقصك مهما استزاد منك.

إننا منقوصون دائما من الإشباع الروحاني، ولولا هؤلاء الذين نتزود منهم بهذه الطاقة الروحانية لنفقنا، فثمة خلل في بنية مجتمعاتنا لأن كلا منا يعيش في شرنقة يكتفي بنفسه ولنفسه.. فأين الآخرون من اكتفائنا؟

من صفات العامة أنهم عامة سارحون في الأرض يقطفون ما يتدلى لهم من ثمار، ويتعشرون في ما يقابلهم من عقبات.. يقاومون وينهارون ويقومون ويسقطون لأنهم بلا دليل ولا مرشد، ولأن أرواحهم جائعة.

ومن صفات أهل الخاصة من الأرواح، أنهم مقيمون في الأرض مراقبون للدروب، لا ينغلقون ولا تمتلكهم رغبات ذاتية، هم الذين يطرحون الثمار التي تتدلى للعابرين فلا مواسم لطررحهم، وهم الذين يُعبدون الطرق ويسدون الفخاخ ويشدون الأحزمة فلا يسقط في طريقهم قائم، ولا يتعثر في دربه من اتخذهم دليلا ومرشداً.

ودرجة الإشباع الروحي في سلم الارتقاء لها «رادار» يلتقط به أهل الخاصة إشارات الاشتياق ثم الإشباع الروحاني في محيطهم.

وانظر إلى الروح التي تشبعت بفضائلها فشبع منها الناس،
إنها تلتقط تلك الإشارات جيداً.

فصاحب الارتقاء يرى في العيون إشارة الشوق إلى
الحضور فيحضر كالنسيم البارد حاملاً طيبه وإشراقات روحه،
وإذا أقرت به العيون التقط إشارات الإشباع من بريقها، وكل
دليل في العين له بريق كما سبق تفصيله.

وثمة قلوب جائعة إلى الحب، أنى وجدها صاحب الروح
المرتقية أغاث إشارتها، وغمرها بفيض النور، فأشارت إليه
بسكينة الحب.

وفي كل جوار، أرواح مريضة بالخوف والته والوحشة
والانكسار والموت الحي، ولكل عرض من هذه الأمراض
إشارة يلتقطها رادرا الروح السليمة فينهض إليها حاملاً ترياق
كل علة يشبعها من الدواء حتى تشفى.

إن الإشباع هو العافية التي تحملها الأرواح المرتقية لكل
روح معتلة جائعة إلى السلام والسكينة.

واعلم أنك إذا ارتقيت إلى درجة الإشباع الروحاني، وأصابت كل روح منك ما يشبعها، فإنك قد أدت الرسالة الارتقائية وعالجت الخلل البنيوي في محيطك، فالمتشبعون بالأرواح لا يجوعون ولا يعرفون ولا يشقون.. أليست هذه غاية الارتقاء وبغية السمو الروحاني الذي تسعى إليه؟

ومن حسنات الإشباع أنه يرفع -كغيره من درجات الارتقاء- الروح إلى مقام أعلى بين العطاء والرضا.. كيف؟

إنك إذا قررت أن تشبع روحًا فأنت تعطيها، وهي ترضى إذا أعطيتها، وهنا يتحقق شرط المعادلة الروحانية (العطاء والرضا) على درجة التماثل بين البشر، وعندئذ ترتقي الروح إلى الدرجة الحسنى العلوية، فتنال من عطائها العطاء الواسع، وتنال كذلك بما رضى الرضا الكبير «ولسوف يعطيك ربك فترضى».

ووجهك في مقام الارتقاء صحيفة الإشباع الروحي، ففي تقاسيمه دلالات النور التي تضيء لعطائك الطريق إلى من كان به جوع لفضائل الروح ومكارم أخلاقها، فإذا كان منك العطاء والإشباع أضواء وجهك ووجه من أعطيت وأشبع،

وترتفع بهذا إلى درجة الارتقاء العلوية لتبقى في حوزة نور السموات والأرض.. الكوكب الدرّي الذي لا شبع من نوره ولا رغبة في مفارقتة.

إنك في الأرض ترتقي لأنك صاحب رسالة علوية في إعمارها، والإعمار أن تعمّر الأرواح بك، وتروي ظمأها بارتقائك، وأن تشبع من هذا الارتقاء كل روح ضلت السبيل وأنهكها الجوع.

أنت المرتقي وتلك رسالة الارتقاء، وهذا صلاح للأرض من كل ما أفسدته الأرواح الأنانية التي تكتفي بما أوتيت فلا تشبع من أتاها:

قل: اجتهد في حرثها

لا تبقر بطنها إلا بنبت

لا تدنس طهرها

لا تبدل خلقها

لا تمتثل لشیطانك

اسقها لتسقيك

لا تحرق الأخضر بمطمع

إن استوى حرقا فنيت

لا تتعجل الطرح فتطرح

أطعم فرخها

من ضعف بعد ضعف قوة

لا ترهب الصغير يشيب

لا تأكل أذاك تزول

.....

قيل: رَوْضُ قَرِينِكَ

لك ريشة وحجر

علمناك التلوين والتكوين

ارسم الأشجار للمقفرين

والزهور للباكين

والجياذ للمسافرين

والخيام للعائدين

لا تغرس ريشتك في صدر ضعيف

انقش على الحجر لمن خلفك

تلك رسالتك وعلينا الحساب.

الزم تعاليم رسالتك أيها المرتقي، واصعد إلى درجة الصفاء

فإن روحك أهل لها، وتلك عقبى الذين ارتقوا.

الدرجة

الخامسة

والعشرون

الصفاء

هل يخترق شعاع النور الكتل المصمتة؟

لا بد أن تسأل نفسك قبل بلوغ درجة الصفاء على سلم
الارتقاء الروحي: هل تستطيع أن تكون معبرا للنور؟

إن الروح في مرتبة الصفاء لا يخضع فيها لقواعد
الطبيعة، فهو لا يتشتت ولا ينكسر ولا ينعكس، لأن مسالكه
من دون عثرات، ومساره شفاف بلون الروح.. إنه الصفاء
العذب السائغ مورد النور ومعبره.

والروح المرتقية قبل بلوغ درجة الصفاء ترى ما يحدث، وبعد
البلوغ ترى ما لم يحدث، وتلك هي فضيلة الصفاء الروحي.

إنها مفاضلة في الإدراك والعلة:

ثمة أشياء تحدث لك من دون قرار منك، قد ترى أنها جيدة
وقد تراها سيئة بحسب الحالة التي تلقيت بها هذا الفعل،

غير أنك بعد وقت قصير يمكنك يا صاحب الروح المرتقية أن تدرك العلة مما حدث بعد أن تقرأه جيداً معتمداً على استنتاجات وردود الفعل والأجواء التي أحدثها ذلك الفعل.

واضرب مثلاً لروحك:

الخطوة التي تدبها تسلمك إلى أماكن ربما لم تتخيل يوماً أن تطأها، لأنها كانت حلمًا بعيداً عن قدراتك لبلوغها، الآن أنت تسكنها وتسكنك وربما أيضاً تراها خطوة تقدمية في مسيرة حياتك، ونعمة يحسدك عليها الناس.

هذا شيء جيد فصاحب كل نعمة دائماً ما يكون في مرمى الحسد، ولكنك في الوقت ذاته تدرك الآن أن هذه الخطوة كانت واجبة لما ترتب عليها من نتائج لم تكن لتحدث لولا وجودك في هذا المكان.. إذن فالعلة مما حدث أنه كان لا بد من حدوثه للأسباب التي تجعلك الآن تنعم وتجعل الناس أيضاً تحسدك على النعمة.

أما صاحب الروح المرتقية إلى درجة الصفاء، فإنه يدرك العلة من الإنعام قبل حدوث النعمة.. كيف؟

إن الروح إذا صفت رأت قبل حدوث الفعل، فالخطوة قبل أن تدب في المكان تدرك علة الخطو وتستشعر نتائجه، وتلك مهمة النور الكشفية لما يستتر عن الروح، إذ إن الصفاء يفتح الأبواب الموصدة أمام العقل في ضيق أفقه فلا آفاق إلا الرحابة ولا مغاليق أمام الشعاع النوراني.

وكما أن الصفاء يرتقي بالروح إلى علة الإدراك قبل حدوث الإنعام، فإنه كذلك يلهمها البصيرة بمكامن الخطر قبل أن تدب الخطوة.

إن النور الذي يمنحه الصفاء للروح هو أبيض جامع لكل الألوان والعلات والأسباب في خيط واحد كاشف ومبدد، لذا فإن أهل الارتقاء بالصفاء يسبقون الخطى بخطوة، ويدركون الرضا قبل حدوث فعل الإرضاء، ويخترقون الليل لأن أرواحهم شמוש لا تحل في حضرتها الظلمات.

والمر على هذه الدرجة الارتقائية يغالب طبعه بالتخلي للوصول إلى فراسة الروح وعلة الأسرار، فيصير المخفي مرئياً والمستتر مكشوفاً:

إن الجسد إذا ابتلي بداء الشهوة والتسلط والتجبر، صارت الروح كتلة مصمتة جافة غير شافة متحجرة الطباع مذمومة الجوار. وفي عرف المرتقين لا يغلب طبع همة الروح، كلما داهمها الهوى بالخطر تحصنت بالارتقاء والتخلي، فينتكس الهوى من دون أن يصيبها بأدواء النفس من طمع وتغول وتنمر وازدراء وسوء قصد.

وصاحب الارتقاء يدرك أن أمراض النفوس تعكر صفو الروح، وأن الأرواح بالشر لا تبلغ البصيرة، وأن الماء إذا شابه كدر فقد شرط الارتواء، لذا فإنه:

يصرع الراحة بالتعب والمجاهدة، إدراكاً لعلة العطاء التي تقي الروح طمعها في الخلائق.

ويدفع الرغبة بالمحبة، درءاً للتغول والاستقواء على الخلائق.

ويذهب السيئة بالحسنة، رغبة في بلوغ الصفاء من الخلائق. ويغالب الانزواء بالاختلاط، تحقيقاً لعلة الجمع وسر الخلق.

ويؤتي الظاهر بما ظهر، إقرارًا لحكمة الاستتار وخاصة الباطن.

ويتخلى صاحب الروح المرتقية ليتجلى، ولأن التجلي مقام النور، والنور هو الصفاء.

والتخلي في طريق بلوغ الصفاء يرفع الروح إلى مقام الونس، فكل روح تأنس إلى جوارك تبلغ أمنها من بعد خوف، والناس يخشون الاقتراب من الدوائر المظلمة للأرواح، ولا يخالطون مجالس الأشرار منها، ولا يجمعون ولا يشفعون إلا لمن ارتقى وهم في حضرتهم مطمئنون.

والونس بالأرواح الراغبة في الصفاء يدفع إلى مقام الراحة، والراحة غاية كل إنسان في هذه الحياة، فكلما استراح الناس بروح تشد الصفاء لم يعكرهم كدر ولم يستشعروا خوفًا.

وانظر إلى صفحة الماء الرائق.. إنك تجلس إلى الشاطئ لتطهر نفسك من أعبائها وتغسلها من همومها لأنك تراح إلى هدوء ونقاء الماء من صخب اليابسة وشرور الأرواح السارحة فيها.

والراحة باب السكينة، والروح إذا سكنت راقّت لكل جميل، وقالت بكل جمال، وصار منهجها الشفافية من دون ميل ولا انحياز.. إنها فقط تقول الحق في كل مقام، وتسقط أقنعة الظلام عن كل وجه لأن رسالتها النور، والنور كاشف ومكشوف.

والشفافية مفتاح الصفاء، فكل شاف صاف، ومن الصفاء يمر النور وينكسر الظلام، وهذا غاية المرتقي.

وتبلغ الروح ذروة درجة الصفاء باعتلائها مقام الفراسة وهي أعلى مراتب الصفاء الروحي، إنها تمنح الإنسان طاقة نورانية لا يقف دونها ظلام، تتجاوز بالعقل دائرة الضيق إلى سعة التأمل، وتكشف الحجاب للإدراك والمعرفة بكل ما غاب عن العقل إدراكه في حينه وما تأجلت معرفته لحين وقوع نتائجه، وتطلق القلب من أسر قفص الصدر إلى فضاء الكون، وتهتدي بها الروح إلى الحقيقة أينما كانت، وأينما اهتدت الروح إلى الحقيقة فإنها تمتلك خريطة البلوغ ومسالك الوصول بإشراق لا يشرك فيه بالنور أي ظلام.

والروح بفراصة الصفاء كالطبيب الماهر، يجيد تحديد موطن الألم، فإذا هم باستئصال العلة، حلت العافية بالجسد. لذا فإن أهل الخاصة من الأرواح، هم أهل الإدراك لعلة كل حادث وغاية كل فعل قبل أن يسلكوا إليه سبيلاً.. إنهم الأقدر على المشاهدة قبل أن ترسم الخطوة الطريق، وقبل أن تنقذ القشة الغريق، وقبل أن ينذر الرعد بالمطر.

إنهم أمناء السر والواصلون إليه، لأنهم أبصروه بأرواحهم قبل أن تبلغه المسامع والأبصار، وهم المحيطون بالعلة قبل الغاية، والمدركون بالبصيرة أن إدراك العلة من الإنعام أفضل من الحمد على النعمة، وذلك بما أبصروا وشاهدوا من أسرار. ومن فضائل الصفاء الروحي، أنه ينير العقل فلا يشطح ولا يركد ولا يدبر بكيد.

ويزيل سواد القلوب، فلا تمكر ولا تحقد ولا تكره ولا تغل ولا تمل.

ويظهر الطريق للسالكين من كل عثرة، وينزل الواصلين مقام النور.

جذرك روحك

جفافه التيه

جفاه اللهو

جوده التمسك

جنانه المسك

جمعه الحمد

جذعه النور

جوفه الصفا

جاره الوفاء

جياده الحب

جماله التبسم

جرا به النفس

جسده القوامة

جزاؤه القبول

جئت معلقا

جَعَلْتُكَ كَالْبَيْتِ

قِيَامًا وَمَقَامًا

هَدْيًا وَقَلَادِ

جَعَلْتُكَ لِتَكُونَ

فَكُنْ كَمَا جَعَلْتُكَ

إنك ترتقي بالصفاء على سلم الصعود لأنك أهل للارتقاء،
ولأن العالم بحاجة إلى أرواح صافية تحفظ النفوس الغبار،
والأبرياء من البارود، والعابرين من قطاع الطرق، والطيور من
نهم صائدي الأجنحة وتنمر الباحثين عن متعة الدم.

إنك تصفو لترتقي روحك، ولأن الروح لا تبلغ درجة
العشق إلا إذا صفت، فاصف وارفق.

الدرجة

السادسة

والعشرون

العشّ

وصُفك: المرتقي بالصفاء.. متى صفوت فأنت العاشق
أنت الآن على درجة السر الكبير.. النور السرمدي في
روحك المرتقية..

فما غرك أيها المرتقي لتتوه عن العشق؟
ولماذا أضعت في غيبة العشق حياتك؟
كيف تحيا الأوراق بدون خضرة؟
وكيف يصفو الليل من دون سكون؟
وكيف افترقت عن النور؟

استقم.. فأنت الآن على درجة النور
في روحك شمس غير الشمس، وقمر غير القمر، ونجوم
سابحات في فضاء القلب، وروضة من رياض الجنة، وعطر
وريحان.

استقم.. فأنت العاشق المأسور بالنور، وما لغير النور
عشق، وما لعشق النور وصف.

لا تصف عشقك، فوصف العشق انتقاص من نوره، وروح
العاشق تحيا بالعشق، وإن جاز الوصف فالعشق حياة ولا
تكفيه ألف حياة.

على درجة العشق الارتقائية: لن تصف العشق لأحد،
ولن يصفه لك أحد، فالعشق قاموس بحره مداد، وكلماته لا
تحصى.. أوليس من جُل النعم؟ أوليس إحصاء النعم درب
من الجنون؟

إنك قد أوتيت العشق بمثل ما أوتيت الروح، فكلاهما
مصدره غيبي، إن كنت اخترت الروح فقد اخترت العشق،
لكنك لم تختار وما كان لك إلا الإيمان والتسليم، فالروح
من أمره هبطت وإلى أمره تُرجع، والعشق إلى درجته ارتقيت
بالأمر، وعلى درجته تثبت، وما يحركك في كلا الحالتين
سوى قوة لا تراها ولا يدركها بصرك، لكنها موصولة بالبصيرة
والاستشعار.

الروح عاشقة والعشق روح

ستستوي على درجة العشق، إذا التحم الرفيقان على طريق النور: روحك وعشقتك، فبينهما من الكيمياء ما يجاوز قوانين الطبيعة إلى مراتب الارتقاء وحقيقة المشاهدة.. أنت تعشق فتضيء، وروحك تزهو، وفي دائرة النور تسطع شمس وأقمار كل يجري إلى حيث يجري رفيقا الارتقاء..

لا تقل عن عشقتك هوى، فمن أهواه الهوى هوى، ولكن قل إنني أشرق، فإن أشرقت كنت شمس كل عاشق وقمر كل ليل وقبله كل ساجد، واعشق بكل ما أوتيت من قوة لأنك مصدر كل قوة ما دمت عاشقاً، والعاشقون في العلياء ما داموا أحياء، والعاشقون لا يموتون.. إنهم أحياء عند من يعشقون.

ولا تقل إن العشق منهج، فالعاشقون في الارتقاء أصحاب مذاهب شتى، ولكل عاشق طريق، ومهما اتعددت طرائق العشاقين فإنهم إلى قبله وحيدة سائرون.. إنها قبله النور حيث يتجلى القلب في حضرة العشق، فاطلب مقامك وشق طريقك وارفع ذاتك إلى ذاتك بالعشق ومن عشقت.

وروح العشق طاهرة بما بلغت من سمو الارتقاء، وبما بلغت من نشوة العشق.

ونشوة العشق إكسير الحياة للروح، وهي الدرجة التي تتحطم عندها شهوة الجسد وعلاته، وتتلاشى فوقها كل مادة لا ترفض اللمس ولا تسمع الهمس.

إن العاشق لا يملك على درجة العشق إلا الذوبان في الذات لأنه مسير بالعشق، ومُكون به، حتى إذا ذاب باعده الشيب لأنه يولد من جديد، وفي ولادته يولد النور.

ولا تسأل عاشقًا لماذا يذوب؟

لقد بلغ السرفصار مجذوبًا بالهيام، وأدرك بالروح روحها فتمكن من أعماقه الشوق، ورغب في مزيد من الارتواء فارتوى، وطمع في مزيد من الشوق فغرق، ولم يرغب في شاطيء ولا شراع فذاب، وفي ذوبانه انفتحت له أسرار القيعان ورأى الظلام سرابًا في حضرة النور فقال: إني عشقت الآن.

ولا تسأل عاشقًا ارتقى عن شعاع النور؟

هذا جسد تحرر من العلة لأنه تطهر من الدماء، عروقه إذ صارت ناصعة فإن النور سكنها، والنور إذا طاب له المقام في جسد لم يبارحه حتى يضيء ويقول للذين لم يبلغوا العشق: أفلا تعشقون؟

ولا تتعجب من جمال وجه العاشق عجبك من وجه انعكس عليه النور، فالوجه المضاء بالنور الخارجي يلفت بصرك، ووجه العاشق يلفت بصيرتك لأن النور في روحه تجلٍ من أثر العشق.. أليس النور يسكنه؟

والعاشق أكثر الناس إدراكًا للجمال، لأنه موطن الجمال ولأن العشق يكسو صاحبه بنور على نور، وفي دائرة النور لا يبقى إلا من أراد للنور أن يكشف بهاءه.

إنك في حضرة العاشق لن ترهقك نفسك بالبحث عن الجمال، فما عليك إلا أن تتبع خطوه:

إنه متبوع بكل جميل من البشر والحجر والشجر

لا ينزل إلا أرضًا طيبة والمسك طيبتها

ولا ينظر إلا وجوهاً يفوح منها النور
ولا يشفع إلا لمن ارتقى بالجمال إلى الجمال
إن العاشق المرتقي قد تجلت في ذاته مشاهدة الجمال
فكان جميلاً لا يرى إلا الجميل.

وفي الدرجة السادسة والعشرين من سلم الارتقاء الروحي،
لا توجد نوبات للعشق، إذ إن النوبة مرهونة بوقت، والعاشق
المرتقي لا يخضع للتوقيت ولا تلدغه عقارب الساعة أبداً،
ونوره ليس مقروناً بنهار، فصاحب الروح المرتقية يدير
عقارب العشق ليمتلك زمام الساعة ما مضى منها وما حضر
وما كان في حكم المستقبل.

لو أدركت العاشق نوبة عشق ما كان عاشقاً أبداً:
إنه يستعيد ماضيه مستغفراً عما فرط فيه من عشق شغلته به
أمراض روحه فيرتد عاشقاً.

ويشغل حاضره بما استعاد من ماضيه.
ويؤمن مستقبله بما تملكه من عشق.

إنه ماضٍ في عشق، وحاضر في عشق، وسائر إلى عشق،
وبالغ أمره بالنور.

والعاشق في مقام الارتقاء لا يتألم، فالألم وجع الروح،
والروح المرتقية منزهة عن الألم بما تعافت به من أمراضها
وبما تحصنت من انتكاساتها، ولذا فإنَّ العاشق يرتقي فوق
الألم بالعشق فلا يشعر بوخز ولا جرح في حضرة الهيام.

.....

العشق نور

لا تحيا الروح حتى تحب، ولا ترتقي الروح حتى تعشق.
العشق هو الطريق إلى حيث يدق القلب مرتين: مرة ليحيا،
ومرة ليتشبث بالحياة.

يقول المرتقي:

أنا أحبك لأنني ارتقيت

ولأن قلبي تحرر من كراهية ابن آدم.. أحبك لأنني لا
أحب أن أحمل جثة، أحبك وأحفر في قلبي لأنني لا أحب

أن أحفر لأواريك الثرى.. أحبك لأنني لا أملك إلا الحب..
عقيدتي وديني وترياقِي.

هكذا تدين الروح المرتقية، ولأجل ذلك كان الارتقاء.

والعشق درجتان: عشق الدرجة الارتقائية، وعشق الدرجة
العلوية.

والعشق الارتقائي درجة لا يبلغها إلا من دان بالحب
واستقام به حتى إذا مشى بين الناس كان قلباً لمن كان له قلب،
وحباً لمن فقد الحب

.....

وسيد العاشقين من اعتلى مقام الارتقاء إلى ذروة الدرجات
فأحسن العشق وبلغ منه مبلغ تسليم الروح إلى معشوقها في
المقام الكبير

في مقام العشق الكبير، أنت لا تعطي للمعشوق، إنك
تعطيك له.

في هذا المقام أنت في مرمى سهام العشق، لا تسل من أين
يأتي السهم لأنه من النور العلوي.. هو فقط يصيبك ولا راد

لإصابته فأنت محمول على كف المعشوق وقلبك موصول
بالنور لا ترده قوة فأنت لا تقاوم، ولا تصده رغبة فأنت الراغب
في الإصابة، ومن أصاب العشق الكبير فقد نجا.

إن روحك أيها المرتقي إلى المقام العلوي مشقوقة بالسهم
النوراني:

إذا أوتيت سهمك

حوصرت بالخيال

تناوبت على حراستك هالة

هذبت شتاتك أيدٍ بيضاء

تسلحت عيونك بالعقيق

لن تصل إليك خطايا اليابسة

لن يهن قلب الجزيرة

ولن يرضعك اليم لا خوف ولا حزن

إذا أوتيت سهمك

إذا حوصرت بالخيال

إذا صرت للهوى فريسة

فاستسلم

أنت آمن

إنك يا صاحب الارتقاء في دائرة العشق الكبير قد حوصرت
بالخيال والجمال والتجلي، والسهم متى أصابك حضر فيك
وحضرت به، وفي هذا الحضور المنزه فرائض خمسة ورد
ذكرها في «نصوص العشق ومصفوفات الارتقاء»:

الفريضة الأولى:

العشق بأس

إذا أصابك لا تتصابى

أصلب عودك أنى نوديت

هب زندك للعابرين

وقدمك لمن يسلكون الدروب

وعينك لمن يلتمسون النور

وقلبك لمن يسقمه العراء

وروحك لمن يرغبك

.....

الفريضة الثانية:

لا تجادل في عشق

الجدال نار السكينة

الحجة في العشق ضعف

.....

الفريضة الثالثة:

لا تتعجل الهجر

صل بين النقطتين حتى تذوبا

صافح شاطئك بالعناق

قبل كل أثر فيه عشقك

لا تبارحه حتى تشتاق

.....

الفريضة الرابعة:

أقبل مع المقبلين

سارعهم إلى الوصول

احمل قرابينك في صدرك

حتى إذا بلغت مجمع اللقاء

قدم قربانك أولاً

وكن من المقبولين

.....

الفريضة الخامسة:

إذا وصلت لا تحص

سترى ندبة السهم فلا تقربها

وترى بقعة الدم لا تمحها

وترى ظلاً يحيطك لا تفلته

وترى وجهها على وجهك لا تسأله

الندبة صوتك

بقعة الدم روضتك

الظل محرابك

الوجه فضاؤك

.....

في مقام السمو يسود العشق سماء للأرواح، فما الأرض إن
لم تعشق فيها؟

إن الأرض إذا طرح أهلها العشق أجذبت من كل أخضر،
وحكمتها الكراهية بالحديد والنار ولعنة هاويل، وأن يدين الناس
بالحب خير من أن يسكنوا في المحاريب ليكون خطيئة القتل.

إن الأرض بالعشق تثمر وبغيره تصفر ويصير زرعها هشيماً
والأرض بالعشق أرض عزة وكبرياء

ولا يسفك دم في أرض دانت بالحب، فالعاشق في سعيه
إلى المعشوق يحرس الأرواح ويحفظ الجمال ويقطف
الخيال ولا يلقي بالاً إلى المال

والأرض بالحب ديار السالكين والواصلين ليرتقوا.. ومن
عشق ارتقى.. ومن ارتقى بالعشق بلغ ذروة الارتقاء واستوى
بالهمة على القمة إلى اليقين.

الدرجة

السابعة

والعشرون

اليقين

أبلغ سلامك للروح وقل إنني أسلمتها لسلامها.
قف على درجة الصعود النهائية واستقم فقد بلغت شهاد
الإجازة الروحية.

الآن اكتملت رحلتك وصرت في مأمن من كل علة.. أنت
الآن على درجة اليقين، فلا شك يراودك، ولا حقيقة تخفى
على روحك، ولا فناء في غير استقامة، ولا حضور في غير
مقام يليق بروح بلغت منالها من الارتقاء.

السلام عليك.. السلام لك.. السلام منك أيتها الروح
وأنت في نقطة الوصول إلى المراد، لا تطوِّرِ صفحة الرحلة
الطويلة التي جاهدت فيها روحك المعذبة بالشقاء لتغنمها
سلامة الارتقاء.

إن روحك هي الطفل الذي ربيته منذ الخطوة الأولى، وقومته بسلوك الاعتدال والتطويع والفطرة النقية، وهذبت الأرض لتزرع في أوصاله بذور النور.

وهي التي علمتها فقه الأنسنة، وجردتها من صفات الغابة بكمال الغاية بالوعي والامتنان والاتساق والإيثار والحياء والحمية، وعززت بقاءها بين الخلائق بتعاليم الإنسانية السمحاء: أن الأرض للإنسان عمارًا وازدهارًا وسعيًا للنماء من غير بطش ولا جور.

روحك التي ارتقيت بها إلى القناعة تنهل من كنوزها ودررها، فلم ينقص جمعها ولم تتغول على غيرها، وألزمها مدارها فحفظت لكل سابع حقه في مداره، ولكل ساكن حقه في سكونه، ولكل مسكون آداب السكن، ولكل خطوة موضعها من دون أذى.. عصمتها بالقناعة فعصمتك من نار الطمع وأسلمتك إلى السلام.

وهي الروح التي عرفتتها فعرفتك، عرفتتها بالألف واللام فلم تتنكر في قناع غير فطرتها الأولى، وهي بالتعريف تنكر

ذاتها لأنها مسيرة بالكاف والنون.. أبلغتها السر في التعريف فألهمته السر في الإنكار، وبين المعرفة والمنكر خيط نور هو أنت.. تعرفت فاعترفت: أينما تُحب تقيم، وهذه بطاقة تعريفك.

واذكر لروحك ما مضى من ذكرها إذ علمتها الصفح ليقى السلام دين الأرض الآمن، ولتكتب لأولئك الذين ألهمهم جمال صفحك ونبل عفوك أن المدار الواحد يسع الآخذين بالعتق والكاظمين غيظهم والباسطين للناس أرواحهم، وأن النور مورد متجدد، وأن الأرواح التي تصفح لا تعرض عن مخلوق ما دام في جواره أرواح ترتقي، وأنت بالصفح تقتل ثعبانك وتُفرغ الكرة الأرضية من سمومها.

إنها الروح التي أخرجتها من كهف الانزواء والتمسح بالجدران العتيقة إلى فضاء السعي وطلب العلم أينما كان بشروط النية والسعي والعمل والخلاق والإحاطة والمداومة والتواضع، رغبة في نفع الخلائق بما أوجبه العلة الأولى من الخلق بفرضية الأمر العلوي والتكليف النوراني «وعلم آدم الأسماء»، وأبلغتها بالارتقاء مقام العلم فصارت نورًا يهتدي

به العابر والمقيم، وكتبت على ظهر الأرض: هذه رسالتي..
أفلا تعلمون.

وهي روحك التي جاهدت قسوتها بالحلم وعلمتها
الرفق واللين كما لثمته شفتاك الرقيقتان في المهد الأول،
وألجمتها بلجام السكينة فصار صدرك وسع الكون
واحتماله، وارتقتيت بها إلى الحلم فما حاق مكر بها ولا
ضاق بها جوار ولا زلت بها خطوة.

وهي روحك التي أنزلتها بالود كل مقام كريم، وأوصلتها
بحبله الذي لا ينقطع، وفضله الذي لا ينتقص، ودربتها لتكون
ودودا تضيء لوجوه العابرين وتحفظ في ذاكرتها كل راغب
في ودها وكل باحث عن السلام في أرض غريبة.

وكانت جائزتها في الارتقاء: الرحمة، فأطلقتها في
الأرض تربت على كل يد ضعيف وتترفق بالخلائق،
وعلمتها صنوف الرحمة بالذات والغير والخاطر والعابر
ورحمة من لا يطلب الرحمة ومن خاف من كل قاس ضلت
الرحمة طريقها إلى روحه.

ومن رحمتهما ألهمتها الحكمة فجرت على لسانك درر القول
وحسن التصرف وجوابات العلل وتفسير الغرائب ومقاصد
السائلين ومسالك العابرين، ومنحتك الحكمة من الفضائل ما
لم تمنحه لك المباهج وزينة الحياة الدنيا، وأدركت من حكمة
الروح نواة كل شيء فما زادك إلا إيمانًا وتسليمًا.

اذكر لروحك ما مضى من ذكرها

وفي رحلة الصعود، علمت الروح فضيلة الاقتداء بمن
اهتدوا إلى النور قبلها، ومن سبقوها إلى مراتب الارتقاء، ومن
تعافت أرواحهم من الأمراض السبعة، وأولئك الذين جاءوا
إلى الأرض ليحرروها من الظلام والخوف.. أولئك الذين لا
يضل من اقتدى بهم ولا يميل من استند إلى جدرانهم.

وفي صعودها، هذبتها بعهد الأرواح السليمة في رحلة
الارتقاء.. إنه الصدق الذي لازمها وحصنها ضد التلون
والكذب والنفاق والحنث باليمين والنكث بالعهد، لتعبر
بك بسلام إلى بر السكينة والأمان، ولتأخذ بيد العالم تنجيه
من الأشرار الذين تنفسوا الكذب وحبسوا أنفاس الصدق في
صدور الخلائق.

وأشرقت بروحك فبددت غيوم الكراهية والغضب والطمع
بالنور الموصول بارتقاءك، وحجبت تلك الغيوم عن رؤوس
السالكين إلى السلم الارتقائي، وزرعت الأمل في الأرض
التي أشرقت فيها روحك فما نامت شمس في أرضك، ولا
استشعرت روح بردًا في مناكبها، ولا تجلى فيها إلا النور.

وأنت في قمة الارتقاء، لا تنس لروحك جهادها

لقد جاهدت في العطاء، وارتقت بالمنح لكل قاصد طرق
بابها، ولكل متعفف منعه الخجل من قصدها، ولكل عابر
لم يعرفها فتعرفت إليه بمنحها، لأنه امتلك إرادة المنح كما
أدركت علته في أول خلقها: أُعطيت من دون حساب، فلن
تحسب في العطاء وقتًا ولا زمنًا ولا قدرًا.

إنها منحت بالعطاء ومنعت بالعطاء إدراكًا بأن المنع
أحيانًا يكون عين العطاء، ولأن المنع بالعطاء فيه علة ودليل،
فقد منعت الخطو عن الخطأ، ومنعت المقيم عن زاد العابر،
والضربة الثقيلة عن رأس الضعيف، والبطشة الكبرى عن ديار
الآمنين، ومنعت عن الراحلين مخاوف البقاء، لأنها صاحبة
رسالة وذات منعة وفي جوارها مناعة من كل خوف.

واحفظ لروحك جهادها في ما استشرفت به من الفضائل
الارتقائية في ذلك المقام الرفيع من السمو، حتى غدت
بدرجة الاستشراف منارة تحلو منها المشاهدة ويتجلى
منها الكشف وتدرك منها الحقائق والأسرار ومواطن
العلل ودواءها، لقد امتلكت ناصية الرؤية وأصبحت هداية
كل عابر وسالك وواصل ومبحر، حتى هدأت الأمواج
بالنور السرمدي.

على هذه الدرجة العليا من سلم الارتقاء، أنت مدين
لروحك بما جاهدت به في سبيل التطهر من أدناس الطريق
وخطايا الظلام وهمزات الشياطين، وكل العثرات التي أرادت
لها أن تميل عن استقامتها وتحيد عن قبلتها، ومدين لها
باستتابتها عن كل عين أدمعتها وكل حرب أشعلتها وكل
سبيل اتخذته لم يكن سبيلها.

مدين أنت لروحك إذا تطهرت فتعطرت حتى أقبل
عليها الناس يطلبون المسك من خطوها، والعود من قولها،
والزهر من زرعها، والطيب من مقامها، ومدين لهالة النور

التي أصبحت تسير في حضرتك بما تعطرت به روحك من سمات الارتقاء وريحان السموم، وانتفح بها الكادح والضعيف والمعدم ومن تقطعت به السبل.

اذكر لروحك في هذا المقام أنها أوصلتك إلى الغاية الارتقائية، وأنها جمعت شتاتك المنشور في تيه الفراغ إلى مقام المشاهدة والوصل بالنور العلوي الذي أضاء ذاتك وشفي علاتك وأوصلك بكل ما انقطع عنك بدوائر من نور يدفع بعضها بعضاً إلى مصدر النور، حتى صرت معاذاً من كل شيطان ومحصناً من كل فتنة.

واذكر لروحك أنها أعادتكم إلى الحياة روحاً تسمو فوق الأرض وفوق شهوات الجسد وعلاته وتغوله وظلمه وغدره وأسرره واحترابه.. إنها منحتكم حياة السلام والعدل والمساواة عندما أفهمتمك علة الحياة وفضلها وحق كل شريك لك في الماء والهواء والأرض.

قل: إني ارتقيت بها إليها، ولا تنس أنها منحتك الحرية الكبيرة التي سعت قبل الارتقاء لبلوغها وما بلغتها.

لقد تفضلت عليك الروح في سموها بالخلاص من كل قيد أدمى معصمك وكسر إرادتك وألهى عقلك ووضع على عينيك عصابات التبعية والإعماء والاختطاف والاعتكاف ومجانبة الفهم وحرمة الاستفهام وجرم المساءلة.

لقد منحتك الروح حرية الخلاص، فأصبحت رغبتك أسيرة لك، وخطوتك مرهونة بقرارك، وفضاؤك واسع بأمر بصيرتك.. فاذا ذكر لروحك فضلها.

ومن حريتها، علمتك الروح أن تفقه إبداع الملكوت وأسرار كل بديع في الجوار، وأن الإبداع قرين الحرية وكلاهما من فيض النور، ومن روحك الحرة كان الإلهام بكشف كل جمال في حضرة الجميل فقلت للناس حسنا ورسمت لهم حسنا وحفرت لهم في بطن الأرض وأخرجت لهم كنوزها وأسرارها.

وعلمتك روحك المرتقية فرضة الإشباع: أن تشبع منك، وأن تُشبع غيرك، ودرست على يديها هذا الفن الارتقائي وفلسفته: أن يشبع الناس من ضرورياتك لا من فيض احتياجائك، فارتقيت في الفضل حتى بلغت الدرجة الحسنى.

وأنت بالروح شفاف أبيض بما بلغت به من درجة الصفاء،
فلا تنس فضلها إذ منحتك النور ترتوي منه وتروي، وبلغت
بصفائها علل الاستتار وحكمة البواطن وأسرار كل شيء باعد
بينك وبينه غيبة الصفاء الروحي.

وبصفائها ألهمتكَ العشق غاية الروح في الارتقاء، فكشفت
لك عن النور في أبهى صورته، وتجلت لك الحقيقة في أنصع
بياضها، وصرت عاشقاً تجري بأمره حيث تصيب الخطوة
هدفها، وبلغ الارتقاء ذروته.. وحتى أتاك اليقين أيها المرتقي.
أنت الآن على درجة اليقين.. لقد أتاك في الدرجة السابعة
والعشرين من سلم الارتقاء الروحي لتكون أهلاً لهذا الفضل.
يقول البالغ درجة اليقين:

«أناجي فلا أجاب، فأناجي وأناجي، وأثقلب في العذاب،
ثم أناجي وأناجي، فلا أجاب، ويأتيني اليقين بأن رجائي ليس
خيراً، وأن المنع هو الجواب».

قيل: ألزمنك إنساناً

الرحمة دينك

السماحة مذهبك

النور يقينك

الضعيف جندك

العفو قائدك

الصدق صديقك

الكذب قبرك

الرضا حرفك

العطاء لغتك

العهد طريقك

والنصر حليفك

.....

قيل: تبغي عوجا

نبغي صراطاً

أعطيناك كتاباً

أخرجناك من ظلام إلى نور

فتذكر:

أنت في العقد حبة

لا تجمع الحب في يدك

لا تستأثر بالعدد

.....

أشهدناك هُنا

أوصينا بك

لا تدعي وصاية

لك من يومك كله

ولنا منك كلك

وللخلائق منك ما لنا

لا تضم لك ما ليس لك

لا تمش فوق جلد غيرك

لا تتسلق سوره

لا تنظر ظهر المقبل

لا تُفزع نائما في جوارك

لا تُجِرْ من جار

لا ترهب من زار

.....

أودعناك هناك

استودع ما يمكث

حلك عابر

فارتحل بالطيب

ينشر عطرك ذكرك

إذا مررت فأحسن المرور

إذا قرأت فاحفظ

إذا حفظت فانشُر

إذا نشرت فانفع

إذا نفعت فأنكر

إذا أنكرت فاعط

إذا أعطيت فانحر جميلك

إنا رادوه إليك

.....

قيل:

صورتك صورناها

أحسننا التقويم

لا تشد عضدك بضعفك

رفعنا ذكرك وأنت منسي

فهل تباهي برسمك؟

في الأفق جناحات تفوقك

في الأرض ضعاف تنهشك

وأنت الإنسان..

لا تنس

لقد بلغت اليقين بالارتقاء، وها أنت بروحك ارتقيت فلا ترى عوجاً أبداً.

يقينك أنك أديت الأمانة لروحك، وروحك بلغت الرسالة لجسدك، وخطواتك باتت نورانية، فلا تستعجل جواباً لسؤالك، ولا فائدة لسعيك.. لأنك في كل حال تمشي بالحوال والقوة العلوية، فصحيفتك نورانية وسعيك مبارك بما قدمت، وخطوك لن يجني في سعيه إلا الخير لأنك ارتقيت.. أليست غايتنا الارتقاء؟

هذا هو الارتقاء الروحي وهذه درجاته، وهذا عهد لمن ارتقى، ودليل لمن رغب في الارتقاء.. وهذا ما اجتهدت فيه وما اهتمت إليه بصيرتي، فإن أصبت فقد ارتقيت بمن قرأ وإن أخطأت فلي شرف السعي إلى الارتقاء الروحي، ومن اجتهد في السعي فلا بد له من وصول، وإن مسعاي إلى النور، ومن سعى إلى النور لن يضل مسعاها.



الباب الخامس

رسائل الروح



(1)

الظلام هو:

أن يعميك النور فلا ترى

أن يقلقك السكون فلا تأنس

أن يرهبك الطيبون فلا تأمن

الظلام هو أن تكون حيث يكون شيطانك:

بلا نور، ولا سكون، ولا أمان

ظلمات بعضها فوق بعض

(2)

إذا كنت قريباً فلا تبتعد فجأة

وإذا كنت بعيداً فلا تقترب فجأة

توسط واعتدل ولا تسرف بعدًا أو قربًا
المفاجآت ليست كلها جيدة
والقلوب ليست جميعها تحتمل القرب الكثير أو البعد الطويل
توسط فخير الأمور أوسطها، ودرة العقد واسطته.

(3)

لا تفقد صديقك أبدًا
الأصدقاء كالخلايا العصبية.. لا تتجدد ولا تنقسم

(4)

كره المكروه لك محبة، وغيبة الحاقد من حُسن السيرة
لا تحتقر أعداءك دائمًا، فأحيانًا يرفعون شأنك بحماقاتهم

(5)

إذا وجدت عدوك أمامك، فابحث عن خائن خلفك
تراجع خطوة للوراء، ثم طهر جبهتك
وراقب عدوك بسهولة وهو يلوذ بالهرب.

(6)

لا تنظر إلى ما مضى من عمرك.. انتبه لما هو آت فقط
عالج أخطاء الماضي، واقتنص الفرص الجديدة
ضع حلمك أمامك واركض نحوه
فإن كان في عمرك لحظة واحدة، اجعلها مئة عام من العمل
والأمل

اغرس في سيرتك مليون شجرة يقطف منها الخلائق
ويدعو لك كل عابر استظل من الحر وشبع من الجوع

(7)

قل للذين قالوا سلامًا: لا تعودوا
واتل عليهم نبأ البعاد
إن حزموا أمتعتهم للرحيل، فاقرأ عليهم تعويذة الغياب
ولا تستعذ من الفراق، فمن أراد البقاء سيبقى.

(8)

لا تتركوا من تركهم المسافرون هنا
بعضهم تقتله المسافات، وتقتات عليه الساعات، وتدميه
الذكريات

ويلتهم السفر روحه حتى اللقاء

(9)

الصبر ترميم للروح، وتهذيب للنفس، وتأهيل للقلب،
وتهئية للسان

قبل أن تستشعر لذة الفرج، وفرحة الجزاء

(10)

الرجولة ليست أن تقدم منديلا لمن يذرف الدموع
الرجولة أن تغمر روحه بسعادة لا تدع لديه وقتاً للبكاء

(11)

مبكرًا

خذ حظك من أنفاس الصبح

املاً رثيتك من هوائه النظيف

ابحث عن الوجوه التي تمنح روحك الأمل

لا تيأس أبدًا

اليأس يجلب الظلام، ويطرد النور، ويعجل بالمشيب

(12)

واجه المرض بالسخرية منه

قلل من شأن الآلام

كلما هاجمتك الأوجاع، استعرض عضلات الصبر،

وانطلق

عش حياتك.. ستشفى أنت، ويمرض المرض، ثم يرحل

ويسكنك النور

(13)

لا السنوات البعيدة، ولا غبار المسافات، ولا غربة الأمكنة،
يمكنها أن تغير قطعة الذهب في الصدور المطمئنة.

القلب الأبيض سيبقى ذهباً ولو بعد ألف عام، فالتمسوا من
القلوب ما إذا تباعدتم لان، وإذا تقاربتم ازداد شوقاً لكم وقيناً
بكم ولم تنل منه الأتربة ولا عوامل التعرية

(14)

الأشياء التي تذوب لا تتلاشى، هي فقط تنزوي في مكان،
ويوماً تعود حلوة كالسكر، أو مرة كالملح، أو قاتلة كالحب

(15)

«أنت أولاً» ليست أنانية

إنها قاعدة لبناء روحك وترميمها حتى تعود صلباً، وتكون
قادرًا على مد يد العون للآخرين.

لا شعاع نور لمصباح من دون زيت.

(16)

أدرك العلة من كل معتل :
لولا المنافقون لكسدت الطبول
لولا الكذابون، لفسدت الأبواق
لولا الدود، لامتلاً العالم بالجثث
السيئون أحياناً يحفظون توازن العالم

(17)

الابتسامة وردة الروح ونافذة القلب ونور الوجه
ابتسم 60 مرة في الدقيقة
فقط ابتسم، وستصبح بخير دائماً

(18)

تطمئن الروح بقليل من القلق، لتحصد كثيراً من النجاح
كن قلقاً إلى الحد الذي يضعك على أول طريق النجاح
لا تحول القلق إلى خوف فتضطرب وتسقط في دائرة الفشل

(19)

صحيفتك مرهونة بالخطوة، وصحتك مقرونة بمقامك
لا تخطو في غير مقامك، تفقد ملكك في ملك غيرك

(20)

شغلك بغير ما أوجب عليك الانشغال به، يشغل عنك
المكان والزمان، ويرفع حضورك إلى مقام الغياب

(21)

سبع مطويات يمينه، أفلا تبسط قبضته العطاء لما ترفع به
يدك الصغيرة في سماء واحدة؟

(22)

ارتق بظنك فيه العنان، وارفع السقف في الرجاء، وناطح
بطلبك السحاب، فإنه مبلغك مبلغ ما ظننت، وعلى قدر ما
ترجو، وجود بالبشرى

(23)

أن ترى النور بعيداً، فالنور بداخلك، وقد أوشك ظلامك
أن يتبدد
فقط أسرع بالخطى لتلتقط الخيط، ثم أشرق بالنور

(24)

كن جزيلاً في العطاء، لا تُعط من فائضك، ولا تمنح ما لا تحتاج
العطاء من الحاجة أصل الجود.. أنفق مما تحب، يعطيك
فترضى

(25)

حتى إن طرقت أبواب الأغيار، كل الأبواب تفضي إلى بابه
ما دمت تطرق باسمه، ذلك أنه يعلم ما أسررت، فيكشف لك
من فيضه ويجري الجواب للطارق على يد المطروق.
بابه واحد وأبوابهم متفرقة، واسمه يجمع الشتات ويصهر
الأقفال، ويفتح مغاليق الدروب إذا همت روح السالك إليه
ترغب في الوصول.

(26)

لا خوف من قسوة البعيد، ما دامت دمعته قريبة، ونوره في صدره

(27)

خائف لأنك لم تؤنسك

الوحشة بداخلك ليس لأنك وحيد، بل لأنك لم تقم شعائر الوحدة، ولم تُعط روحك قدرها من صفاء هو وحده الذي يملأ جنباتك سكوناً، ويضيء ليلك بنور تنجلي به شواغلك وتهداً به سريرتك، وتتجلى به مناقبك، وترتقي به روحك مطمئنة بلا خوف ولا حزن.

(28)

لا قرارات مؤجلة.. لا أحد يملك قراره ليؤجله

العلة في القدرة على الاحتمال، حتى إذا فقدت هذه القدرة، يكون الانفجار الذي تسميه خطأ «قرار».

(29)

إذا أسرتها ملكتها وقومت عوجها، ووجهتها شطر
شاهدها، وإذا أسرتك كسرتك، وإذا كسرتك أفقدتك شرط
الوصول.

أسرها يكبح شططها ويلين جمودها ويدراً جحودها،
وعندما تصير المالك، يكون المليك لك في كل شيء.
يكن لك من صفاته وصف، ومن سماته سمة، وباسمه
تسمو إلى مقام الرحمة.

(30)

وكن في صحوك كالمنام
لا تمدّها بسوء، ولا تنهر بها أحداً، ولا تطلقها على الساكنين
والسالكين والسائحين.. إن حفظت الروح واحدة بين السكون
والنشور، وبين السعي والخمول، فقد حصنت فعلك من المكر،
وسلوكك من الأذى، وصحيفتك من السواد، ومصيرك من العقاب.

(31)

اطمئن لأمره

إذا جاء فاصدع بما تؤمر.. أمره إرادة، وإرادتك خوف
وخطر، له الأمر، كله خير ولا راد لأمره.
يدبر ما لم تفكر.. روحك من أمرك، فسلم وأبشر.

(32)

الحسنة في حوزة الكريم ادخار، وفي جعبة اللئيم نار، الأول
يضاعفها لك، والثاني يحترق بها فيضيء لك الطريق.
لا تختبر إلى من تحسن، فجزاؤك دائما هو النور

(33)

العشق هو السر الأزلي الذي لم يكتشفه أحد
تقول الأرض للجذر: إلى أين تمضي؟، فيقول: سأجمع
الخطايا وأعود

يعود الجذر جافاً.. ترتجف الأرض وتحتضنه، وينبت في
أرضها من جديد

(34)

استشعر ضعفك تبلغ قوته، قلة حيلتك دليل حوله، ارفع
ضعفك إلى مقام القوة، يدب في وهنك جواب الاستقواء به.

(35)

تبلغ روح المرتقي قوتها إذا بلغت القدرة على الضعف في
حضرة النور.

(36)

الروح التي لم تمت في منامها: روح أسلمت للسكون
صحيفة بيضاء من غير سوء

والروح التي ماتت: روح سكنت دائرة السوء، واحتجبت
عن مقام النور

(37)

ليس الجنون أن تحدث روحك.. الجنون أن تخاصمها
فتنزوي منك إلى الظلام.

(38)

شريكان لا يجلسان إلى مائدة النور: جسد نهم إلى لذة
الطعام، وروح خضعت لشهوته.

فہرست

- إهداء 5
- قبل الصعود إلى الروح 7
- الباب الأول: ماهية الروح 15
- يسألونك عن الروح 17
- الباب الثاني: أمراض الروح وعلاجها وانتكاساتها 27
- الفصل الأول: الأمراض السبعة 29
- (1) الكـراهية 31
- (2) التـنمر 43
- (3) الشـيب 51
- (4) التـيه 61
- (5) السفـور 67

73	 (6) النفور
79	 (7) الوحشة
95	 الفصل الثاني: انتكاسة الروح
109	 الباب الثالث: ذاكرة الروح
111	 ذاكرة الروح
127	 الباب الرابع: الارتقاء الروحي
135	 الدرجة الأولى: تربية الروح
145	 الدرجة الثانية: أنسنة الروح
157	 الدرجة الثالثة: القناعة
169	 الدرجة الرابعة: التعريف
185	 الدرجة الخامسة: الإنكار
197	 الدرجة السادسة: الصفح
207	 الدرجة السابعة: العلم

221	 الدرجة الثامنة: الحلم
233	 الدرجة التاسعة : الود
245	 الدرجة العاشرة: الرحمة
257	 الدرجة الحادية عشرة: الحكمة
269	 الدرجة الثانية عشرة: الاقتداء
279	 الدرجة الثالثة عشرة: الصدق
289	 الدرجة الرابعة عشرة : الإشراف
299	 الدرجة الخامسة عشرة: المنع
309	 الدرجة السادسة عشرة: المنع
321	 الدرجة السابعة عشرة: الاستشراق
333	 الدرجة الثامنة عشرة: التطهر
347	 الدرجة التاسعة عشرة : التعطر
359	 الدرجة العشرون: الوصل

371		الدرجة الحادية والعشرون: الحياة
385		الدرجة الثانية والعشرون: الحرية
397		الدرجة الثالثة والعشرون: الإبداع
409		الدرجة الرابعة والعشرون: الإشباع
421		الدرجة الخامسة والعشرون: الصفاء
433		الدرجة السادسة والعشرون: العشق
449		الدرجة السابعة والعشرون: اليقين
467		الباب الخامس: رسائل الروح